
ساحر الكتب
بنت الزيات للنشر و التوزيع
رواية
وهكذا اهتديت
قصة حقيقية
عمرو يس



رواية

وهكذا اهتديت

قصة حقيقية

للكاتب

عمرو يس

وهكذا اهتديت

رواية

تأليف: عمرو يس

تصحيح لغوي ونحوي: نسرين محمد إبراهيم

تصميم الغلاف: محمد دربالة

الإخراج الفنيّ: محمود معروف

الطبعة الأولى: 2016

رقم الإيداع: ٢٠١٦/٢٦٤٣٩

الترقيم الدوليّ: 7 - 50 - 6582 - 977 - 978

دار بنت الزيات للنشر والتوزيع **:Facebook Page**

E_mail: bentelzayat1@gmail.com

Website: www.bentelzayat.tk

Tel: 01066736765

01227996423



المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم / 49351

الجيزة دائري - نزلة شارع القومية العربية - برج النور - الدور ٨

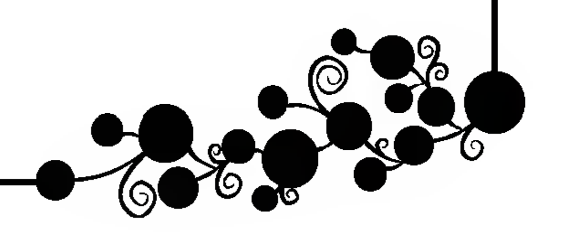




كلمة الناشر

الحلمُ مثلُ الحبِ، لا يمكنُ أن يفهمَه إلا مَنْ مرَّ به وعاشَه، فالطموحُ معقودٌ لديك في الوتين، إن وجدتَه وعثرت عليه.. تمسَّك به ولا تتركَ أطرافَه، فالطرفُ عادة هو ما سيصل بك إلى طريقِ إنقـاذك من الجهلِ والاندثار. فـالقراءةُ ارتقـاءٌ، والحـروفُ عطاءٌ، ولكي تجعـلَ لـك قيمـةً؛ لا تـنحنِ رُغـم أي ظروفٍ، ولا تطـأطئ رأسـك لليـأس، واغـزل مـن الإصرار الأملَ في اللهِ قلائد من لؤلـؤ، تـتزينُ بهـا على مدى خطواتك.

د/ شاهندة الزيات





اللهم اجعل عملي هذا صالحًا واجعله لوجهك خالصًا

ولا تجعل لأحدٍ غيرك فيه شيئًا

واجعله سترًا لي من النارِ ولقني به السرور يوم العرضِ عليك

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩ ﴾

[سورة الأنعام]



إهـــــداء

•••

إلى هؤلاء المجهولين لكم، ولكنّني أعلمهم، الجالسين خلفَ الكاميراتِ والقابعين في الكواليس والذين لا يظهرون في الكادر، إلى هؤلاء الذين كُتب عليهم أنْ يظلوا ساكنين بين السطورِ وأحكَم القدرُ مصيرَهم ليكونوا بيَن الذكرياتِ، إلى هؤلاء الذين رفضَهم المستقبلُ ولم يشأْ أنْ يجعل لهم موطأ قدمٍ فيه، إلى هؤلاء المهووسين بالفَضيلة أولَئك الذَين يقطعون الطرق من بدايتها فلا تكتمل، إلى أيدَيهم الطَاهرة البريّئة الملوّثة بالدماء!

إلى هؤلاء الذَين يظهرون فيضيئوا الدنيا بحذافيرها وما تلبث أنْ تتهيأ على أجمل وجهٍ كالقمر حتى يهربوا فتنطفئ، واخيراً إلى هؤلاء الذين يصعدُ بهم الأملُ إلى السَماءِ السابعة فيهبط بهمُ الواقعُ إلى دركاتِ الأرض

أهدي روايتي.



أبي الحبيب أمي الغالية

زوجتي الصابرة

أطفالي الأعزاء

لكم

أهدي روايتي

عمرو يس



المقدمة

الشّبابُ هم عِمادُ المُستقبلِ وبسواعِدهم وعلى أكْتافِهم تنْهضُ البلادُ فَعظمةُ أي دولةٍ واضمحلالِها يصْنَعه أبناؤها مِن الشَّبابِ، هؤّلاء الكَّنزُ المهملُ في بلدنا والّذين لم يجدوا مَنْ يسمعَهم ويَجْعلُ لأفكارِهم قيمةً بل وتُركوا للأيدى تتخاطفهم وإلى العواصفِ تُبيدُ أحلامِهم حتى تأتى على آخرِها، ولأننى أُؤمنُ أن الرِفعَةَ لنْ تكونَ إلا على أيديِهم، أَحْببتُ أنْ أطرحَ جزءًا بسيطًا مما يُعانِيه هَؤلاء في كلِ يومٍ وليلةٍ بينَ رزايا وأفكارٍ تَمْتصُ أجملَ ما فيهم بِلا جدوى، وتُحولُهم مِن ضَحايا وفرائسَ إلى مجموعةٍ مِن النَّوايا البَّاليةِ والأهدافِ التَّافهةِ، كان مِن المُمكن أنْ يكونوا أبطالاً ولكن أرادَ لهم المجتمعُ أن ينزَّوا بعيدًا ليعيشوا رحلةً لا تنتهى في البحثِ عن الذات.







الرواية

الله؟! مَنْ الله؟! أنا لا أعرفُ شيئًا بهذا الاسمِ ولكّننى لا أُخفي عليك أنّني سمعتهُم كثيرًا يتحدَّثون عن شيءٍ كهذا! يقولون بإذن اللهِ وأنَّ اللهَ هذا سوف يُدخلَهم جِنان وأنَّه يملك نارًا مُحرِقةً وإنْ كانوا جميعًا عجزوا عن أنْ يصفوا لي مكانَها، يدَّعون أنَّها في السَّماءِ إلا أنّنى كثيرًا ما كُنْتُ أنظرُ إلى السَّماءِ فلا أجدُ إلا هذه السحب التي تُوشكُ أنْ تُمطرَ وأيضًا النجومَ الساهرةَ لتُسلي مَنْ هم في مِثلِ حالتي مِن التَّأملِ، لا تكن أحمقًا كهؤلاء تعال معي- يتركُ محدثَه ويذهبُ بكرسيه المتحركِ إلى الشرفةِ- تعال انظر معي، كان إيهاب يُحملقُ في السَّماءِ بنظراتٍ عصبيةٍ مستهزءةٍ تعال يا صديقي انظر لا يوجد شيءُ مما يدَّعون لا يوجد إلا ما حدَّثتُك به إنَّها النجومُ وهذا القرصُ المُضيء، تدري لو قالوا إنَّ هذا القمرَ هو الله كان يمكن أنْ أُعيرَهم بعضَ سمعي ولكن تقولُ لي إنَّه خلفَ السحبِ هناك بعيدًا يختبئ ويتخفى!! وماذا ترك إلهُهم هذا للصوصِ وقطاعِ الطرقِ؟!

كان نادرُ ينظرُ إليه بدهشةٍ واستغرابٍ، كيف يمكن لآدمي مهما بلغَ فجرُه وجنونُه أنْ يتلَّفظَ بمثلِ هذه الكلمات! وأى شيءٍ دفعَ هذا الرجلَ الكبيرَ الذي أُقْعِدَ على كرسى مُتحرك إلى هذه النتائجِ المخيفةِ؟



كَمْ أنتَ جَريُء يا أُستاذ إيهاب؟! أتدرِ أنا على الرُّغم مِن كلِ ما أفعلَه إلا أنّنى لا أجرؤ أنْ أنطقَ بمثلِ هذا الذي نَطقْتَ أنتَ به، ورُغم جُرأتى إلا أنَّنى لا أستوعبُ كيف لِمثْلُكَ لا يَخشى مِن النَّارِ، صَحيْحٌ يا أُستاذ إيهاب ألا تخشى مِن النَّارِ؟

النَّار هه هه هه بالعكسِ النَّارُ جميلةٌ خُصوصًا في الشّتاءِ، وعلى أي حالٍ أنا لنْ أدخلَ النَّارَ إلا بمحضِ إرادتي، فإذا ما شَعرتُ بالبردِ سهلُ جدًا أنْ أتوَجه لهٰذِه المِدفَئةِ وأُشعلُ النَّارَ- يُشِّيرُ بيده نحو مدفئةٍ ضخمةٍ قد بُنيَت من الحجارةِ في إحدى زوايا هذا المنزلِ الفاخرِ- ولكننى لا أعِدُكَ أن أدخلَ فيها وسوف أكتفى فقط بالجلوسِ بالقربِ منها لأرى هؤلاء المؤمنين يُعذَّبون فيها هه هه وربَّهم يقولُ لهم هيَّا ادخلوا جميعًا وسأظلُ أنا أشاهدُ وقد أترجاه أنْ يتركَهم ولا يفعل بهم ذلك، لا تخف يا نادر إنْ أدخلك إلٰهُك النَّارَ سأُخرجَك أنا مِن مدفئتى هذه فلا تقلق... فهيا اذهب وارتع في الملذاتِ فأنا كرجلٍ نصَّبَ نفَّسه إلهًا أعِدُكَ أنْ أعف عنَّك وأُخْرجَك مِن نارِ إلهك... هيا اذهب فهناك فتاةٌ تنتظرُك هيَّا يا صديقي ولا تخف.

ارتدى نادر سترته الجلدية الأنيقة ووقفَ أمام المرآةِ يُصلحُ شعرَه ويُحسِنُ مِن هِندامِه فهو على موعدٍ لمقابلةِ امرأة ليكملَ معها سهرتَه، ولكنَّه كان يفكرُ أمام المرآة وهو يهمُّ بالانصراف في أن يُلغى هذا الموعدَ ويختلى بنفسِه ويُفكر، خرج إلى الشارعِ وكانت الليلةُ شاتيةً أخذ ينظرُ إلى الشوارعِ وأضواءِ السَّياراتِ البَاهرةِ باحثًا عن شيءٍ يُرجعه إلى الواقعِ فأخرجَ هاتفَه واتصل على صديقِه سمير ذلك الشاب صاحب العشرين خريفًا، فأصوله الصعيدية أكسبت وجهه سُمرةً وشحوبًا، نحيلُ



الجسدِ مجعدُ الشعرِ منطفئ العيونِ كأنَّ الموتَ يظهرُ من طلتِه، طلبَ منه أن يتقابلا في المكانِ الذي اعتادا أن يجتمعا فيه وكانَ هذا المكان عبارة عن مقهى لا رواد له، موقعه في وسطِ سوقٍ لبيعِ الخضرواتِ، والذي أحضرَ صاحبُه بعضَ الكراسى ووضعها أمامَ مقهاه ووضع حولَه سورًا من البوصِ وكذلك السقف طمعًا في جلبِ الزبائنِ من باعةِ السوقِ، ولكن بعد فترةٍ قصيرةٍ اقتنعَ أنَّ لا أحد سوف يرتاد مقهَاه فقرر أنْ يعتمدُ على الطلباتِ التي يصنعُها ويوصلُها إليهم واكتفى ببضع كراسيٍ بسيطة يجلسُ عليها الزبون الغير متوقع والذي ربما كان يمرُ فأراد أنْ يمكثَ قليلًا لتناول كوبًا من الشايِ أو حجرَ شيشةٍ، كان هذا المكان الذي يبدو في الليل مهجورًا كجحورِ الفئرانِ هو أكثر الأماكنِ تأنقًا في عيونِ نادر وصديقه، وبعد نصفِ الساعةِ كان قد وصل نادر للمقهى وأخرجَ هاتفَه في محاولةِ استعجال صديقه للمجيئ، أين أنتَ يا سمير؟ أنا وصلت وأنتظرك.

- سأكون عندك في غضونِ دقائق، هل معك سجائر؟
- نعم معي تعالَ ولا تتأخر.
- أنا في طريقي إلى الخرابةِ.

دخل سمير بعد دقائقِ ليجد صديقَه جالسًا على كرسى في وضع يشبه النومَ قد فرَّق بين قدميه ووضع يداه خلفَ رأسَه وأغمض عينيه في ثبات....

- أنا وصلت يا نادر هل طلبت الشاى؟
- أجابه من غيرِ أنْ يفتحَ عينَه: نعم طلبت.



- ما بك ؟

- لا شيء فقط ذهبتُ لذلك المُلحِد، كنت عنده حتى كلمتك.

- ألم تذهبُ إلى أسماء؟

- لا لم أذهب، هذا الرجل أفقدنى كثيرًا من توازنى.

- هذا رجلٌ مجنونٌ يهزي بكلماتٍ غير مفهومة .

- ولكِنَّني أظنه رجلًا عبقريًا وصريحًا مع نفسِه جدًا، اليوم قلت له ألا تخشى من النَّارِ أقصدُ جنهمَ تدري بماذا أجابني ؟

- لابدَّ أنَّه قال لك لا.

- قال لي: جميلةٌ في الشتاءِ!

- مجنونٌ هو يا صديقي لا تشغل رأسك به.

- لا يا سمير هذا العاجز ليس مجنونًا، أرى أنَّه يُصدقُ كلَّ ما يقول، هو حقًا لا يُؤمنُ بوجودِ إلهٍ ولكن ما أثارنى اليوم هو أنني أنا أيضًا مثله لا أؤمن ولكن قد أكون لا أجرؤ على الاعتراف.

- ما هذه التخاريف التي حلَت عليك في المساءِ.

- وأنت أيضًا لا تؤمن مثلنا تمامًا.

- أظنُ أنَّك شربَت اليومَ حتى ثَملَّت، هل وجدت عِندَه خمرة؟

- نعم وجدت عنده كل أنواعِ الخمورِ هو رجلُ ثرى كما اخبرتك

- وهل أحضرتَ لنا شيئًا من عندِه؟!



- نعم أحضرتُ لك زجاجةً كاملةً من الفودكا.
- لم تجد عِندَه نبيذًا أبيض؟
- يُوجدُ كلُ شيءٍ ولكن هل تظنُ أنني سوف أطلبها منه هكذا في أولِ لقاءٍ؟!
- كان يمكن أنْ تُغافله وتأخذها.
- كان سيعرف بمجردِ أن أنصرف، الرجل لا يزوره أحدٌ وأنا لا أريدُ خسارتَه على الأقل في الوقتِ الحالي.
- نعم، وأين هي؟... اخرجها لأراها.
- تحت الطاولةِ ولكن انتبه، انتظر حتى ينصرفَ هذا النادلُ.
- سوف أطلب منه احضارَ كوبٍ فارغٍ.
- لا لا تفعل لن نشربَ هنا وليس اليومَ، اليوم أريدُ أنْ نتكلمَ فقط.
- يا صديقي هنَّا في الخرابةِ نفعلُ كلَ شيءٍ، أرى أنَّ لقائَك مع المجنونِ قد أضرَّ بك.
- قلتُ لك أنَّه ليس مجنونًا، هو رجلٌ صريحٌ أعلن ما يعتقد والذي أخشى أنا وأنت أنْ نعلنه.
- اخرس أنا لست كافرًا.
- يا رجل قل شيئًا غيرَ هذا، وهل تركنا شيئًا للكفارِ ليفعلوه، نحن يا صديقي أشد كفرًا منهم.
- هه هه هه على هذا فأنت أبو جهلٍ.



- نعم وأنتَ أم جهل هه هه، قل لي يا سمير هل حقًا أنا الذي أُفسدك كما تدَّعى أمك؟
- تشعرُ بتأنيب ضمير نحوى؟
- لا أنا علّمتك كيف تتعامل مع الدنيا فكيف يؤنبنى ضميرى، ولكننى قابلتك فاسدًا صغيرًا فجعلتك فاسدًا كبيرًا وليس أنا من أفسدتك ابتداءً كما تدعى المحروسةُ أمُّك.
- هي معذورةٌ كانت تريد أن ترانى شيئًا كبيرًا وأظن أننى خذلتهم جميعًا.
- كان يمكنها أنْ تجعلك شيئًا كبيرًا لو أعفت عن أموالها وفكَّت أسرها وأعطتك بعضًا منها لتنشئ مشروعَك الخاص، هؤلاء الأهل يصيبوننى بالجنون، يريدوننا أفضل رغم ذلك لا ينفقون شيئًا، يقولون لك كافح وستكون إنسانًا جيدًا، وهل وجدنا مكانًا لنكافح فيه، فبأي شيءٍ نكافح؟! وهذه البطالة متنطعة في كلِ مكانٍ.... البطالةُ يا عزيزى .
- هل تظن أننا بعد التخرج سنصنع شيئًا ؟!
- نعم سنأتى إلى الخرابة كما فعلنا الآن ونجلس.
- هه هه هه لماذا سمينا هذه القهوة خرابةً؟ أنا لا أذكرُ.
- لأنها خرابةٌ ألا ترى... هي خرابةٌ بالفعلِ.
- نحن نسبقُ الجيلَ يا نادر، ها نحن نجلس الآن في المكان الذي سيأتونه بعد سنوات... بعد أن يتخرجوا في الجامعةِ.



ظل نادر فترةً كبيرةً من الوقت يُفكرُ فيما قاله المهندس إيهاب، ذلك الرجل الذي لم يختلفْ كثيرًا عما كان عليه في سنِ الرابعةِ والعشرين، فمنذُ هذا الوقت قد خرجَ عن كلِ ما كان يألفه في الماضي وفضَّل أن يَكونَ مُلحدًا، ورغم قناعته بأنَّ الكونَ جاءَ بغيرِ خالقٍ وأنَّ الإيمانَ بوجودِ إلهٍ مجردُ سخافةٍ، إلا أنَّه في أولِ أمرِه فضَّل أنْ يكتُمَ إلحادَه ولم يُصرحْ به خوفًا من بطشِ مجتمعه ولكن لم يكنْ يمرُّ موقفٌ إلا ويُلمِّحُ لما يعتقدُ أو يستهزئ بما يعتقدُ الآخرون، فقد التقاه نادر صدفةً عندما خرجَ هو وزميله سمير ليجلسا على مقهى لتناولِ القهوةِ والسجائرِ، في الفترةِ بين المحاضراتِ عند الجامعةِ، وعندما كانا في طريقهما وجدا مجموعةً من الشبابِ يلتفون حول رجلٍ بلغَ الثامنة والأربعين من عمرِه، يجلس على كرسى متحركٍ بملابسِه الفاخرةِ.. بدلة سوداء ورابطة عنق «ماركة أرمانى» الذي ينم عن ذوقٍ رفيعٍ ويخبر بثراءٍ من نوعٍ خاص، فقد كان إيهاب بوجهه المربعِ وعيونِه الغائرةِ وتلك الشُعيراتِ الفضِيةِ التي تُغافلُ الشعرَ الأسودَ فتطفو على السطحِ، تُخبرُ بأنَّه رجلٌ من رجالاتِ الدولةِ أصحابِ النفوذِ، وهو الأمر الذي كان يلفت نادر الذي يبحثُ عن أي فرصةٍ تجعله يتمكن من رؤيةِ الدُّنيا من منظورٍ أعلى - منظور السَّادةِ- فما لبث أنْ توجَّه هو وصديقه متفحصًا هذا الرجل في محاولةٍ لفَهم السببِ الذي جعلَ هؤلاء الشبابَ يلتفون حولَه، وعندما اقترب منه وجد الرجلَ ممسكًا بيده رُزمةً من الأوراقِ الماليةِ فئة العشرة جنيهاتٍ ويوزِّعها على الشبابِ الواقفِ أمامه وهو يقول:

- أنا أعطيكم المالَ وغيرى يأخذ منكم أو يحاول أنْ يأخذ منكم، أما أنا فأوزع



دون مقابلٍ لا أريدَ أنْ يقفَ أحدكُم فيمدحَنى أو يسجدَ لي أو يركع، جميعكم تحبون المالَ ولكن لا تعرفون كيف تكسبونه ولا كيف تصرفونه.

فتقدم نادر منه وأمسك بيده وبالباقى من الأوراق المالية كلها وقال:

- ما دام الأمر هكذا فأرجو أنْ تحسنَ التعاملَ مع طمعى فأنا أريدُ أنْ استحوذَ على الباقي من هذه الأموالِ.. أم أن هذا سيغضبُك؟

- لا بالطبع خذها فهي لك ولكن ألا ترى أن توزيعها بينكم سيكون أفضل؟!

- لا..كل هؤلاء يريدون أن يفعلوا ما فعلته ولكنَّهم يخشون ردَّة فعلك، فكما ترى رغم ما اخذوا تراهم واقفين فأى شيءٍ ينتظر هؤلاء؟ ينتظرون مزيدًا من المالِ ولكن ينقصهم جرأة الطلبِ.

- وهل ترى أنَّك تمتلكُ من الجرأةِ ما يجعلك تستحقُ هذا الباقي من الأموال؟

- نعم أرى أنْ عندى من الجرأةِ ما لا تسعه هذه الأموالِ.

- حسنًا... إذن اترك هذه الأموالَ لهم وتفضَّل - أخرج من الجيب الداخلى لبدلته كارتًا شخصيًا - هذا الكارت مُدَّون به رقم هاتفى اتصل عليَّ وأعدُك أن أكافئ جرأتك بما تستحق، فسوف أعلمك أمورًا تحتاجُ إلى كثيرٍ من الجرأةِ وكثيرٍ من الأموالِ.

- حسنًا لا بأس.

وانصرف نادر وسمير وكذلك إيهاب وباقى الشبابِ المُلتفِ حولَه كلٌ إلى وجهته، ولكن كلام الرجلِ كان ذا أثرٍ كبيرٍ في نفسِ نادر، الذي كان يتساءل كثيرًا



تُرى أي شيء يَودُّ هذا الرجلُ أن يعلمه لي؟ ولماذا ربطَه بالجرأةِ؟! أظنُ أنَّه تاجرُ مخدراتٍ أو تاجر من تجارِ السلاحِ، لعلَّه توسَّم شيئًا فيَّ أحبَّ أنْ يتبناه أو ربما رآني أُجسده في شبابِه.

نادر شابٌ في السنةِ الثالثةِ من الجامعةِ من أسرةٍ متوسطةٍ يسكنُ في أحدِ أحياءِ القاهرةِ الكبرى يهوى الغناءَ ويتمنى أن يجدَ مَنْ يكتشفه ويخرجه للنورِ ليلحقَ بمَن سبقوه إلى عالمِ الفنِ والطربِ، كان يهوى من الموضةِ ما يُلفتُ الانتباهَ، كشعرِه الطويلِ المُرسَلِ على كتفِه والذي أحيانًا يربطه بتوكةٍ فيبدو بوجهه الطويلِ الأبيضِ وملامحِه الجذابةِ، أشبه بلصوصِ شيكاغوا، وعيونِه اللامعةِ وقليلٍ من شعرِ الدوجلاسِ على ذقنه كان يجعل له شكلًا أخَّاذًا وغامضًا، وربما عشقه للنساءِ كان السببَ الرئيسي في اهتمامه بأدقِ التفاصيلِ في هيئته، ورغم أنَّه من أسرةٍ متوسطةٍ إلا أنَّه كان يحرصُ على انتقاءِ ملابسه من ماركاتٍ عالميةٍ، وكان هذا من أهمِ الأسبابِ التي تخرجه من حياةِ اللهو إلى العملِ المؤقتِ، الذي يمكِّنه من شراءِ احتياجاته من هذه الملابسِ الراقيةِ، ففكرة الثراءِ السريعِ كانت هي الشيء المُستحوذُ على عقله وعقل زميله ليلَ نهار، ولم يكونا يصرفا تفكيرهما عن وسيلةٍ تمكِّنهما من الثراءِ السريعِ حتى ولو صادقا الشياطين وارتقا حمأةَ الخطيئةِ، كانا يستعجلان الحياة ويشعران أنَّ المسافةَ الفارقةَ بينهما وبين أن يكونا في قمةِ الدَّنيا مسافةُ بسيطةُ ولكن هل كانا يعلمان ما الدنيا.... وماذا تخبِّئ لهما؟

ورحلة نادر في البحثِ عن الذاتِ بدأت في فترةٍ مبكرةٍ فكانت حياته تأخذُ



منحنياتٍ سريعةً وغيرَ منتظمةٍ، فقد استولت عليه فكرة أنَّه لا قيمة له وأنَّ حياتَه ليست بالشيءِ الثمينِ الذي ينبغى عليه أنْ يبذلَ أي مجهودٍ في الإبقاءِ عليها، لم تراوده أبدًا أفكارٌ انتحاريةٌ ولكن لم يكن يُمانعُ أنْ يدخلَ في أي تجربةٍ حتى وإن كان الموتُ يُطلُّ عليه من بابها، فعندما كان يجلسُ مع ريم - إحدى صديقاته المتزوجات - في بيتها يمارسان الجنسَ بكل انحرافاته، رنَّ هاتفُها لِتَجد زوجهَا يُخبرُها بعدمِ سفره وأنَّه سيكونُ في البيتِ في غضونِ نصف الساعةِ؛ فهبت واقفةً تُخبرَ نادر بضرورةِ مغادرته بعد أن كانا اتفقا على أنْ يبيت عِندها، كانت الساعةُ تشيرُ إلى الثالثةِ بعدَ منتصفِ الليلِ عندما غادر نادر منزلها بمصرَ الجديدةِ وتوجَّه إلى الشارعِ وهو يمارسُ هوايتَه في الغناءِ، كانت الشوارعُ خاليةً من المارةِ ومظلمةً إلا من أضواءِ السياراتِ وقليلٍ من أعمدةِ الإنارةِ التي لم يزل بها مصابيحٌ، كان يغنى ويتذكرُ حالَ هذا المسكينِ الذي قد فارقَ فراشِه منذُ دقائقِ، وهل يمكن أنْ يكتشفَ أنَّ رجلًا آخرًا حل محلَه وعاقرَ امرأتَه ورأى منها ما يراه؟ ولكنه لم يكن يشعرُ نحو زوجِها بأى شعورٍ من الشفقةِ، فكان يقولُ إنَّ المُتعَ تُنتَزعُ انتزاعًا لا يُستأذنُ فيها أحدٌ، وما دُمتُ أستطيعُ أنْ أنتزعَها فهي حقى الأصيلُ الذي لم تعطه لي الدُّنيا فانتزعتَه!

ظلَّ على هذه الحالةِ من النشوةِ والطربِ حتى تفاجأ برجلٍ يرتدى بيجامةً يخرجُ عليه في نهايةِ شارع النزيه خليفة ويستوقفه قائلاً:

- ما هذا الطربُ وهذا الصوتُ الجميل؟! تُغنى وكأنك تفقدُ الاحساسَ بالوقتِ! الساعة الآن الثالثة والربع بعدَ منتصفِ الليلِ،أظُنُّك تحسبُها



التاسعةَ مساءً!.

- لا بل أعلمُ جيدًا أنَّها الثالثةُ، ولكن ما يُغضبُك أنتَ فى هذا؟!

أمسك الرجلُ بوجهِ نادر وراح يتفحصَه بشكلٍ غريبٍ ويقول:

- أنتَ اسمك على؟

- لا.

- رأفت؟

- لا!!

- ما اسمك إذن؟

- نادر!!

- أه نادر وصوتك أيضًا نادر، هيا قل ما اسمى؟

- فامسك نادر بوجهِ الرجلِ كما فعل معه وراح يقول له: أنتَ أحمد؟

- لا ولكنَّك اقتربتَ.

- أكيد محمد؟

- نعم، أنا الدكتور محمد استشارى أول جراحة في مستشفى الأمل العام.

- أهلا وسهلا بك يا دكتور وأنا نادر لازلت طالبًا في الجامعةِ.

- هل تسمح لي أنْ أدعوك لتناولِ فنجانٍ من القهوةِ عندى في البيتِ؟

- نعم بكلِ سرورٍ، هل بيتُك قريبٌ من هنا؟

- نعم على بعدِ خمس دقائقٍ.



- لذلك تخرجُ إلى الشارعِ بالبيجامةِ؟!
- الوقتُ متأخرٌ والشارعُ كما ترى يخلو من المارةِ وأنا أحبُ الشعورَ بالانطلاقِ، هل يُضايقُك أنْ تسيرَ مع رجلٍ يرتدى بيجامةَ؟
- لا أبدًا أنا أحبُ تجربةَ كلِ شيء وهذا أمرٌ لم أُجربَه حقًا من قبلِ.
- تعالَ أنا أسكنُ هنا في هذه العمارةِ في الطابقِ الثالثِ انظر هنا إلى لوحةِ الانتركم

نظر نادر فوجد مدونًا على إحدى الأزرةِ اسم الدكتور محمد علوان أبو النيلِ، فالتفت مصوبًا وجهَه نحو الدكتور فوجدَّه ممسكًا ببطاقته ويرفعها في وجهه، انظر إنَّه أنا .

- نعم أرى، هيَّا نصعدُ نتناولُ القهوةَ أم أنَّك تنوى أن نتناولَها هنا على بابِ العمارةِ؟
- لا هيّا تعالَ معي.

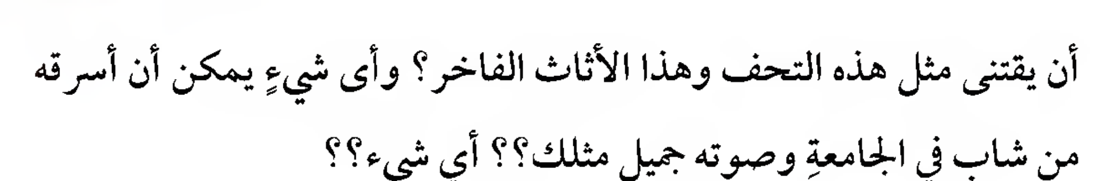
صعدَّ الاثنان إلى الطابقِ الثالثِ ودخلا إلى شقةِ الدكتور محمد، كان المكانُ مظلمًا يوحى بالوحشةِ، فسارع الدكتور في الطرقةِ مُنتحيًا إلى اليسارِ نحوَ مفتاحِ الإضاءةِ وضغطَ عليه؛ لينبثقَ نورٌ أحمرُ هادئ من ثرِيَّا مكونةٍ من أربعةِ أدوارٍ من الكريستالِ على شكلِ مربعاتٍ، مُثبتٍ في أعلى مربعٍ منها اثنى عشر مصباحًا من الحجمِ الصغيرِ تكفى لإنارةِ المكانِ بشكلٍ يسمحُ بتفحصه، كان الأثاثُ كلُّه مُغطى ويعلوه الترابُ في شكلٍ يوحي بأنَّه مكانٌ قد هجره أهلُه من أعوامٍ طويلة حتى



أرضية الغرفِ كان يعلوها الترابٌ بشكلٍ يوحي أنَّها لم يدخلها أحدٌ من فترةٍ كبيرةٍ إلا أثار أقدامٍ في الممرِ الطويلِ المُوصلِ من بابِ الشقةِ إلى غرفةِ النومِ والمطبخِ، كانت الشقةُ مساحتها كبيرةٌ وتطلُّ على حديقةٍ ودار أيتامٍ، ومُعلقٍ على جدرانها لوحات رُسِمَت بعنايةٍ كما أُختِيَر مكانها بعنايةٍ وكذلك التُحف الموضوعة في زوايا الصالةِ الكبيرةِ كانت تُوحى بذوقٍ رفيعٍ، وقف نادر دقائقَ يتأملُ كلَ شيء في صمتٍ ويتسأل كيف لهذا الرجل أن يعيشَ في كلِ هذا الثراءِ وحدَه؟! فقد كان واضحًا أن الشقةَ خاليةٌ من أي أحدٍ ماعدا نادر والدكتور، شعرَ أنَّه يقفُ وحدَه في الصالةِ ويبدو أن تأمله في المكانِ والتحفِ قد أخذَّ عدةَ دقائقٍ تزيدُ عن العشرةِ فلما انتبه التفت خلفه باحثًا عن الدكتور ولكنه تفاجئ به يقفُ خلفَه مُمسكًا في يده خنجرًا ذا نصلٍ لامعٍ ويبتسم، في أول الأمر ظنَّ أنَّه أتى به ليريه إيّاه ولكنَّه تفاجأ به يقول:

- لا تلمسه وإلا قطعتُ به يدك، تعال إلى هنا وقف مُلصق ظهرَك إلى الحائطِ.
- نادر وهو يبتسم في صدمةٍ: ماذا تفعل يا دكتور محمد أنا لا أهوى هذا النوعَ من المزاحِ.
- أي مزاحٍ؟ أنا سوف أقتلك الآن هيا اخرج ما في جيوبك كاملاً
- جيوبى!! أنت لص إذن ولست طبيبًا.
- لا أنا طبيبٌ.. طبيبٌ محترمٌ- مدَّ يدّه إلى جيبه وأخرج بطاقتَه مرةً أخرى - انظر أنا الدكتور الاستشارى محمد علوان أبو النيل، انظر حولك تعال هنا - أمسكَ بيد نادر وراح يدفعه في اتجاه الصالون مرة أخرى - هل يستطيع لص





أن يقتنى مثل هذه التحف وهذا الأثاث الفاخر؟ وأى شيءٍ يمكن أن أسرقه من شابٍ في الجامعةِ وصوته جميل مثلك؟؟ أي شيء؟؟

- إهدأ يا دكتور واعطنى هذا الخنجر من فضلك..

- أقول لكِ أنا سوف أقتلك الآن فأنتِ قوى الشرِ المُتجسدةِ، سوف أرحمُ العالمَ كُلَّه منكِ أيّتها المرأة المتخفية، نعم ظننتى أنكِ استطعتى خداعى؟؟ هه هه هه هه هيهاتَ أنا أعلمُ أمرَكِ من أولِ لحظةٍ ولكني تظاهرتُ بالغباءِ لتأتي معي إلى هنا، قولى لي يا كوثر هل جئتى لتتأكدى أننى قد جننت؟ لا أنا لم أُجَن بعدُ، أنا أمامك بكاملِ قواى العقليةِ أنا الدكتور الاستشارى محمد علوان أبو النيل، أين أخفيتى سلمى يا كوثر أين أخفيتيها؟! انطقى... ثم استدار بكليتهِ إلى نادر ونظر في عينيهِ:

- اليوم سوف أسترجع ابنتى منكِ،اليوم لن أنام إلا وسلمى بين أحضانى، لن أقتلك قبل أن تعترفى، هيا انطقى أين أخفيتيها قولى..

كان الدكتور يقرب الخنجرَ من نادر بشكلٍ يسمحُ بأن يجرحه وكان نادر يبتعدُ في محاولةٍ لفهم ما يدورُ حوله وأي امرأةٍ هذه التي يُحدِّثها الدكتور داخله؟!

ثُمَّ جثا الطبيبُ على ركبتيه وأمسك بيد نادر وهو يبكى بمرارةٍ، أرجوكِ يا كوثر لا تحرمينى منها أرجوكِ، إنَّها ابنتى الوحيدة أُريدُ أنْ أُقبلُها وأُداعبُ خصلات شعرها الناعم كما تَعوَّدت وكما عوَّدتها أن أكونَ معها في كلِ مكانٍ، أرجوكِ يا كوثر لا تحرمينى منها.... ثم ألقى الخنجرَ من يده وأخذَ يبكي في مرارةٍ وحرقةٍ.



وسريعًا تناولَ نادر الخنجرَ ووضعه في ظهرِه بين لحمِه وبنطالِه بحيثُ يبقى النصلُ للداخلِ والمقبض إلى الخارجِ كما يفعلُ ضباطُ الشرطةِ بالطبنجاتِ، ثم اقترب إلى الطبيبِ الذي أخذَّ يبكي ويتشنجُ وتنسابُ من فمِه وأنفِه مياهُ لزجةٌ وهو يقول:

- صدقيني أنا لستُ مجنونًا أنا لا أُريدُ منكِ أي شيء.... فقط أعطيني ابنتي أعطيني سلمى..

- اهدأ يا دكتور سترى سلمى لا تقلق حتمًا ستراها....

فبدأ وجُه الرجلِ ينفرجُ ويتهللُ ويتوقفُ نحيبُه ثم نظرَ إلى نادر في تأملٍ وقال:

- متى تنوين أن تأتين بها إلى هنا لتعيش معي دائمًا كما كانت من قبل؟

- اممممم كما تعلم الآن الساعة متأخرة، دع لي فرصةً حتى الصباحِ وبإذن الله أعدُك أن تكون سلمى معك...

- كم أنتِ إنسانة يا كوثر...

- أشكرك، ولكنَّك أفزعتني كثيرًا،هل كنت تنوى أن تقتلني بالفعل؟!

- نعم لو أصريتي أن تبعديها عني..

فنظر إليه نادر بترقبٍ وقال:

- ولكني لست كوثرَ، أنا نادر كما أخبرتُك

- أعلمُ.. أعلمُ أنَّك لست كوثرَ

- تعلّمْ؟!! ولماذا فعلت ما فعلت؟!

عاد الطبيبُ للبكاءِ: لأني ضعيفٌ ومجنونٌ ولا أجد كوثرَ، بل لا أستطيعُ ـ إنْ



وجدتُها ـ أنْ أقتربُ منها فهي بنتُ مسئولٍ كبيرٍ وهم من أخرجونى من الخدمةِ وأخذوا ابنتى وجعلونى هنا وحدى لا شيء معي إلا هذه الذكريات، وهذا التراب الذي كسا كلَّ شيء، حتى نظرتي للدنيا صارت ترابًا تمامًا... كأنّك تنظرُ إلى الدنيا من عدساتِ نظارةٍ متسخةٍ فيشوبُ الترابُ كلَّ ما ترى...

- أراك أفضلَ الآن هل يمكنُ أن ننهضَ من الأرضِ ونجلسَ في مكان آخر نتناولُ القهوةَ التي وعدتنى أو استدرجتنى بها إلى هنًا؟ هل يمكننا فعل ذلك؟

نهضَ الطبيبُ وهو يبتسمُ وقام معه نادر وراحا إلى المطبخِ وأخذ الطبيبُ في إعدادِ القهوةِ وهو يسترسلُ في حكايته:

- أعجبت بك جدًا وأنت تسيرُ في الشوارعِ وتُغنى وتبتسمُ للدنيا، أين كنت في هذا الوقتِ المتأخرِ؟

- كنتُ في طريقِ العودةِ إلى المنزلِ كنتُ أزورُ قريبةً لي تسكنُ بالقربِ من هنا.

- هل أنتَ معتادٌ أن تسيرَ في هذه الأوقاتِ المُتأخرةِ؟ ألا تخشى أن تُقابلَ واحدًا من اللصوصِ أو قُطاعِ الطُرقِ؟

- لا... لأني لا أملكُ ما يجعلنى مُستهدفًا لهذه الفئة، أنتَ نفسك قُلتها ماذا سيأخذُ لصٌ من طالبِ جامعةٍ، أنا لا أملكُ في جيبى إلا بطاقةً شخصيةً وربما جنيهين أو ثلاثةَ فأي شيء يجعلني هدفًا للص؟! لا شيء.

- ولكنَّك جريء بأن تُقدِم على الصعودِ مع رجلٍ مجنونٍ مثلي إلى بيته فربَّما قتلك وربَّما وجدت في شقته ما يَغيبُ عن رأسِك ويُغيِّرُ حياتَك ربَّما إلى



النقيضِ، سيتبدَّلُ هذا الصوت الجميل والسعادة ستُصبحُ أحزانًا وآلامًا متتالية.

- قلتُ لك ليس عِندي ما أخسره حتى لو كنتَ أقدمتَ على قتلى لم أكُن لأخسر شيئًا إلا عمرًا لا أعلمُ في أي شيء سوف أقضيه، هل سأقضيه في ثراءٍ وترفٍ أتشوقُ إليه أم في أوهامٍ وأحلامٍ تلُمُ بى كلَ يومٍ وليلةٍ، أنا لا أفعلُ شيئًا في الدُّنيا إلا النساءَ وتدخينَ السجائرِ والسيرِ في الطرقاتِ كما رأيتَ، ولكني أملكُ فضولًا يجعلنى أُصرُّ على أن أسمعَ حكايتَك من أولِها.

- كنتُ طبيبًا ناجحًا جدًا ولكَنَّ زوجتى كانت على علاقةٍ برجلٍ وكان يأتي إلى هنا في غيابى، وفي يومِ عدتُ من العملِ لأجدها تتلوى بين يديه كالأفعى وعلى سريرى، انتابني الجنونُ وحاولت أن أقتلَها ولكنها أفلتا وهرَبا من البابِ بعد أن أغلقا عليَّ بابَ غرفةِ النومِ من الخارجِ، وارتدا ملابسهما وخرجا بشكلٍ مهذبٍ لائقٍ كأنهما حبيبان أغلقا للتو البابَ على ثورٍ هائجٍ اقتحم عليهما خلوتهما وكاد يعكر صفوهما،فتحتُ الشباكَ وأخذتُ أصرخُ ولكن لم يَهب أحدٌ لنجدتي،على ما أتذكرُ ظللتُ أصرخُ ساعاتٍ طويلةً حتى اقتنع أحد الجيرانِ أن يدخلَ الشقةَ بعد أن تركت الخائنةُ البابَ مفتوحًا وكسرَ بابَ الغرفةِ ليخرجني، في هذا الوقتِ لم تكن سلمى في البيتِ بل كانت في النادي ولكني عندما ذهبت إلى هناك علمتُ أن الخائنةَ قد سبقتنى وأخذتها، ومنذُ ذلك اليوم لم أرَها، كنت كالمجنونِ أو إن شئتَ قل كالقطةِ



التي سُرِقَ منها أطفالُها، أنا بطبيعتي رجلٌ مسالمٌ لم أعرفْ في حياتي غيرَ الطبِ والمرضى وفرحةَ ابنتى سلمى، أردتُ أن آخذَها وأطوي صفحةَ هذه المرأةِ من حياتي وأعيشَ مع ابنتى بعيدًا عن الخيانةِ وعن البشرِ، ولكنَّ هذا لم يرضِ أخاها الذي اتصلَ بى وطلبَ أن أقابله في مكتبِهِ ولما ذهبتُ إليه وجدته يقولُ لي لابد أن تنسى البنتَ وأمَّهَا إن أردت أن تحيا حياةً طبيعيةً، لم يكن يُساوِمُنى بل كان كلامه أشبه بالأمرِ... بل هو أمرٌ بالفعل.

- ولكن ماذا يملك هذا الرجلُ من القوةِ ليجعلك تُطلَّق زوجتَك وتترك ابنتَك ولا تقتصُ لنفسِك وتمضى هكذا وحدَك بكلِ هذا العذابِ، كيف استطاع وبأى سلطةٍ أن يمنعك من أن تقتَسم بينكم العذابَ والآلام؟

- بل قل أي ضعفٍ كنتُ أملكُ أنا وأي ذلٍ ومهانةٍ انتابتني وكم من حذاءٍ اعتلى كرامتي وأنا أوقعُ على قسيمةِ الطلاق ليهنأ الخونة، ولكن بعد وعدٍ شفهي بأن أرى ابنتى كل فترةٍ في منزلهم وأظنَّك تعرفُ جيدًا أن الوعودَ التي تبرمُ بين طرفين أحدهما قوي والآخر ضعيف لا يمكنها أن تكونَ واقعًا أبدًا ولا يحقُّ للطرفِ الضعيفِ أن يطالبَ بها إلا توسُّلاً أوتسولًا وتذللًا.

- أنا لا أفهمُ شيئًا يا دكتور، لماذا لم تقل لا؟

- لأنِّي في فترةٍ بسيطةٍ كنت في نظرِ القانونِ مجنونًا، وأعطاني العملُ إجازةً مفتوحةً بأجرٍ كاملٍ لحين بلوغ سن المعاشِ، هل سمعتَ من قبل عن مجنونٍ يقفُ أمامَ مِنصةِ القضاءِ ليطالبَ بحضانةِ ابنته؟ ولو حدث هل ترى القاضي



يحكمُ له؟

- كم أنت طيبٌ يا دكتور محمد، ولكن على أي حالٍ إن كنتَ جادًا في حبك لابنتك وترى أن الحياةَ دونها مجردُ عذابٍ لا ينقطع، فأنا أرى أن تقومَ الآن فتحضر ورقةً بيضاءَ تتنازلُ فيها لي عن كلِ ما تملك من رصيدٍ في البنوكِ، وعن هذه الشقةِ وأثاثِها الفاخرِ، وأيضا سيارتك إن كنت تملكُ سيارةً، ثم تأخذُ خنجرَكَ هذا وتذهبُ لهذه المرأةِ التي دمرت حياتَك وتقتلها، وكما قلت.. أنتَ في نظرِ القانونِ مجنونٌ فإن قتلتها فلن يُعاملك القاضى إلا كما يُعاملُ المجانين ولن يحكمَ عليك على أي حالٍ بل ستوضع في مستشفى للأمراضِ العقليةِ وتجدُ هناك مِن الأمنِ والرعايةِ ما تفقده هنا، وحينها يمكننى أن آتى لزيارتك ومعى سلمى بعد أن أكونَ قد بحثتُ عنها ووجدتها وأطلعتها على الحقيقةِ كاملةً وأخبرتُها أنَّك ما قتلتَ إلا من أجلِ عيونها السوداءِ.

- ولكنَّ سلمى عيونُها خضراءُ وليست سوداءَ.
- إذن أنت توافقنى على المبدأ؟
- لا أدري....
- إذن فلماذا لا نأخذ خطوةً عمليةً حيال تنازلك لي عن كلِ ما تملك؟
- ولكنِّي لا أملكُ رصيدًا في البنكِ وكذلك لا أملكُ سيارةً، أنا لا أملك إلا هذا المنزلَ الذي يعتلى الترابُ كلَّ أركانهِ والخالي من سلمى، ولكنِّي لن



أبخلَ عليك بشيءٍ- فتحَ الطبيبُ الثلاجةَ وأخرجَ منها طبقًا به عسل أبيض وناوله نادر - تفضَّل هذا عسل من نوعٍ فاخرٍ هل تحبُّ أن أُحضرَ لك معه قطعةً من القشطةِ اللذيذة؟

نظر إليه نادر وقد بدأ يقتنعُ أنَّ محدثَه مريضٌ باضطرابٍ نفسيٍ حقيقيٍ أو مجنونٌ تنتابه لحظاتُ إفاقة.

- الأموال يا دكتور.... أين الأموال؟....... أين تحتفظ بها؟
- الأموال اممممم لا أدرى.... أنا لا أملكُ أيَّ أموالٍ... لا أملكُ إلا راتبي...
- ألا يوجد هنا أيُّ مبلغٍ تُعطيه لي كهديةٍ؟
- لا أدري ربَّما كان هنا أو هناك تعال نبحثُ عنه سويًّا ولكن بعدَ أن تتناولَ طعامك .
- ولكني لا أحبُ العسلَ... ألا يوجد عندك شيء مشوى؟
- لا يوجد انظر إلى الثلاجةِ - مدَّ الطبيبُ يده وأخرجَ له طبقَ زيتون- خذ هذا الزيتونَ أيضا فهو من الأطعمةِ المفيدةِ جدًا.
- زيتونٌ مع العسل؟!
- نعم والقشطة... أنا أُحبكُ يا نادر أنت مثل سلمى ابنتي تمامًا، أُريدُ أن أغذّيك.
- أشكرك على شعورك، ولكنَّ جيبي أكبر حجمًا من معدتي وهو أولى بالشفقةِ فهلا غذيته هو الأخر وتركتنا ننهضُ ونبحثُ عن الأموالِ، أنا أشعرُ أنَّ



هناك الكثير منها، أظنك وضعتها في دولابٍ أو درج ما أو خزينةٍ...

نهضَ نادر واقفًا وتوجَّه إلى بابِ المطبخِ وقامَ الطبيبُ يتبعه إلى غرفةِ النومِ، وراحَ الطبيبُ يبحثُ في الأدراجِ عن نقودٍ وكان يبدو عليه الحزمُ في البحثِ كمن يبحثُ في بيتٍ يدخله لأوَّلِ مرةٍ، ولم يكن نادر ليقتنع بأن يتركَ الدكتور يبحثُ وحدَه فراحَ يُشاركه بحثَه وأخذَّ يفتحُ الأدراجَ في ترتيبٍ ويُخرجُ ما فيها فيجدُ أوراقًا لأبحاثٍ طبيةٍ وروشتات أدويةٍ قديمةٍ، وأخذ الطبيبُ كيسًا بلاستيكيًا أسودَ، ووضعَ فيه بونبونيرةً قديمةً ملطخةً بألوانٍ غير متناسقةٍ وبها أخطاء ناتجة عن التصنيعِ وأعطاها نادرًا وقال:

- تفضَّل، خُذ هذه البنبونيرةَ يمكن أن تضعها عِندك في الصالةِ وتستعملها.

- نظرَ إليها نادر في ازدراءٍ، وقال: الأموال يا دكتور أين الأموال؟

- أنا أبحثَ أمامك...

وبعد عناءٍ جلسا الاثنان بخيبةٍ بعد بحثٍ لم يُسفرُ إلا عن بضعِ قصاصاتٍ من الورقِ وصورتين، أعطاهما الدكتور لنادر إحداهما صورته والآخرى صورة ابنته سلمى، وقال له إنَّنى أهدى لك هاتين الصورتين فاحتفظ بهما، تناولهما نادر بنفس خيبةِ الأملِ، كان جالسًا على الأريكةِ في حالةِ استرخاءٍ يُفكرُ في أحداثِ ليلته الغامضةِ بدءً من ريم وزوجها المُتعجِلِ بالعودةِ وصولًا لهذا البيتِ الذي حطَّ فيه رحلة مع رجِل مُضطربٍ نفسيًا، شعرَ بصداعٍ يتسللُ إلى جبهته ليحتلَ كاملَ رأسه فراحَ يمسكُها وينظرُ إلى الدكتور في شرودٍ ولكنّه عاجله قائلًا:



- ما بك؟ هل أغضبَك أنَّك لم تجدْ أي مالٍ؟
- لا أبدًا فقط أشعرُ بصداعٍ، فمواعيد نومى مضطربةٌ منذ زمنٍ بعيدٍ، لا تشغلُ بالكَ.

وعِندها قامَ الطبيبُ في أُستاذيةٍ، وأتى بورقةٍ وقلمٍ وراحَ يكتبُ روشتةً بدأها باسمِ المريضِ وتاريخِ الليلةِ، وراحَ يُدوِّنُ بها أسماء لعقاقيرَ طبيةٍ منومةٍ، وأعطاها لنادر الذي أخذها وراحَ يتأملُها في صمتٍ، فقد كانت الروشتةُ قد كُتِبَت بعنايةٍ ورُصَّت الأحرفُ فيها بإتقانٍ، فلم يكن يستطيعُ نادر أن يضعَ الرجلَ في خانةٍ ويعامله بِناءً عليها فهو تارةً عاقلٌ وتاراتٍ مجنونٌ كأغلبِ الناسِ اليومَ، ولكنَّ الدكتور كان مجنونًا من نوعٍ خاصٍ نوعٍ يستطيعُ أن يُمسك بالخنجرِ وربَّما يستطيعُ أيضًا أنْ يدسَّه بين الضلوعِ، فخنجره الحائرُ بين ضلوعِه من يومِ أن فارقَ ابنته سلمى والذي لم يستقرْ في قلبِه بعد، لا يتركُ لعقلِه فسحةً كبيرةً من الوقتِ حتى تُعاودَه نوباتُ الانتقامِ، فرحَ نادر في أولِ الأمر بالروشتةِ وانتابته أفكارٌ متشردةٌ كأن يصرفَ الدواءَ المنومَ ويستعمله أيَّما استعمالٍ يراه بل ويجربه تارةً في الاستيلاءِ على المالِ وتاراتٍ في الاستيلاءِ على الشرفِ، إلا أنَّ فرحتَه تقلصت عِندما وجدَّ الدكتور قد دوَّن في نهايةِ الروشتة «لا يُصرفُ إلا مرةً واحدةً ولا يُكررُ والله الشاهد» فألقى نادر بالورقةِ وقالَ:

- وهل تُرى أنَّ هذه الورقةَ التي اقتطعتها من كراستك تصلحُ لأن يصرفها صيدلي؟



- نعم سيصرفها ولا تُكررُ هذا الدواءَ لأن له أثارًا إدمانيةً...
- كم يمتدُ مفعوله تقريبًا؟
- خذُّه ليلًا في العاشرةِ وستنام نومًا هنيئًا وتصحو صباحًا.
- نعم ولكن كم يمتدُ مفعولُه؟
- استعمله كما شرحتُ لكَ..
- ولكني من أصحابِ النومِ الخفيفِ فربَّما يضيعُ مفعولُ دوائك بمجردِ أن يدخلَ أحدٌ إلى غرفتي.
- أنا أثقُ أنَّك ستتحسن مع هذا الدواءِ إلى درجةٍ بعيدةٍ.

يأس نادر من أن يصلَ إلى مرادِه مع ذلك الرجلِ المُحيرِ؛ فالتزم الصمتَ وأخذَ يتأمَّلُ الروشتةَ مرةً أخرى، ثم دسَّها بين طياتِ ثيابه بجوارِ كارت المهندس إيهاب ثم قال:

- سأبيتُ عندك الليلة فكما تعلمُ لن أجدَ الآن أي مواصلاتٍ...
- نعم بت عندى الليلة وأريدك أن تأتي دائمًا لتطمئنَ عليَّ، سأعطيك مفاتيحَ الشقةِ ورقمَ تليفونِ المنزلِ لتطمئنَّ عليَّ كلَّما سنحت لك الفرصة...
- يُشرفني جدًا يا دكتور ولكن ألا يزورك أحد؟
- لا... فقط أختى تأتي وأولادها للاطمئنان عليَّ كلَ فترةٍ...
- حسنًا... أُريدُ أن أنام......
- تنام؟!! انظر إلى ساعتك باقى عشرة دقائقٍ على آذان الفجرِ،



ثُّم قام الدكتور كالمذعورِ واتجه نحو غرفةِ النومِ وأدارَ الكاسيت وضبطه على محطةِ القرآنِ الكريمِ، والتي بدأت في نقلِ شعائرِ صلاة الفجرِ وأخذَّ في رفعِ صوتِ سماعاتِ الكاسيت إلى آخرها، فصارَ الصوتُ يشبه الرعدَ الشديدَ حتى اهتزت نوافذُ الغرفةِ مع كلماتِ المنشدِ، وقف نادر في حالةٍ من الدهشةِ وهو يحاولُ أن يُقنِعَ الدكتور بتخفيضِ صوتِ الكاسيت، ولكنَّه أسرعَ إلى النوافذِ وراحَ يفتحُها واحدةً تِلو الأخرى، مما زادَ من ضيقِ نادر وراحَ يُعنِّفُه:

- يا دكتور، الناسُ الآن كلُّها تغطُّ في نومها، وصوت الكاسيت حتمًا يزعجهم.
- هذا ليس وقتَ نومٍ؛ هذا وقتُ صلاةٍ، فلينهضوا ليصلوا أولًا، أنا المسحراتي وهذا عملي، أن أوقظ الناسَ إلى الصلاةِ...
- مسحراتي؟!
- نعم أنا المسحراتي قالها ثُمَّ تناولَ بيده ملعقةً خشبيةً كانت مُلقاة تحت السريرِ وراحَ يدقُّ على أثاث المنزلِ من الدولاب إلى الطاولةِ،حتى التليفزيون كان يدقُّ عليه وهو يقولُ «اصحى يا نايم وحد الدايم وقول نويت بكره - إن حييت - الشهر صايم والفجر قايم اصحى يا نايم وحد الرزاق» فابتسم نادر في خيبةِ أملٍ عريضةٍ وأخذ مكانًا في الزاويةِ وأشعلَ سيجارةً وراحَ يُشاهده وهو يتراقصُ أمامه في حركاتٍ بهلوانيةٍ ويُكملُ بعفويةٍ «مسحراتي منقراتي منجراتي دواليب زمان، ما تشتكوشي دقة شكوشي جت في الأوان، يا ناس



حبايب يا ناس جيران أنا قلبي دايب على البيبان، عجوز شوية لكن عنيا روحين حنان، لا ظني سيِّئ ولا جبان.....المشي طابلي والدق على طبلي ناس كانوا قبلي قالوا في الأمثال الرجل تدب مطرح ما تحب، وأنا صنعتي مسحراتي في البلد جوال» وظل هكذا مع صوتِ المُنشدِ، كان الصوتُ مرتفعًا لدرجةٍ يصعبُ معها أن تستقرَّ نفسُ نادر داخله، فكأنها خرجت منه وراحت تَهيمُ حولَ جامعِ الأزهرِ وحواري مصر القديمة لتعود فتتجول عميقًا داخلَ هذا الطبيب الذي لا يستقرُّ على حالٍ، والذي ينتابه المسُّ بين دقيقةٍ وأختها، قامَ نادر وراحَ يتجوَّلُ في المنزلِ كمن يُلقى عليه نظرةَ الوداعِ، ثُمَّ توقفَ في الطرقةِ أمامَ البابِ وألقى بالباقي من سيجارته تحتَ قدمه، وراحَ يُنادي على الدكتور الذي جاء يجري وبيده ملعقته الخشبية وهو يدقُّ على الحوائطِ وعلى كلِ ما يقابله:

- أين ستذهب؟!

- ذاهبٌ إلى المسجدِ المجاورِ لبيتك، أشكرك أيُّها المسحراتي على هذا الوقتِ المُمتعِ.

- ألن تبيت معي الليلةَ كما اتفقنا؟!

- لا بل سأتركك لصلواتِك وخلوتك وأذهبُ أنا أيضًا للصلاةِ...

- لا لا انتظر... لا تغادر قبلَ أن تطمئنَّ عليَّ، تعال..

جَذَّبه الطبيبُ من يده وتوجَّه به إلى غرفةِ النومِ، ثُمَّ تركه على بابِها وتوجَّه إلى



السريرِ وألقى بنفسهِ عليه ثم نظر إليه وقال له:

- هيا احضر هذا الغطاءَ، وافرشه عليَّ كما كانت تفعلُ أمي معي، وقبِّلني من رأسي وتمنَّى لي أحلامًا سعيدةً..

- ستنام؟! والصلاة؟!!

- سوف أنام هيًّا افعل ما طلبته منك وإلا بكيتُ.....

ضحكَ نادر ملء شدقيه وراحَ يُبعثِّرُ الغطاءَ على جسدِ الطبيبِ المُلقى على السريرِ وهو يقولُ:

- حسنا أيُّها المسحراتي العجوزُ أيقظت الناسَ للصلاةِ، وذهبتَ أنت لتخلدَ للنومِ، يا لك من ذئبٍ عجوزٍ، ثم قبَّل رأسه ونظرَ في عينيه فوجدَ فيها طفلًا لا يتجاوز الخامسةَ من عمره ولا تسعه الفرحةُ يُريدُ أن يخرجَ ليتعلقَ برقبته فما كان من نادر إلا أن قالَ له:

- هيَّا تُصبحُ على خيرٍ، أتمنى لك أحلامًا سعيدةً، وإن التزمت بهدوئك سوف أحضرُ لك كلَّ ما تُريدُ هيا اغمض عينيك وسوف أطفئ لك النورَ، وأذهب...

- لا لا تغلقْ النورَ بل دعه.

- ستنام في النور؟

- نَعم أنا معتادٌ على هذا.

- تُصبحُ على خير.



- وأنتَ من أهله.

توجَّه إلى بابِ الشَّقةِ، وعلى وجهه ابتسامة، وهو يُحدثُ نفسَه بأن الإنسانَ مهما كَبُرَ ومهما تبوَّأ من مناصبَ؛ تظلُّ روحَه تهفو إلى ذلك الطفلِ الذي يسكنه ولا يغادره أبدًا، كان يَعلمُ أن الإنسانَ مجرَّدُ طفلٍ تثقله خبراتُ الدنيا بالهمومِ، وما أن تنقعشَ سحبُها ولو لثوانٍ يُعاود ذلك الطفلُ الخروجَ والعبثَ بكلِ ما يُحيطُ به، وتنطلق عفويته فيستمتعُ بها باقي الأطفالِ من حوله، والذين لم تنقعش سحبُ همومهم بعد، لم يكن نادر يعلم إلى أين ينطلقُ في هذه الساعةِ التي لا يُوجدُ بها أي مواصلاتٍ لتنقله إلى بيته، كان يُمسك بيده سجارةً قد أشعلها بمجردِ خروجه من منزلِ الطبيبِ، وفي يده الأخرى كيسًا بلاستيكيًا به بونبونيرة وصورتين للطبيب وابنته، أخرج الصورَ وراحَ ينظرُ إليها ويتأملُ وجهَ الطبيبِ الذي كان يبدو عليه الحيوية والجد في هذه الصورةِ، توجَّه إلى موقفِ السياراتِ علَّه يجدُ وسيلةً تنقله، وعندما وصلَ وجد سيارة ملاكي من ماركة شاهين يجلسُ داخلها أربعةُ أفرادٍ بخلافِ السائقِ، الذي نظرَ إليه متسائلًا عن وجهته، فأخبره... فالتفت السائقُ لجلسائه، وراحَ يُحاولُ أن يستعطفهم ليفسحوا مكانًا ولو ضيقًا يتسع لهذا المسكين، الذي يُريدُ أن يذهبَ لبيته تمامًا مثلهم، ومع إلحاحِ الرجلِ تبرعَ الراكبُ في مقدمةِ السيارةِ لي فسَّحَ نصفَ كرسيه ليأخذَ نادر بجانبه، كانت أسارير نادر منشرحةً لهذا الرجلِ الخيِّر، صاحب القلبِ الحي، الذي لم يهنْ عليه أن يتركَه هكذا في هذا الوقتِ، وما لبث أن ركبَ ووجدَ الرجلَ الجالسَ بجواره يُخرِجُ من جيبه ورقةً فئةَ الخمس



جنيهاتٍ، ويعطيها للسائقِ الذي بدوره راحَ يجمعُ الأُجرةَ من باقي الجالسين!!

أخرج نادر من جيبه ثمنَ الأجرةِ وناولها الرجلَ بجواره، والذي أعطاها بدوره للسائقِ ثُمَّ التفت إلى نادر في محاولةٍ لجذبِ أطراف الحديثِ، كان يبدو على الرجلِ آثار السُكْرِ، بلسانه المتعثِّرِ وعيناه التي لا تستقرُّ في حدقته، ويده التي تعبثُ بأنفه بين الحينِ والآخرِ، وقد علمَ بعد فترةٍ من الحديثِ أن محدثه يتعاطى الهيروين، وكان يُحاول أن يُقنعه بشتَّى الطرقِ أنه رجلُ مدمنٌ حتى أنَّه قد وَعدَه أن يريه في نهايةِ الرحلةِ وبعد أن يُغادرَ السيارةَ الهيروين الذي بحوزته، كان الرجلُ يشتكي شيئين: الأولَ زوجته كثيرة الشكوى، والتي يشكُّ في سلوكِها ولكنَّه لا يُريدُ أن يظلمها غيرَ أنها امرأةٌ طيبةٌ وابنةُ حلال، وتحمَّلت معه الكثيرَ، والأمر الآخر هو جشع تجار المخدِّراتِ، والذي يتفاقمُ يومًا بعد يومٍ، حتى ما كان بالأمس بقرشٍ أصبح اليوم بعشرة قروشٍ ومغشوشًا أيضًا، وأخذ يشرحُ له كيف يجدُ صعوبةً بالغةً في الوصولِ إلى تذكرةٍ لم تطلها أيدي العابثين من الصبيةِ بخلطها ببعضِ العقاقيرِ المشابهةِ لها في اللَّونِ، نهم الرجلِ في الحديثِ عن نفسه وعفويته بل وتأثره كان ينُّمُ عن نكبةٍ مجتمعيةٍ فهو لا يزيد بأي حالٍ على الثامنةِ والثلاثين، ولكن ملامحَ وجهه كانت كأبناءِ الستين، ولا أدري هل إن قلتُ أبناءَ التسعين أأكون منصفًا؟!!

عاد نادر إلى بيته ومارسَ طقوسَه في النومِ، فاستلقى ولم يستيقظْ إلا بعد آذانِ العشاءِ، لم يكنْ يشعُر في حياته بما يستحقُّ أن يُذكَر، بل ولم يكن يرى أمامه في المستقبلِ القريبِ أو البعيدِ أي شيءٍ جيدٍ يُمكن أن ينتظرَه أو يعيشَ على أملٍ أن يلقاه



أو يصلَ إليه ذاتَ يومٍ،ولكن كان قد استولى عليه حبُ التجربةِ، فكان كمَنْ ينتظرُ الموت، أو مَنْ ينْتظرَه الموتُ ليُصْعِدَه إلى مكانٍ لا يعلمه، فلم يكن يُفوِّتُ أي فُرَصٍ للمغامرةِ أو التعرفِ على أي شيء جديدٍ، فحياته الدراسية لم تكن تشْغله كثيرًا، بل كانت آخر ما يُفكِّرُ به أو يهتمُّ، حتى أنه في يومٍ ذهبَ ليطَّلِعَ على جدولِ امتحاناتِه، والذي كان قد عُلِّقَ من ثلاثةِ أيامٍ فوجَد مادةً تُسمَّى «النماذجُ العشوائيةُ في بُحوثِ العملياتِ ودعمِ القرار»، فلما تعثَّر في حفظِ اسم المادةِ؛ اكتفى بأن يحفظَ الجزءَ الأول من الاسمِ،ويُحفِّظَ صديقَه الجزءَ الآخر!!

ولم يكن يدَّخِرُ جهدًا في إخفاءِ الملازمِ بل الكتب أحيانًا؛ ليدخلَ بها إلى لجنةِ الامتحان فيُخرِجُها وينقلُ منها نقلًا مباشرًا!!

حتى لَمَّا تعرَّف على زميلٍ جديدٍ، وعلم منه أنَّه لا يغشُ ولا يسمحُ لأحدٍ أنْ يغشَ منه مرددًا «مَنْ غشَّنا فليس مِنَّا» نظر إليه نادر نظراتٍ مريبةً مُسْتَّهجَنةً، وقطعَ علاقتَه به على الفورِ بل وصارَ ذِكرُ هذا الزميلُ هو النُكتةُ التي يتفكه بها مع صديقِه كلَّما تحدَّثا عن الامتحاناتِ، وكان أكثرُ ما يُشجِّعَه على الذهابِ إلى الجامعةِ هو وجيتارُه ـ الذي لم يكُن يُفارقَه إلا قليل ـ هي تلك الفتياتُ التي تلتفُ حولَه وهو يُغني بصوتِه العذبِ أجملَ ما كتب مرسي جميل عزيز وصلاح جاهين، كان يبحثُ عمَّن يُقدِّمه ويُوصِّله إلى الطريقِ التي لا يعرف كثيرًا عن تفاصيلِها، فحوذةُ المالِ كانت أهمُ ما يشغَله؛ لذلك لم يتردد في أن يُرافقَ سميرًا في مقابلته مع قريبه عبد الواحدِ ذلك الرجلِ ذي اللَّهجةِ الصعيديةِ، والذي راحَ يُخْبِرَهم عن الأرضِ التي



اشتراها في محافظةِ الفيومِ، والتي علمَ أنَّها تعجُ بالأثارِ وكان يطلبُ من سمير أنْ يُقْنِعَ والده عم راضي بأن يمدَّه بالمالِ اللازمِ لإحضارِ المعداتِ التي تُمكِّنه من الوصولِ لذلك الكَنز، كان عبدُ الواحدِ بِقِصرِ قامته،ولهجتهِ الصعيديةِ،وملامحِ وجهه المُتخشِّبةِ يُوحي بأنَّه جاءَ من عالمٍ أخرٍ؛ فهو لا يتحدّثُ إلا عن الأثارِ والكنوزِ، وعلاجه للمرضى الذين أصابهم مسُ الشيطان، بدى في أول الأمرِ بحواره لامعًا حتى بدأ ينطفئ رويدًا رويدًا، حدَّثهم عن هذه الحالةِ التي كان يُعالجها بالأمسِ قال إنَّها امرأةٌ في العقدِ الرابعِ من العمرِ أرملة، وبسببِ سوءِ عاداتها تلبَّسها من الجن أربعٌ، وأخبرهم أن هذا يُسمَّى مسُ عشقٍ، ففيه يُمارسُ الجنُ الجنسَ مع المريضةِ التي تلبَّسها بشكل شبهِ كاملٍ حتى تتملك المرأةَ نوباتٌ من الاكتئابِ، وقالَ لُهم مندهِشًا وضاحِكًا:

- بعد أن أخرجتَ منها ما كان يتلبَّسُها؛ راحت تسألني لتطمئنَ هل أخرجتَ العفاريتَ يا شيخ؟ فقلتُ لها: نعم، فقالت مؤكدةً أخرَجتَهم كلَّهم؟ قلت: لا تقلقي خرجوا جميعًا، فنظرت إلَيَّ بخجلٍ وتوسلٍ: يا شيخُ لِمَ لمْ تترك واحدًا؟

ضحكَ نادر وصديقُه وراحوا ينهالونَ بالأسئلةِ على الشيخِ عبد الواحد قاهرِ الجانِ، فقالَ مُتعالمًا:

ليس كما يقولون مَن يُحضِّر العِفريتَ يَصرِفَه، بل إنَّ الأمرَ يحتاجُ إلى علمٍ ودرايةٍ، وكم من الوقتِ بذَّلتُ لأُحصِّلَ هذا العلم!، فأنا بفضلِ الله لم تخرجْ حالةُ من



عندي إلا وقد شُفِيَت تمامًا.

- ولكن يا شيخ عبد الواحد هل يُمكنُكَ التعاملَ مع لعنةِ الفراعنة؟

- نعم بكلِ تأكيدٍ، فأنا عِندما اشتريتُ هذه الأرضَ، اشتريتها بعد أن أخبرونى أنَّها مليئة بالكنوزِ والآثارِ الثمينةِ، وأنا تأكَّدتُ بنفسى عندما كَشَفتُ عليها كشفًا روحانيًا، ولكني كلما ذهبتُ للأرضِ وجدتُ اللصوصَ قد استغلَّوا غيبتي وراحوا ينهبون المقابرَ التي تقع في أرضي.

- فنظر له نادر وقال: مقابر؟!

- نعم،الأرضُ مليئةٌ بالخيراتِ والكنوزِ، بها أكثر من عشرين مقبرةٍ وعلى أبوابِها العجنات الملكية المعروفة والمخلوطة بالألماظ المطحون....

- ألماظ مطحون؟!

- نعم، فَلَكَ أن تتخيَّلَ ماذا يوجد بداخلِ قبرٍ قد أُغلِقَ بابُه بعجنةٍ فاخرةٍ خُلِطَ فيها أجودُ أنواعِ الجواهرِ والأحجارِ الكريمة؟

- وما يُعطِّلكَ عن استخراجِ هذه الكنوز؟

- المال، فكل ما أملكُ قد وضعته في شراءِ الأرضِ، ولم يَعُد معي ما أنفقَه على المعداتِ اللازمةِ...

- فقالا في حماسةٍ: نأتي نحن معك ونكسرها..

- لا، هذه العجنات تحتاجُ لمعداتٍ ثقيلةٍ، فلا يصلحُ معها العملُ اليدوي، فكلما طرقت عليها ازدادت صلابةً وقوة، فلن يُفلِحَ معها إلا استعمال



الدقاقِ المحمولِ على كاتينة، فلو استطاع سمير أن يُقنعَ والده بأن يموِّلَ عمليةَ الاستخراجِ سيكون لكم نصيبٌ يغنيكم ما بقى لكم من عمر..

- انتَ تعلمُ أبي... لا يُحبُ أنْ يُراجعه أحدُ.

- حاول معه فأنا أخبرتَه بالأمرِ ولكنه يعارض.

- نُحاول...

لم يكن نادر ليترك خيالَه يبتعدُ عن هذه الفرصةِ الذهبيةِ، التي جائته على غيرِ موعدٍ فَفَكَّر فورًا في جاره معتز الذي عُرِفَ عنه ولعُه بالتاريخِ الفرعوني، فَلَم ينتظر فبعد أن تركَ سميرًا وعبدَ الواحدِ توجَّه فورًا إلى بيتِ معتز جاره الموظف، وأخبره بذلك الرجلِ، وهذا الكَنزِ المدفونِ في أرضه، رفعَ معتز نظارتَه على وجهه السمينِ وقال: إنْ كان هذا الرجلُ صادقًا فما يؤخِّره عن استخراجِ كَنزِه؟

فأخبره بأنَّه يحتاجُ إلى مَنْ يُنفقُ على الآلاتِ، وأنَّ الشيخَ عبدَ الواحدِ مُتكفلٌ بباقي المعوقاتِ من إزالةِ الجنِّ الرصدِ وغير ذلك، نظر إليه معتز بسخريةٍ وتساءلَ عن وظيفةِ عبد الواحد هذا، فأخبره نادر بأنَّه لا يعلمُ، ولكن يبدو أنَّه عِنده علم روحانى وخبرةٌ في هذا المجالِ، ولكن معتز قاطعه قائلًا: هل تظنُ أن مَنْ يعملُ في هذا المجالِ ويستخرجُ منه مرةً واحدةً يعودُ للعملِ فيه مرةً أخرى؟! هيهات هيهات... فضربةٌ واحدةٌ تكفيك ما بقي لك من عمر،هذا الكلامُ زادَ من حماسةِ نادر، وجعله يترجى جاره ليذهبَ معه لمقابلةِ هذا الرجل إن كان يعرفُ مَنْ يُمْكنه أن يمولَ عمليةَ الاستخراج، وعلى مضضٍ وافقَ معتز، وتَمَّ تحديد موعدٍ بين معتز



والشيخ عبد الواحد، فتقابلا على مقهى، وجلسَ الشيخُ عبدُ الواحدِ يشرحُ ما في أرضِه من كنوزٍ وآثارٍ تحتاجُ مَنْ يستخرجها، وبدا معتز مُهتمًا على غير ما كان يتوقع نادر وصديقه، وبدأ معتز في طرحِ الأسئلةِ واحدًا تلو الآخر، حتى قال الشيخ عبد الواحد: إن أردتَ أنْ تأتي معى إلى الأرضِ وأُريكَ بنفسك المقابرَ المنهوبةَ، فأماكنَ التوابيتِ في الحائطِ ماتزال موجودةً، والعجناتِ الملكيةَ باديةً على وجه الأرض، فتحمَّس معتز كثيرًا، وكان يُخْرِجُ من جيبِه مناديلًا من حينٍ لأخر يُجففُ بها عرقه الذي غمرَ وجهَه، وقالَ: متى نستطيعُ أن نُسافرَ لنُعاينَ المكانَ فكان ردُّ الشيخِ: أي وقتٍ تشاء، اختاروا موعدًا على نهايةِ الأسبوعِ ثُمَّ غادرَ الجميعُ، وظلَّ نادر مع جاره في محاولةٍ ليستشفَّ منه نواياه، فأخبره أنه ينوي بعد أن يرى المكانَ ـ وإن كانَ ما يقوله هذا الرجلُ صحيحًا ـ أن يُنفقَ على التنقيبِ من جيبِه الخاصِ، فَطبقًا لكلامِ عبد الواحد المبلغ المطلوب للبحثِ ليس بالكثير، ظلَّ نادر وسمير من ساعةِ اللقاءِ وحتى موعدِ السفرِ إلى الفيومِ يغطّون في اليقظةِ، فقد أخبرهم الشيخُ بأنَّ نصيبَ الفردِ فيهم رُبَّما يتعدى المليون جنيه، وهو المبلغُ الذي هزَّ كلَّ كيانِهم، وراحوا يسبحون في دنيا الأحلام، حتى أتى يومُ السفرِ فاستقلَّ الجميعُ سيارةَ الأستاذِ عبد الغني صديق معتز، وشريكه في عمليات البحثِ والتنقيبِ التي كانوا يقومون بها، والتي لم تُسفر عن شيءٍ، والتي كانت تكفي لتُسْلمَهم لليأسِ، ولكن على العكسِ كانت كلُّ مرةٍ يفشلون فيها ترتفعُ وتيرَةُ الأحلامِ أو السرابُ في نفوسهم، وتجعلهم أكثرَ شغفًا للبحثِ تحتَ الأرضِ عن الكنوزِ الضائعةِ، ركبَ الشيخُ عبدُ الواحدِ في



المقعدِ الأمامي للسيارةِ، وركبَ معتز ونادر وسمير في المقعدِ الخلفي، وكانوا يتحدثون في حواراتٍ متفرقةٍ يحكي فيها كلُ واحدٍ عن رحلته الطويلةِ في مجالِ البحثِ والتنقيبِ، وظلوا هكذا حتى وصلوا إلى مكانِ الأرضِ، وعندها اعتَملَ صدرُ الصديقين برياحٍ عنيفةٍ كانت تهزُّها هزًا شديدًا - فهم أصبحوا على مقربةٍ من تحقيقِ الحُلم - كانوا يظنُّون أنه بحلولِ المساءِ ستكون الحفارتُ قد أنهت عملها، وكشفت الأرضُ عمّا في باطنها من كنوزٍ ومجوهراتٍ تركها لهم أجدادُهم من الفراعنة.

مشى نادرُ بجوارِ الشيخِ عبد الواحد وراحَ يسألُه عن هذه القطعِ البيضاءِ المتناثرةِ في أرجاءِ الأرض، والتي تُشبه قطعَ الكالسيومِ الذي يُوضَعُ في أقفاصِ العصافير، فنَظَرَ له عبدُ الواحدِ مُبتسمًا وأخبرَه أنَّها عظامُ الموتى من الفراعنةِ، لم يُصدق نادر ولا سمير في أولِ الأمرِ حتى وجدوا على مرمى بصرهم نفسَ العظامِ البيضاءِ التي مأتزال تحتفظُ بجزءٍ باقٍ من هيئتها: ذراعٍ كاملٍ... سواعدَ متناثرةٍ هنا وهناك... كثيرًا من الفقراتِ العُنُقيةِ تملأ الأرضَ بلونِها الأبيضِ وتسلسلها المميزِ، بل هالهم وجودُ أنصافِ جماجمِ، وبعضٌ من عظمِ الزندِ والفخذ.

يا شيخ عبد الواحد: كيف خرجَت هذه الجثثُ إلى سطحِ الأرضِ قالها سمير؛ فأجابه وهو يضحكُ بأنَّ الأرضَ تعرَّضت للسرقةِ أكثر من مرةٍ ويبدو أنَّهم كانوا يلقون ما يعثرون عليه من مومياواتٍ، فقال نادر: أنا أعرفُ أن المومياواتِ أثمانُها باهظةٌ، والتفت إلى معتز يبحث عنه والذي كان يمشى وراءه مع صديقِه عبد الغنى، فقالَ له: هل ترى هذه الأشلاءَ المتناثرةَ انظر... ثم انطلق وأحضر جزءً من جمجمةٍ



مُهشَّمَةٍ ورفعَه إلى معتز قائلا: انظر يا معتز مومياوات....،كانت الدهشةُ والحيرةُ تُسيطرُ على وجه معتز الذي رَاحَ يقولُ لا ليست مومياوات، فالمومياواتِ لا تُتركُ هكذا بل تكونُ مُكَفَّنَةً في الشاشِ، فالتفت إليه عبدُ الواحدِ وقال نعم سأريك بعض منها الآن إن أحببت، ثُمَّ أخذَهم إلى ما يُشبه الخندقِ، وقالَ هذا جزءٌ من مقبرة، ولكن لا يُوجدُ بها إلا جُثث المومياواتِ، ونظر إلى جسدِ مُعتز الممتلئ بالشّحومِ، وقال له لا أظنُّ أنَّها تُدخلك، ولكن يُمكن لأحد هذين الشابين أن يدخلَ ويُصوِّرُ لك ما تُريدُ، جلسَ معتز القرفصاءَ على بابِ ذلك الخندق، وراحَ ينظرُ وهو يُسّلطُ كشّافَه بأنواره الباهرةِ، ثُمَّ نظرَ وقال: مَنْ مِنْكُم يا شباب يدخلُ ليُصورَ لنا، فبادر نادر إليه وقال أعطني الكاميرا فسوف أدخلُ أنا، فنظرَ إليه عبدُ الواحدِ باسمًا وقال مُتحمسًا جدًا أنتَ يا نادر ولكن احذر من العقاربِ، فهذه مقبرةٌ وتحوى الكثيرَ منها، لم يكترثْ نادر إلى كلامِه، والتقط الكشافَ والكاميرا ودخل، كان يمشى على بطنِه في هذا الممرِ الضيِّقِ القصيرِ، كانت أرضيةُ الممرِ بها ترابٌ شديدِ النعومةِ يُشبهُ رمالَ البحرِ الفاتحةِ، فنظر نادر فوجدَ لِفافاتٍ متراصةً تُخبِرُ بوجودِ جُثثِ المومياواتِ، أخذَّ يلتقطُ لها الصورَ ولكن انتابَه الفُضولُ لأنْ يفتحَ واحدةً منها، ولكنَّ المكانَ لم يُساعده لضيقه وقلةِ الهواءِ داخله، فقرَّرَ أن يَسحبَ إحدى هذه اللفافات بِما في داخلِها إلى خارجِ الممرِ، كان ينتظرُه الجميعُ فنَاوَلهم اللفافةَ التي كان يجُرَّها ثُمَّ خرجَ للتوِّ، وتجمَّعوا حولها، وبدءوا في فتحها بحذرٍ، اقتربَ معتز منِ اللُفافةِ وملامح الوَجلِ على وجهه، فبادر سمير وبدأ في فكِ اللُفافاتِ، كان نادر لازال مُنشغلًا



بتنظيفِ ثيابه مما علقَ بها من ترابٍ أبيضٍ، وعبد الواحد يقفُ مُنتشيًا لاندهاشهم، وبعد أن فتحوا اللُفافةَ وجدوا أربعةً من الهياكلِ العظميةِ الكاملةِ لأُناسٍ لا يتجاوزُ طول أطولهم مائةٍ وثلاثين سنتيمترًا، كانت هياكل عظميةً لأبٍ وأمٍ وابنٍ وابنة، تحتفظُ بشعرِ الرأسِ والأسنانِ والجلدِ أيضا، بعد أن ضمُرَ فانطبع على العظمِ،كان يُمكن أن تُحددَ ملامحَه، فالجثثُ احتفظت بالملامحِ العامةِ للوجه، وضَمُرت الأعضاءُ البارزةُ، نظر معتز إليها وأخذَّ يُصورها صورًا عدةً ثُمَّ ناولَهم ميداليته الشخصيةِ، وطلب أن يجعلوها بجوارِ الجثثِ،ورَاحَ يلتقطُ الصورَ للجثثِ مع الميداليةِ، والتي علمَ نادر بعد ذلك أنَّها حركةٌ يفعلُها مَنْ يعملُ في هذا المجالِ ليُثبتَ للمشتري صدقَه، وأنَّ ما في الصورِ موجودٌ في الحقيقةِ وفي حوذته، كان عالمًا جديدًا وغريبًا يخطُّو نادر فيه بقدميه... يرى فيه أحلامَه تتراقصُ أمامَه، وكلّما اقتربت وحانَ موعدُ خروجها إلى الحقيقةِ لا تلبثُ أن تتلاشى كالعدمِ ويظَّلُ واقفًا في مكانِه، ظلوا ساعتين يدورون في الأرض، ويشاهدون ما أسمَاه الشيخُ عبدُ الواحدِ بالعجناتِ الملكيةِ، وكذلك المقابرِ المنهوبةِ في نفسِ الأرضِ،التي كان منها مقبرةٌ على هيئةِ غرفةٍ إذا دخلتها تشعرُ ببرودةٍ كأن بها مكيفاتِ مركزيةٍ، رغمَ أنَّها في وسطِ الأرضِ المشبعةِ بحرارةِ الشمس.

لم يغرق نادر وسمير في أحلامهم هذه المرة أكثر من أسبوعٍ، بعد أن أتى معتز بالحفارتِ لتنقضَّ ضربًا على العجناتِ الملكيةِ المخلوطةِ بالألماظ المطحونِ، حتى تنفتحَ على غرفٍ فارغةٍ من كل شيء إلا جثثٍ متراصةٍ لمئاتِ الموتى الذين اقضت الحفاراتُ مضجعَهم، وأخرَجوهم من ثُباتهِم، بل من لفائف أكفانهم، كانت



المفاجئةُ أكبرَ من أن تمرَّ على معتز مرورَ الكرامِ، والذي قد تكبَّد تكلفةَ عمليةِ الحفرِ كاملةً، فرَاح كالمجنونِ يكسرُ كلَّ ما يُخرجَه من جثثٍ ومومياواتٍ، ويبحثُ فيهم عن برديةٍ رُبَّما بلعَها أحدُهم قبلَ موتِه، أو أمبولٍ من الزئبقِ الأحمر، كاد يُجن عِندما لم يجدْ شيئًا من هذا، ووجدَ نفسَه وسطَ أرضٍ محاصرًا بمئاتٍ من جثثِ الموتى، والتي تحوَّلت بفعلِ عصبيتِه إلى أشلاءٍ متناثرةٍ، كالتي رآها أول مرةٍ عندما زارَ هذه الأرضَ الملعونةَ، وعلمَ أن هذه المقابرَ ما هي إلا مقابرٌ جماعيةٌ كانت تُصنَعُ لفقراءِ الفراعنةِ ليتمَّ دفنهم فيها جماعاتٍ!

كما هالَه منظرٌ آخرٌ في غرفةٍ تمَّ كسرُ عجنتها عندما دخلها، ووجدَ بها ثلاثمائةً وخمسةَ وستين جمجمةً متراصةً، بحيثُ تنظرُ جميعها إلى ناحيةِ شروقِ الشمس، كان يُحاولُ بائسًا أن يجدُ أي رمزٍ يعرفَهُ ليفكَّه، أو أي برديةٍ ينتفعُ بثمنِها، ويعوضُ ما أنفقَ من أموالٍ، راحَ الشيخُ عبدُ الواحدِ يقتربُ منه في هذه الغرفةِ عندما أسنَّدَ رأسَه في يأسٍ إلى أحدِ جدرانِها، وقال له: أظُنُّ أنَّ هذه الجماجمَ تُشيرُ إلى مكانِ المقبرةِ الملكيةِ هنا في الأرض، فنظر إليه معتز في غيظٍ وتركه وتوجَّه إلى الغرفةِ الصغيرةِ، حيثُ مكانِ استراحتهم، ورَاحَ يجمعُ أشياءه في عصبيةٍ، مما دفعَ عبد الغني لأن يُواسيه، ويقول له: لا عليك فهذه ليست المرةَ الأولى ولا الأخيرةَ، ليس لنا نصيبٌ هنا، كان سمير ونادر في زاويةٍ ينظرُ كلُّ واحدٍ منهما للآخر ويبتسمُ، حتى غطَّوا في نوبةِ ضحكٍ هيستيريةٍ، والتُّرابُ يُعفِّرُ وجوهَهم وشعرَهم، ويتبادلون السخريةَ على أحلامِهم التي أترعوها وتركوا لها العنان، حتى أنَّ أحدَهم كان على بعدِ ساعاتٍ من



قصِّ الشريطِ الأحمرِ الخاص بشركته.

عاد الجميعُ بخيبةِ الأملِ إلا الشيخَ عبد الواحد، الذي لم تتغيرْ ملامحُه بجمودِها، بل كانت ترتسمُ على وجهِه ابتساماتٌ بين حينٍ وآخر؛ فأرضه الآنَ وبعدَ أن عملت فيها الحفاراتُ وساوت المقابرَ بالأرضِ، أصبحَ من السهلِ عليه أن يبدأ في رمي الطمي وزراعتِها!

عادَ الباقون بخيبةِ الأمل إلا معتز الذي زاد على خيبةِ أمله ضياعُ بعضِ نقودِه، فهذه العمليةُ كانت المرةَ الأولى التي يدفعُ فيها من جيبِه الخاصِ، ولكن ـ برغم كل ما خسره من مالٍ ووقتٍ ومجهودٍ ـ لم يُثنيه كلُ ذلك عن مواصلةِ مشوارِه في البحثِ والتنقيبِ، ولكن ما تغيَّرَ هو أن نادر أصبحَ يُرافقه في كثيرٍ من هذه الرحلاتِ والسفرِ إلى المحافظاتِ في رحلةِ البحثِ عن الكنوزِ المفقودةِ... والآثارِ المتروكةِ، صار نادر يُرافقُ معتزًا في أغلبِ رحلاتِه من أدنى الصعيد إلى أقصاه، حتى تكوَّن لديه خبرةٌ عن المجالِ، فَعَلَى كثرةِ البحث والتنقيبِ وعلى كثرةِ أهل الكارِ لم يلتقِ بِمَن يقولُ له أنَّه أخرج كَنزًا وانتفعَ بثمنِه، ولكن كان كلُ مَن يُقابلَهم يُسمَّون في الكارِ وسطاءَ، حتى إذا ما وصلَ لصاحبِ الأرضِ سمعَ منه أنَّ شيخًا أخبرَه أنَّ أرضَه مليئةٌ ومحشوةٌ بالكنوزِ والآثارِ أو أنَّ واحدةً في البيتِ نامت وحلُمت بمن يأخذُّها من يدها إلى ناحيةٍ ويخبرُها بأنَّ عليهم أن يحفروا في هذا المكان!!، ولكن أغرب ما سمعَه كان في محافظةِ المنيا عند الحاجِّ بسطاوى عُويس الذي أخبره أنَّ شيخًا جاء إلى البيتِ، وطلبَ مُقابلَته وأخبره أنَّ منزلَه به كَنز الملكِ راع، وطلبَ منه الإقامةَ عِندَه لمدةٍ



يومين، ولبى الحاجُّ بسطاوى طلبَه على الفورِ، فكلامُ الشيخِ يُوافقُ رؤيةً رأتها رُقية ابنته أن في البيتِ كنزًا في مكانٍ ما، وأخبرَه أن الشيخَ التزمَ غرفتَه اليومين كاملين، ولم يكن يخرجُ لها أبدًا، وكانوا يضعون له الطعامَ على بابِ الغرفةِ ويدقُّوا عليه البابَ ويذهبوا كما طلب منهم، ثُمَّ يخرجُ هو بعدها فيُدخِلَ الطعامَ الغرفةَ ولا يخرجُ، حتى إذا ما أتمَّ داخلَ الغرفةِ يومين كاملين خرجَ عليهم، وطلب نوعين من البخورِأحدهم الحلتيت ونوعٍ أخرِ لا يذكرُ اسمَه، ولكنَّه كان غريبَ الشكلِ والملمسِ، فكان لونُه أزرقًا داكنًا، وعلى هيئةِ قطعٍ أو صخورٍ غيرَ أن مَلمسَه يُوحي بأنَّ داخلَه مادةٌ حديديةٌ، أحضروه من عطَّارٍ وصفه لهم الشيخُ وأخبرهم أنهم لن يجدوه إلا في هذا المكانِ على أطرافِ المحافظةِ، وأحضروه بالفعلِ بعد أن حصلَ العطَّارُ على مبلغِ ثلاثة آلاف جنيهٍ، وأعطاهم قطعتين من هذا الصخرِ الحديدي الأزرقِ اللونِ ونصفَ كيسٍ من بخورِ الحلتيت، ثُمّ جلسَ الشيخُ يُتمْتمُ ويقرأُ، وأحضرنا له الفحمَ المتوهَّجَ ورَاح يُطلقُ البخورَ عليه، حتى صار أحدنُا لا يرى الأخرَ بشكلٍ واضحٍ من كثافةِ الدخانِ المتصاعدِ، وعندها صُرِعَ رجلان من أقاربنا، وكذلك ابنتي التي لم تكن تجلسُ معنا بل كانت في غرفتِها في الطابقِ العلوي،فقامَ الشيخُ وطالب بإخراجِ الرجلينِ من المجلسِ، ثُمَّ جلسَ على الكرسي في الزاويةِ، وهو ينظرُ إلى البخورِ وهو ينطّلقُ من المبخرةِ في شكلِ سُحبٍ بيضاءَ كثيفةٍ، ثم قال لي: يا بسطاوى اقترب فقد حان وقتُ حضورِ العظيمِ.. تعالَ، فاقتربتُ منه فأجلسني على الأرضِ ورَاحَ في منتصفِ الغرفةِ، ورسَم دائرةً وأخرجَ من جيبه



مفتاحًا غريبَ الشكلِ، كأَنَّه مفتاحُ بابِ قلعةٍ حجمُه كبيرٌ مربوطٌ بخيطٍ أخضرَ من أعلاه، ثُمَّ تركنى جالسًا في الأرضِ، وأمسك بالمبخرةِ ورَاحَ يصنعُ دوائرَ بها في الهواءِ فوق الدائرةِ التي رسمها على الأرض وهو يقول: احضر يا عظيمُ... احضر فقد حانت الساعةُ، ثُمَّ تراجعَ خُطوةً ووضعَ المبخرةَ على الأرضِ مُقابلةً لطرفِ المِفتاحِ، ثُمَّ تقهقرَ إلى الخلفِ بضعِ خطواتٍ نحوي، حتى جعلني أمامه ثُمَّ مالَ عليَّ وقالَ لي: انظر في الدائرةِ يا حاج بسطاوى وملِّي عينيك، انظر ما تركَ لك أجدادُ أجدادِك، لعلَّ السعدَ قد كُتِبَ لك، كان نادر يسمعُ القصةَ وهو يحبسُ أنفاسه ويُحمْلقُ في الرَّجلِ بدهشةٍ، وتُسجلُ ذاكرتُه كلَّ كلمةٍ يسمعُها من فم الحاجِّ بسطاوى الذي أكمل مسترسلًا، نظرت فقلت له لا أرى شيئًا يا شيخ فقال لي لا تستعجلْ فأجدادك كانوا أبناءَ أصولٍ انظر،قالَ فأخذتُ انظرُ إلى الدائرةِ ولا أرى شيئًا، فنظرتُ إلى وجهِ الشيخِ فكأنَّ الشيطانَ تَبدى حينَها على صورتِه مما أفزعني، ولكنَّه نهرنى وقالَ لي: لا تُحرِّك عينيك عن الحفرةِ حتى لا يَغُورُ الكَنزُ، وما لبثتُ دقائقَ حتى رأيتُ وكأنَّ كنوزَ كسرى وقيصر كلِّها قد اجتمعت في الدائرةِ،قالَ له نادرٌ في شغفٍ: هل رأيت شيئًا بالفعل؟!

قال: نعم،خمسةً من التماثيلِ الأثريةِ الُمذهبةِ بالذهبِ المنطفئ، وآثارُ التاريخِ باديةٌ عليها، ملفوفةً مُتراصةً حول رأسٍ كبيرةٍ توحي بأنَّها لتمثالٍ يربوا عن الخمسةِ أمتارٍ، قد دُفِنَ في الأرضِ كوتدٍ لا يظهرُ منه إلا الرأس، فقال لي: اقترب ولا تَلمس.... فقط... اقترب وملِّي عينيك، وأحذرك إن حاولتَ أن تمسَّ منها شيئًا



بيدك؛ فستغورُ في الأرضِ، ولن نسطيعَ أن نُخرجَها بعدها، وربَّما صَبت عليك حرَّاسُها كلَّ اللعناتِ المدفونةِ معها، فاقتربتُ بعد أن أمرني ألاَّ أقومَ واقفًا بشكلٍ كاملٍ، فكنتُ كالذي يزحفُ حتى أصبحتُ بمسافةٍ أقربَ، ورأيتُ كلَّ الآثارِ عن قربٍ، ثُمَّ قالَ لي: اغمض عينيك يا حاج بسطاوى؛ فالعظيمُ سينصرف، لا تفتحَها حتى أُخبرُكَ وإلا خطفَ بصرَك وصرتَ ضريرًا، فأغلقتُ عينيَّ ولم افتحها، وما لبثتُ بضعَ دقائقَ حتى أمرني أن أفتحَ عينيَّ فما رأيتُ أثرًا لا للآثارِ ولا المفتاحِ، ولا حتى دخانِ الغرفةِ، ولم يتبقِ إلا دائرةٌ مرسومةٌ على الأرضِ، نظر إليه نادر وقال: ثُمَّ ماذا؟ قالَ: ثُمَّ... خلاص...

قفزَ نادرٌ في مكانِه لأعلى وهو يقولُ له ماذا جرى؟ هل استخرجتُم الكَنزَ؟

قال: لا بل غارَ في الأرضِ على مسافةِ خمسةِ أمتارٍ، فبادره نادرٌ قائلًا: خمسةُ أمتارٍ أمرُها هينٌ، لماذا لا تحفروها؟!! فقالَ: لأننا بمجردِ حفرِ الخمسةِ أمتارٍ تغورُ في الأرض بمسافةٍ مساويةٍ هي خمسةُ أمتارٍ أخرى، نحن حتى الأن وصلنا إلى تسعةِ أمتارٍ في الأرضِ، نظر إليه نادر ولا يزالُ الارتباكُ يعمُّ أفكارَه.. «تسعة أمتار»؟! نعم تسعةُ أمتارٍ، «الله يسامحُ اللي كان السبب»

ومَن السببُ؟ قال نادر، فردَّ بسطاوى لا أدري! ولكن أخبرنا الشيخُ أنَّ هُناكَ مَنْ تبوَّلَ في الأرضِ فأغضبَ الحُراسِ والرَصَد، واعتبروها إهانةً لهم وإنكارًا منَّا للنعمةِ، فأصبحوا في حالةِ استياء تجعلهم يحرمونا من حقنِا في ميراثِ أجدادنِا، بعد أن أنفقتُ أربعةً وسبعين ألفَ جنيهٍ على الحفرِ وطلباتِ الشيخ، فقفزَ نادر هذه المرةَ؛



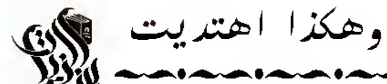
ليجلسَ بجوارِ بسطاوي أربعةٌ وسبعون ألفًا يا حاج؟! نعم كان الشيخُ - كثَّر ألف خيره - يُحاولُ أن يُصالحَنا على قبيلةِ الجانِ الموكلةِ بخدمةِ وحراسةِ المقبرةِ، ولكن كلَّ مرةٍ بعد أن ندفعَ ثمنَ البخورِ يرفضُ كبيرُهم الصلحَ الذي يُدعَى شبرًا وقريح ويقولُ إننا لسنا بالوجهِ الذي تُستَفْتَحُ له النعمُ،ولكنَّ أملنَّا هذه المرة أن تفتحوها؛ فقد علِمتُ أنكم تعملون بشكلٍ علمي، وأخبرني معتز أنكم تعملون مع البعثةِ الفرنسيةِ المنتدبةِ في استخراج الآثارِ، فلعلكم تفلحون فيما فشلَ فيه الشيخُ، وتخرجون لنا آثارنَا عنوةً عن قريحٍ وشبرَا، فأنا الآن لستُ بخائفٍ ولا هائبٍ بل ولا مرتجٍ منه صلحًا يكفي ما كلفَّنا بغطرستهِ... وماذا حدث إن تبوَّلَ أحدهم؟! «أكيد كان محصورًا»

كان الأمرُ أشبه باللغزِ أمامَ نادر فهل حقًا هُناك آثارٌ ورُصُدٌ وشيخ، أم أن هؤلاء يسبحون مع أحلامهم بعد أن ضلَّت مراكِبُهم الطريقَ، وصاروا يهتدون في البحرِ بغيرِ بوصلةٍ،وما يحملُ رجلًا كهذا على أن ينفقَ مبلغًا كبيرًا كهذا، ولماذا لم يُفكرْ في استثماره بدلًا من انفاقه على الحفرِ؟! أمورٌ كثيرةٌ وهواجسٌ كانت تُخالطُ بَالَه، كذلك حديثُ الرجلِ عن البعثةِ الفرنسيةِ جعلَ شعورًا بالنصبِ يتسللُ إلى نفسِ نادر، الذي ذهبَ لمعتز ليسأله عن أمرِ هذه البعثةِ، وإن كان حقًا ينتمي لهم ويعملُ معهم، فكان معتز يُحاولُ أن يخدعَه ولكن ما لبثَ أن ضيَّق عليه نادر الخناقَ؛ حتى قالَ له إنَّ هذا «لزوم الشغل»، وأخبرَه أنَّه يعملُ مع مكتبٍ من المكاتبِ المسئولةِ عن شراءِ وتهريبِ الآثارِ للخارجِ، وهو يقومُ بدورِ الوسيطِ، ولكنَّه ـ وبسبب كثرة نفقات السفر ـ قرَّر أنْ يعملَ كخبيرٍ، فهو يعملُ في المجالِ من عدةِ



سنواتٍ، وأصبحَ عِندَه من الخبرةِ والبصيرةِ ما يستطيعُ أن يُفرِّقَ بها بين المكانِ الذي يحتوي على آثارٍ من غيرِه.. وبين القطعِ الأصليةِ والأخرى المغشوشةِ.. وعليه فقرَّر أن يُقدِّمَ نفسَه خبيرًا من خبراء الآثار بدلًا من وسيط بعد أن يتفقَ على مبلغٍ معينٍ مقابل الكشفِ، فلم يشأ معتز أن يُخبرَه بقيمةِ المبلغِ الذي يأخذُه، واكتفى بأن قالَ له: أنت اليومَ تتعلمُ وتصعدُ السُّلَّمَ من أولِه، فلا تتعجلْ، ورُبَّما صادفنا ما نبحثُ عنه؛ فتنحلُّ كلَّ مشاكلك،وعِندها سألَه نادر: هل حقًّا الشيوخ يستطيعون أن يخرجوا هذه الآثارَ؟! وهل لهم القدرُة على فكِ الرَّصدِ، غيرَ أنَّ فكرةَ الرَّصدِ نفسَها لم تكن واضحةً في ذهنِه، قال له: إن المقابرَ الفرعونيةَ كانت للملوكٍ ذو شأنٍ في الدولةِ، وبما أنهم يعتقدون بالحياةِ بعدَ الموتِ، كانت تُجمَعُ معهم في المقبرةِ كلَّ أدواتِهم التي سيستعملونها بعد اليقظةِ من النومِ أو الرجوعِ من الموتِ، وأنَّ المقبرةَ الواحدة تحتوي على مئاتٍ من التماثيلِ والأوشابتياتِ، وبعضٍ من الجعارين والبردياتِ تساوى الواحدُة منها ملايين الجنيهاتِ، ثُمَّ تطرَّقَ إلى الزئبقِ الأحمرِ فقالَ: إن الفراعنةَ كانوا يحرسون المقابرَ بنوعٍ من الذرَّاتِ التي يُطلقونها في المقبرةِ، والتي تنتجُ من خلالِ تفاعلٍ كميائي لا يعرفُ سرَه أحدٌ حتى الآن، بعد أن يُفرغوا المقبرةَ من الأكسجينِ بالكاملِ، هذه الذرات على هيئةِ كراتٍ لا تُرى بالعينِ المجردةِ، ولكنها عندما تخرجُ تبدأُ في الحركةِ بشكلٍ متسارعٍ في محاولةٍ للبحثِ عن ذراتِ الأُكسُجين؛ لتلتحمَ معها والتي لا تجدها داخلَ المقبرةِ، فتبدأ في الاصطدامِ بجُدرانِ المقبرةِ مما يزيدُ سرعتَها، فإذا ما ضربنا هذه السرعةَ في آلافِ السنينَ علِمنَّا أنَّها تدورُ داخلَ المقبرةِ بسرعةٍ





جنونيةٍ مما يمكنها من القضاءِ على أي متسللٍ يحاول عبثا أن يتواجدَ داخلَ المقبرةِ بغرضِ السرقةِ، ولكي يكونَ الملكُ المدفونُ في مأمنٍ من بطشِ هذه البلُّوراتِ الغيرِ مرئيةٍ كانوا يضعون في عنقِه أمبولًا يحتوى على الزئبقِ الأحمرِ، هذا الزئبقُ مهمتُه أن يُحرِّفَ اتجاه هذه الذراتِ بعيدًا عن الجسمِ، فإذا ما قامَ الملكُ من ثُباتِه وأخرجَه وقامَ بفتحِه في المكانِ؛ استطاع الزئبقُ أن يلمَّ شعثَ هذه البلوراتِ المتناثرة داخلَ المقبرةِ؛ حتى تعودَ لطبيعتَها الأولى قبلَ التفاعلِ الكميائي الأول، عدَّل بيده نظارته، وتناولَ منديلًا يُنشفُ به ما تساقطَ من عرقِه، ورَاح يفرِك عينيه كما لو كان يُشاهدُ فيلمًا ثُمَّ استطردَ قائلًا: ولكنَّ الشيوخَ يستعملونه في أمرٍ أخرٍ، فنظرَ له نادر في لامبالاةٍ واستمعَ لجارِه وهو يُكملُ حديثَه: الجرامُ من هذا الزئبقِ الأحمرِ يُساوي عِندهم ملايين الجنيهاتِ، فبإمكانهم بعدَ أن يحصلوا عليه أن يجلبوا نوعًا معينًا من الجانِ فإذا حضرَ استلمَ منهم هذا الأمبولَ وشربَه أو ربَّما استنشقه، وبعدها يُمكنَّهم من تحويلِ أي أموالٍ إلى دولاراتٍ!

نظر إليه بملامحٍ توحي بعدمِ التصديقِ، وقالَ: هل تعرفُ أحدًا من هؤلاء المشايخِ استطاعَ أن يجلبَ الجانَّ ويحوِّلَ له النقود إلى دولاراتٍ؟ فأخبره أنْ لا، ولكني أسمعُ عن هذا الأمرِ بل ويأتينى كثيرٌ من الناسِ يبحثون عن الزئبقِ الأحمرِ...آه لو أملُك أمبولًا واحدًا منه، فنظرَ له نادر بتأملٍ وقالَ له: كلُ مرةٍ نُسافرُ فيها أبني أحلامًا عريضةً، ثُمَّ أعودُ بخفى حُنينٍ، فطلبَ منه ألا يتعجل الأمر، وتكلَّم معه عن النصيب والقدرِ الذي قد يضحكُ للإنسانِ على حينِ غفلةٍ، ودونها انتظارٍ منه، لم تكن كلماتُ



معتز لتشفيَ غَليلَه، وتحققَ أحلامَه وتبثَ فيه الروحَ المنتظرةَ....

عادَ نادرٌ إلى بيتِه وألقى بجسدِه متثاقلًا على السريرِ، وهو يتذكَّرُ كثيرًا من الأحداثِ التي مرَّت بحياتِه حتى وصلَ بذكرياتِه إلى محطةِ الدكتورِمُحمد عُلوان، فقامَ من سريرِه والتقَّطَ الهاتفَ بعد أن أحضرَ رقمَه واتصَّلَ عليه ليأتيَه صوتٌ نسائيٌ ناعمٌ، سألها عن: إن كانَ هذا منزلَ الدكتورِ محمد عُلوان؟! فأخبرته بالإيجاب وكانَ يستولي على صوتِها الحيرةُ؛ فالدكتور لا يُهاتفُه أحدٌ ولا يسالُ عليه أحدٌ من فترةٍ طويلةٍ، بل لم تعتد حين تكونُ في بيتِه أن يدقَّ جرسُ الهاتفِ، طلبَ منها نادر أن يحدِّثَه فأخبرته أنَّه نائمٌ، فسألها عن موعدٍ أخرٍ، فأخبرته أنَّه أخذَّ العلاجَ ولن يكونَ مستعدًا قبلَ عدةِ أيامٍ، ثم سألته «مَنْ أنتَ»،فأجابَ بشكلٍ مُقتضبٍ أنا صديقُه وأودُّ لو أحضرُ لزيارتِه غدًا، قالت « ولكنه نائمٌ »، فقال: يكفي أن أنظرَ إليه وأُشعِرَه بوجودي ولو لدقائقَ...

كان نادر يشعرُ بنوعٍ من الحنينِ لا يفهمُه، فتعاطفه مع هذا الرجلِ المقهورِ كان أقوى من أن يُفسِّرَه، أخذَّ منها موعدًا لزيارتِه رغم أن نبرةَ صوتِها كانت كالمنزعجة أو المتوترة، فأيُّ صديقٍ وفيٍّ هذا الذي ظهرَ بينَ يومٍ وليلةٍ!

لم تخلو أيام نادر من الغناءِ والموسيقى، فكثيرٌ ما يُصابُ الإنسانُ بعدمِ وضوحِ الرؤيةِ، بل والتشويشِ الذي يُغلقُ عليه مدارجَ الطريقِ الصحيحِ، فبين كونِه طالب ومنقِّب أو وسيط وباحث عن الآثار وبين أحلام مشتَّتة لا تعرف طريقها للخروج إلى النور كان نادر وسمير يقضيان أيامهما الطويلة، انقلبت ساعاتُ النَّهارِ إلى نومٍ



عميقٍ، ليستيقظا مع آذانِ المغربِ ليبدءا يومَهما الذي كانَ يمتدُّ إلى تباشيرِ الفجرِ الأولى، ليستسلما مرةً أخرى إلى النومِ ولم يكن نادرُ يستيقظُ نهارًا إلا إذا كان على موعدٍ سفرٍ مع معتز جارِه، أمَّا في الحالاتِ العاديةِ ففي الليلِ تكمُنُ المتعُ كما كانَ يقول: يا سمير نحنُ أبناءُ الليلِ نشعرُ مع ظلمتِه بالسترِ، فكم نحتاجُ لأنْ نسترَ عيوبَنَّا من ضوءِ النهارِ، الضوءُ الأبيضُ كاشفٌ يستطيعُ أي إنسانٍ من النظرةِ الأولى أن يُميِّزَ ما بداخلنَّا من شرورٍ وآثامٍ،لا أدري لِمَ أحتفظُ بلقبِ أنِّي مسلمٌ حتى اليومَ رغمَ أنِّي لا أرى شيئًا يحفِّزني على البقاءِ،لا أدري هل إبليس هذا حقيقةٌ أم مجرَّدُ خيالٍ صنعَه البشرُ؛ ليحتفظوا دائمًا بالخوفِ قريبًا وفي متناولِ أيديهم، فأنا أرى أنِّي ما تركتُ له أو لغيرِه شيئًا يفعلُه على صغرِ سنِّي، المفروضُ أنَّه الآن يجلسُ بينَّا ويسمعُنا، وأنا أظنُّ أنَّه إن كانَ حقًّا موجودٌ فلا يسعه إلا أن يجلسَ هنا - أشارَ بيدِه نحو الأرضِ-؛ليستمعَ لِي ويتعلم كأيِّ تلميذٍ خائبٍ أوقعَه حظُه العاثرَ بين يدي معلمٍ بمثلِ قسوتي، ثُمَّ نظرَ إلى موضعِ إشارتِه وراح يُكلِّمُ الهواءَ«يا إبليس أنا وحدي مَنْ يعلمُ كنهَ وجودِك، أنت لا يُمكنُ بأيِّ حالٍ أن تكونَ ذكرًا،أنتِ أنثى لم تجد رجلًا يمتطي ظهرَها، ويحسنَ ترويضَ رغباتِها؛فراحت تعبثُ بمقدَّراتِ البشرِ، أنتِ أنثى لعوبٌ» نظرَ إليه سمير وهو يبتسمُ ويرددُ: «استغفرُ الله» ويقولُ: هل ذهبتَ إلى هذا الملحدِ المجنونِ مرة أخرى يا نادر؟ التفت إليه والشرر يتطايرُ من عينيه، قلتُ لك ليس بمجنونٍ ولابد أن تعلمَ إن لم تكن تعلم إنَّك كافرٌ مثلي ومثله تمامًا، أأخبرك بشيءٍ؟ أنا أعلم بوجود اللهِ ولكني لستُ مرتاحًا لذلك،عندما كُنتُ



في المنيا وبينما أنا أحفرُ مع مَن يحفرُ من العمالِ هُناك، وبينما أنا على بُعدِ أمتارٍ تحت الأرضِ سألتُ نفسي أي خوفٍ يتتابُ هؤلاء الحمقى حين يشعرون بمداهمةِ الموتِ؟ فأنا أحيا كالميت تمامًا، لا أحصلُ إلا على ما استطيعُ أن أخطفه عنوةً، أنامُ في النهارِ وأصحو ليلًا،أصبحتُ كالخفافيشِ تمامًا لا تقوى عينى على تحملِ ضوءِ النهارِ، حتى قلبي أصبح مغلقًا مغلفًا لا يشفقُ ولا يحنُ لحالِ أحدٍ، إلا ما اجتلبته لهم من شهامةٍ مؤقتةٍ مسببةٍ، فأنا سآخذ كل ما أريد من هذه الدنيا ولو عنوة، هذه الأموالُ المتراكمةُ هناك على قلوبِ السادةِ سأعمل فيها نهشًا وهبشًا، قال سمير بدعابةٍ والله يا نادر أنا كلَّما تذكرتُ عندما ابيضَّ شعرى من الترابِ في أرضِ الشيخِ قردٍ هذا لا أتمالكُ نفسي من الضحك، جاء عندنا بالأمسِ كان أبي قد أحضرَ له حالةً للعلاجِ؛ فجلستُ معه وتعلَّمتُ بعضَ أشياءٍ، رأيته يكتبُ على ورقٍ بقلمٍ أحمرٍ حروفَ القرآنِ مقطعةً، ثُمَّ طلبَ كوبًا من الماءِ ووضعَ فيه هذه الأوراقِ وبعد أن قرأ بعضَ الكلماتِ الغيرَ مفهومةٍ؛حضرَ الجنُ على البنتِ وتشنجت، قاطعه نادر: هل أمرُ الجنِ هذا صحيحٌ؟ نعم؛ البنتُ تحدثت بصوتٍ آخرٍ، صوتِ رجلٍ تمامًا، ثُمَّ أنَّني كنتُ أراقبُها بعنايةٍ، كان شيءٌ ما يتلبَّسُها ويتحركُ داخلها، أنا اتفقتُ معه أن أرافقه في رحلاتِ علاجِه القادمةِ، فالأمرُ جدٌ يستهوينى، ضحكَ نادر حتى كاد يسقطُ من على كرسيه وقال تحولنا يا صديق إلى منجمٍ وحفارٍ، فأكمل سمير ضاحكًا ماذا ستقول إن أخبرتُكَ أنَّ الشيخَ قرد يزرعُ الآن أرضَه؟ يبدو أنَّه لم يكن يحتاجُ لمن يستخرجُ له الآثارَ منها بقدرِ ما كان يحتاجُ لمن يساويها له ويُذيلُ هذه القببَ



والعجناتِ؛حتى يتمكنَ من زراعةِ أرضه، قال نادر هذا ما يشكُّ فيه مُعتز ولكن على أي حالٍ الرجلُ لم يُجبرْ أحدًا على شيء وأنا أُشجعُ اللعبةَ الحلوةَ،هل رأيت كيف كانَ يُشدِّدُ على كلمةِ مطحونٍ؟ نعم ألماظ مطحون.

كان نادرُ يحدّثُ نفسَه.. مَنْ يترك نفسَه كالريشةِ في الهواءِ؛ لا يكادُ يألفُ الأماكنَ أو الأشخاصَ حتى يألفَ غيرَهم وبنفسِ السرعةِ، حتى يتمكنَ الاغترابُ منه، فيفقدَ معنىَ الألفةِ وتتهاوى كلَّ معاني الترابطِ الاجتماعيةِ، ويدورُ السؤالُ الأزلي هل الغاية أهمُّ أم الوسيلةٌ؟ فلا شك أنَّ الوسيلةَ أقلُّ قيمةٍ من الغايةِ بأنَّها ليست جوهريةً والغاية جوهرية، كما أن الوسيلةَ يُمكن أن تُستبدلَ بينما الغايةُ لا تتبدلُ، ولكن هل إن وصلت إلى الغايةِ لن تؤلمك الوسيلةُ فيما بعد، بل على الراجحِ أنها قد تُطارِدُكَ حتى تطردَكَ وتُصارِعَكَ حتى تصْرَعَك، فتَلَفُّتك عن الغايةِ تمامًا بعد أن وصلتَ لها، فالحياةُ لها في كلِ يومٍ مُستجداتٍ، والنفسُ تتعاطى معها لأقصى درجاتِ الذوبانِ، حتى أنَّها لتُشكل داخلك نفسًا جديدةً قد لا تكون تعرفُ عنها اليومَ أي شيء! فهل تألفُ نفسَك الجديدةَ بالغايةِ أم أنَّ الوسيلةَ سوف تؤرِّقها؛ فلا تترك لها متسعًا للتنعمِ في ثمارِ الغاياتِ؟ ولكنِّي تعوَّدتُ أن أُصارعَ الدنيا فأصرَعها،وآخذُ منها بغيرِ استئذانٍ، وهل من شيءٍ هو أفجعُ من أن تجلسَ في مكانِك مقيدًا بوسائلِك النبيلةِ حتى تأتيك الدنيا؛ فتدق بابَك وتترجاك أن تقطفَ من الثمرِ ما تشاءُ وتشتهى؟! بل كالريشةِ أفضل، فإن لم تكن مع مُعتز فقد تكون مع الطبيبِ، فإن لم تكن معه فَمَعَ المُلحِدِ... لابدَّ من أن شخصًا التقيته عنده مفتاح



البابِ، ولكنِّي تكاسلت في تجربةِ كافَّةِ المفاتيحِ، أنا باحثٌ عن الفرصةِ، ولكنَّ الفرصةَ الجيدةَ شريطةُ التجربةِ، نعم، لا قيمة للوقتِ، ولكن لا يوجد مدخراتٌ ماليةٌ تتسعُ لأكثرِ من تجربةٍ.

أحاديث النفسِ كانت صديقَ طريقةٍ، والتي فارقها على بابِ شقةِ الدكتورِ محمد علوان ليدقَ الجرسَ؛ فتفتحُ امرأةٌ في أولِ العقدِ الرابعِ، سمينةُ الجسدِ بيضاء يترنح شعرُها مع أجزاءِ جسدِها المكتظِ، وقفت أمامه بعيونٍ عسليةٍ متساءلةٍ، ابتسم ابتسامةً خفيفةً وأخبرها أنه نادر الذي حدَّثها في الهاتفِ من قبل، فأدخلته ورحبت به، كان ينتظرُ منها أي ردةِ فعلٍ مفاجئةٍ،وراحَ عقلُه يتخيَّل ضابطًا من الشرطةِ يخرجُ عليه من إحدى الغرفِ المغلقةِ ليأمره بالجلوسِ أرضًا واضعًا يدَه فوقَ رأسه في استسلامٍ؛ ليضعَ الكلابشاتِ في يده بعد أن خَبِروا نيته المُبطنة في الاستيلاءِ على أموالِ هذا المسكينِ الراقدِ في سريرِه، ولكن شيئًا من هذا لم يحدث، بل أدخلته من الممرِ يسارًا في اتجاه الريسبشن صاحبِ الثُّريا ذاتِ الأربعةِ أدوارٍ من الكريستالِ فينبثقُ النورُ الأحمرُ الهادئُ من نفسِ الثُّريا، كلُ شيء كما هو على حالِه منذُ أن تركَه بعدَ أن غطَّى المسحراتي وتركه في ثُباتِ نومه، بادرَ بالحديثِ فقال: أرى أنكِ تستغربينَ وجودى، دعيني أُخبركِ أنّي تعرَّفتُ على الدكتورِ محمد من عدَّةِ أيامٍ قليلةٍ، كان الوقتُ متأخرًا وصعدتُ معه إلى هنا؛لنتناولَ فنجانًا من القهوةِ وكم ساءَني ما رأيتُ من حالتِه، بل أنّي كلّما تذكرتُ ما فعَلته طليقتُه معه وحرمانه من ابنته طوال هذه الفترة، أجدُ من لوعاتِ الآلامِ ما لا يُمكنني تصوُّرَه، ولكنّي قد أعتبُ عليكِ



لتركِه ها هنا وحيدًا، أنا أُفكرُ جديًا في الإقامةِ معه، فأنا أخشى عليه أن يضرَّ بنفسهِ في إحدى نوباتِه هذه، نظرت إليه المرأةُ بتذمرٍ وقالت ساخرةً متألمةً: «طليقته»؟وماذا حكى لك أيضًا؟

بدأ وحيد يرتبكُ ويشكُّ أن ذاكرتَه قد خلطت الأحداثَ بعضَها ببعضٍ، فقال لها: «أرى ملامحَ وجهِك تُريدُ إخباري بشيءٍ»، فقامت وقالت: «تُريدُ أن ترى الدكتور محمدًا... ثواني أُخبره وأعودُ إليك»، ثُمّ تركته وانصرفت سريعًا، وخرجَت عليه طفلتان توآمتان لم تبلغا العاشرةَ من العمرِ؛ فعلم على الفورِ أنّهما ابنتا هذه المرأةُ السمينةُ ذات العيونِ العسليةِ، دقائق وكانت المرأة أمامه توصِّله إلى غرفةِ الدكتور التي لم تزل صورتها حاضرةً في مخيلتِه، طرقَ البابَ ودخلَ ليجدَ الدكتورَ وقد زادَ سنُّه عشر سنواتٍ أُخرى، أهلًا دكتور محمد، كان الدكتورُ ينظرُ إلى سقفِ الغرفةِ، نظرَ إلى نادر في لا مبالاةٍ، وقالَ له: أهلا حبيبي، من أنتَ؟

قال أنا نادر صديقك ثُمّ بدأ نادر يتمايلُ أمامَه صانعًا بيده في الهواءِ طبلةَ المسحراتي، ألا تذكرني؟ عندما كُنت أُغني.... البونبونيرة... سلمى؟

نظرَ إليه وكأنّه لا يراه ثم قال له بملامحَ حازمةٍ.. هل تعرفني؟

نعم يا دكتور.. ثم أخذ يلتفتُ وينظرُ إلى وجهِ أخته التي كانت تقفُ صامتّة لا تُبدي بوجهها أيَّ علامةٍ لأيِّ شيءٍ، كالتي تختبرُ أمرًا لأوَّلِ مرةٍ، قال نادر أرى أنّك الآن أفضلُ من ذي قبلٍ، وأنا ما أتيتُ إلا لكَيْ أطمئنَّ على صحتِك، وها أنا أراكَ الآن في خيرِ حالٍ فاسمح لي أن انصرف، فنظر له الدكتور محمد ورسمَ على وجهِه



ملامحَ ملكٍ روماني ينتظرُ أن يُشاهدَ مصارعةً عاجلةً بين رجلٍ وأسدٍ، وأشارَ له بطَرْفِ إصبعه وقال له... انصرف، ثم مدَّ يدَه ورفعَ الغِطاءَ المفرودَ على جسدِه ليضعَه على وجهِه، ثُمَّ أنزله سريعًا وهو يضحكُ ويُكررُ... انصرف، ثُمَّ زاد من حدةِ صوتِه وارتفاعِهِ والبسمة لم تُغادر وجهَه..... انصرررف

أشارَ له نادرٌ بيدِه يُهدئه والتفت إلى المرأةِ في إشارةٍ أنْ تَقَدَّمي لنخرجَ، وفي الطرقةِ الطويلةِ وبينما هو يمشي وعلى وجهه ابتسامة توحي بخيبةِ الأملِ؛ التفتت المرأة إليه وقالت: تفضَّل، أنا أجهِّزُ لك فنجانًا من القهوةِ، عندما كلمتني بالأمس كنت أتمنى لو أنَّك صديقٌ قديمٌ للدكتورِ، ولكن لمّا رأيتُك اليومَ علمتُ من حداثةِ سنِك أنَّك لست صديقَه الذي أنتظره، الدكتور محمد مريضٌ من فترةٍ كبيرةٍ، وكل ما حكى لك من نسجِ خيالِه، زوجته لم تخنه، أوه!!! كم هو رقيقٌ وطيبٌ ومرهفُ الحسَّ لم يتحمل قلبه فراقَ ابنته!، ففي يومٍ عادٍ من أيامِ شهرِ مارسٍ كان يتجهزُ كعادتِه للخروجِ لعملِه، وكانت ابنته سلمى تلعبُ كعادتِها، فقد كانت طفلةً مشاغبةً جدًا رحمها الله،أمسكت زجاجةَ ماءٍ وراحت تغسلُ جهازَ الكمبيوترِ الخاص بوالدتِها الدكتورة كوثر؛ فأتلفته تمامًا مما أثارَ حفيظةَ الدكتورةِ، فالجهازُ يحتوي على النّسخةِ الوحيدةِ من أبحاثِها التي عَكَفت عليها سنوات طويلة، وفي غمرةِ عصبيتها ضربت البنتَ، ويبدو أنَّها قست عليها جدًا في هذا اليومِ مما أصاب البنتَ بنوبةِ بكاءٍ حادةٍ هُرعَ على إثرها أخي الدكتور محمد نحوها؛ كان يظنُ أنَّ ثِمةَ مكروهٍ قد حدث لها، ولمّا علمَ الأمر أخذَّ يُوبخُ كوثر على ردة فعلها، فسلمى ابنته



الوحيدةُ ولم يكن يستطيع أن يرى أو يتحمَّلَ أيَّ إساءةٍ لها حتى لو كانت من أمها؛ فقد أنجبها بعد فترةٍ طويلةٍ نظرًا لتأخرِ سنِّه حين الزواجِ، كانت كفرصتِه الأخيرةِ في الأبوةِ، لم يكن يبخلُ عليها بأيِّ شيء من وقتِه ومالِه واهتمامِه،وبعد أن هدَّأ البنتَ، حكَّم رأيَهُ بأن تأخذُّها كوثرُ إلى النادي لتمارسَ لعبتها المفضلةَ - السباحة- ووافقت كوثر على مضضٍ؛ فَفَاجِعَةُ أبحاثها كانت أصعب من أن تنسى بمجردِ أن تشيحَ بوجهها عن سلمى، وأظنَّك تعلمُ كم يصعُبُ على الإنسانِ أن يتحملَ أن تُهدرَ نتيجةُ أعمالِه!، أو أن يصبح بين يومٍ وليلةَ كلُّ ما أنجزَه وأمضى الليالي في مراقبةِ انضاجه سرابًا، أخذَّتْها وفي طريقِ العودةِ توقفت الدكتورة بضعَ دقائقٍ على الطريقِ ونزلت لتقضي أشياءً من كشكٍ قريبٍ، ولكن قدَّرَ اللهُ أن تأتيَ سيارةٌ مسرعةٌ وتصطدم بسيارَتِها وتموت سلمى، كان الأمر بالنسبةِ للدكتور محمد يعني أشياءً كثيرةً ليس مجردَ موتِ طفلةٍ، ولكنها تعني ما هو أكبرُ وأعمقُ من ذلك، كانت متعتُه الوحيدةُ في الحياةِ، كانت محركَ العطاءِ داخلِه، كانت ابنته وأمه، تتجسدُ في ضحكتِها كلُّ أحلامِه وأمانيه، لم يستطع الصمودَ طويلًا، أصابَه الانهيار في المستشفى عندما رآها طريحةَ الفراشِ ويُبلغَه كلُّ مَنْ حولِه أنها فارقت الدنيا إلى غيرِ رجعةٍ، لم يحتملْ فكرةَ ألاّ يراها مجددًا، أسرعَ إليها واختطفها ونزع كلَّ الخراطيمِ المثبتةَ في جسدها الصغيرِ وهو يبكي كطفلٍ فقد أمَّه، حاول أن يأخذَّ جُثمانَها ويخرجُ بها على حالتِها، كان يُحاولُ أن يشرحَ للجميعِ أنَّه طبيبٌ وأنَّ هذه حالةَ توقفٍ مؤقتٍ للقلبِ، ويمكنه أن يُسعِفها، وضعَ جسدَها على الأرضِ وراح يُمارسُ أنواعًا من الإسعافاتِ



لم يعرفها الطبُّ من قبلٍ، وكأنّما فَقَدَ كلَّ ما يعرفُ في هذه اللحظةِ، لا عن الطبِّ فقط، ولكنَّه حِينها فقَدَ حتى اسمه، حتى أسماءِ الأشياءِ من حولِه كان يُشيرُ للواقفين؛ كأنَّه إنسان فَقَدَ مفرداتَه ونطقَه،ولم يُفرِّق بين كونه إنسانًا عاقلًا سَويًا، وما هو عليه الآن إلا لحظات بسيطة من رؤيته لها على هذه الحالةِ، أتعبنا كثيرًا عند الدفنِ لم يكن يُريدُ أن يُفارقَها في مَثواها الأخير تحت الترابِ، كان يُحاولُ أن يُقنعَ الجميعَ أنَّه ميتٌ، وأنَّ صوتَه الذي يتكلَّمُ به ليس صوتَه، كان يحاول أن يُقنعَهم أن يُغْلِقوا عليه، ويتركوه مدفونًا بجوارِها، كان يُحاولُ طردَهم وإخراجهم من داخلِ قبرِها كأنَّه يطردُهم من غرفةِ نومها الخاصةِ؛حتى يتسنَّى له أن يجلسَ بجوارِها حتى تصحوَ كما اعتاد أن يفعلَ في السابقِ، أوه! كم هو رقيقٌ وطيبٌ!،استطاع أن يُنْسينا كلَ معاناتِ فَقْدِ سلمى بفقداننا إياه، نعم مات أخي في ذلك اليومِ ولم يرجع إلى الحياةِ إلا للحظاتٍ بسيطةٍ، حاولَ أن يقتلَ أمها ظنًّا منه أنَّها السببُ في موتِها، كان عقلُه يختلقُ له الفروضَ والتخيلاتِ كلَّ يومٍ... تارةً بأنها تعمدت أن تتركها في السيارةِ عندما شعرتْ بخطرِ التَّصادمِ، وتارةً بأنَّ سلمى لم تمت في حادثةٍ بل ماتت مسمومةً وآثار السُّمِّ باديةً جدًا على الجسد، وأنَّ الحادثةَ ما هي إلا اختلاق للمداراة على الجريمةِ!! إرهاصاتٌ كثيرةٌ كانت تنتابُ مخيلتَه ولكنها كلها كانت متعلقةٌ بزوجتِه،حتى استقرَّ على أنها كانت تخونُه وأنَّ البنتَ رأتهم في موضعٍ حرجٍ فأردا أن يتخلصا منها ويُدفَن معها سرَّهما!

كان نادرينظرُ إليها في اهتمامٍ بالغٍ، وهو يحتسي القهوةَ والسجائرَ المشتعلةَ لا



تفارقُ يده، كانت تنتابه ظنونٌ أنَّه سيفاجأ بعد قليلٍ بها وهي ترقصُ وتخبره بأنها أم سحلولٍ أخت المسحراتي المنقراتي، ولكنَّها استرسلت في حديثها «وإن كان هو قد فُجع مرةً فكوثر فجعت مراتٍ. مرة بفقدِ ابنتها الوحيدةِ ثُمَّ زوجها ثُمَّ ثقته في عفتِها وأخيرًا أبحاثها، وكذا فقدت عملَها كطبيبةٍ والآن هي ترقدُ لاتغادر فُراشَها من الإعياءِ»، أعتذر لك إن كنت أكثرتُ عليك الهمومَ ولكنِّي أرى من واجبى أن أُميطَ الأذى عن عرضِ امرأة فُجِعت في كلِّ ما تملك، وفقدت كلّ أيامها، نظر إليها نادر وهو يحكُّ رأسَه ويسحبُ أنفاثًا عميقةً من سيجارتِه، أسرة دُمِّرَت بفقد بنت؟ كان عليه أن يكونَ أقوى من ذلك، قالت متململةً: «القوةُ النفسيةُ لا تُصطنعُ، ورجل يعمل طبيبًا أي سفيرًا للرحمةِ لا يمكن أن نطلبَ منه أن يحدَّ مشاعرَه في قالبٍ، فمن يتعودْ العطاء وتقبل الأعذارِ وتحمل الأخرين والتجاوب مع أنَّاتهم لا يمكن أن نطلبَ منه مشاهدةً قطفِ الوردِ قبل بدوه واكتمال نضوجه، الدكتورُ محمد إنسان، مشاعره تعني له كلَّ شيءٍ، كم من حالةٍ تأتي إليه فيستقبلها بلا أجرٍ! وكم من وقتٍ أنفقَ في سماعِ شكوى مرضاه! طبيبٌ عاشَ حياتَه يُحاربُ الألمَ ويُحاصرُه فلا يتخطاه ليرعى في أجسادِ مرضاه، كم فقد الناسُ من الخيرِ بفقدانِه!»

مشى نادرٌ ومشاهدُ مقابلته الأولى مع الدكتورِ محمد لا تُفارقَ خيالَه، كيف لإنسانٍ كان يملكُ الدنيا كلَّها بأن يفقدها طوعًا ودونها ذنب يُذكرُ؟! وهل يُمكنُ في يومٍ يُرزقُ بطفلٍ يسلبه لُبَّه ويُذيبُ ثلوجَ قلبِه ويمحو قسوتَه؟! وهل حقًّا جديرٌ بالحياةِ أن تكونَ أنتَ أداةُ البناءِ فيها، وتمضي في طريقِك متجاهلًا كلَّ معاولِ الهدمِ



من حولك؟

لم يكن الخيرَ والشرَ يتنازعان نفس نادر ولكن كان الشرُّ داخله يحاول أن يجد مخرجًا لكلِ المواقفِ الإنسانية التي تعترضُ طريقَه؛ فيُفسرُها تفسيرًا لائقًا يمكنُّه من حدِ حركةِ الخيرِ داخله، تفسيرًا يستطيعُ أن يُصحر ما بقى من مساحاتِ خيرٍ خضراءٍ داخله، فمجرد انكماش الخيرِ وانذواءه لم يكن يُرضى نفسَه الشريرةَ التي أبت إلا أن تستحوذَعليه، وتلمّ شتاتَ قلبه في قبضةٍ واحدةٍ، هروبه من الخيرِ لم يكن مجردَ مصادفةٍ بل يمكن لأيِّ أحدٍ تُتاحُ له فرصةً أن يجلسَ قليلًا داخله؛ ليرى هذا الظلمَ الجائرَالذي تُمارسه نفسُه الشريرةُ على الأخرى الخيرة، لم يكن يتركَ لنفسِه مساحةً تذوق معاني الرحمةِ والعدلِ والأمانةِ بل كان يظنُّ أنها معاولُ هدمِ أحلامه، ومؤخراتِ نصره المزعومِ، كان يُوقنُ أنَّ تقدمَه وحصولَ مُراده من الثراءِ لن يكونَ ثابتًا ضاربًا بجذوره في الأرضِ إلا إذا استطاع أن يبنيه على أطلالِ غيرِه من الحمقى والمغفلين أصحاب النياتِ الحسنةِ.

سؤال طرحه على صديقه سمير: هل رأيت يومًا شريفًا صادقًا عادلًا نالَ من الدنيا أي شيءٍ؟ لا تُفكرَ يا صديقي ودعني أُخبرك أنَّ الطيبين لا مكان لهم إلا في الجنةِ هناك بعيدًا - يُشيرُ بيده ناحيةَ السماءِ- مع الصديقين والشهداءِ... نعم في الجنةِ، هل تُريدُ أن تدخلَ الجنةَ يا سمير؟ فقال له متنهدًا: ومن لا يُريدُ؟... نعم أتمنى، فهبَّ قائلًا وما يمنعك يا صديقي تعالَ أخبرك طريقَها، كن حسنَ الظنِ وتفضّل باستضافتي يومًا واحدًا أو نصفَ يومٍ في بيتِ رجلٍ تعرفه، وضع في يدي



بكلِ ثقةٍ عرفها البشرُ مفاتيحَ خِزانتِه، ثم اذهب كما يذهبُ الصالحون لتجهيزِ واجبِ الضيافةِ، وخذ وقتك فلا تتعجلْ، فسأبيتُ الليلةَ عِندك، ثُمّ نَم قريرَ العينِ بعد أن تقولَ أذكارك فينتابك السلامُ النفسي هذا.... وتبدأ الملائكةُ بحراستك حتى الصباحِ، ستقوم نشيطًا ونفسك راضيةً... حينها لن تجدني في هذا المكانِ الذي أودعتني فيه في الليلةِ السابقةِ وحتْما ستجدُ خزينةَ هذا الصالحِ المسكينِ فارغةً إلا من ورقةٍ صغيرةٍ قد سوّدتها لك وله بعباراتٍ تحثُّك على الصبرِ على المصيبةِ وإنَّ موعدَك الجنةِ،خذّها حبيبي ولا تُبالِ وانظر إلى السماءِ رافعًا الورقةَ ذاتَها وقل: «اللهم إني أشهدك أني أسامحه فأدخلني الجنةَ» ضحكَ سمير وقال له: « تريدُ أن تأخذ جنةَ الرجلِ في حوذتك وتتركنى معه في جحيم خزانته الخاويةِ؟» فضحك نادر قائلًا: «أهلًا بك صديقي»... نعم اخرجْ لي الكافرَ الذي بداخلك فيشاركني بحثي وطريقي، فإن أدركنا الغايةَ كان لك مقعدًا فيها، أما أن تجلسَ متفرجًا وتقول لي: أشتهي جنةً في السماءِ فلا تلومني إذا ما نسيتك عند تحصيلِ الغايةِ، بل قد يُغرِني شيطاني فأشتريك كما سأشتري غيرك، وأوَكِّلُ لك مهمةَ كبيرِ الخدمِ في قصري، وأستمتعُ بإهانتِك أنتَ وإيمانَك المزعومِ هذا ليلَ نهارَ، قاطعه سمير: ما لك يا نادر لم أعهدك كافرًا لهذه الدرجةِ؟...... كافر؟! بأيِّ شيء تراني كافرًا؟ أبالله؟ أنا لستُ كافرًا بالله أنا أكفرُ بهذه الآلهةِ البشريةِ التي تُمسك القطرَ أن ينزلَ من السماءِ، هؤلاء الذين راحوا يوزعون الدنيا عليهم.. وأين نادر؟ وأين حقُّه؟ وأين ما أرسله له الله من السماءِ؟ خطفوه، أرادَ أن يرحمني فأبوا، أرادَ لي عيشةَ الملوكِ وأرادوني هم شحاتًا



مدفوعًا بالأبوابِ، إذَن لابد ألا أُكثرُ اللومَ وأهبّ إلى العملِ، فخيانةُ الخائنِ وسرقةُ السارقِ بل وقتلُ القاتلِ ما هي إلا أعمالٌ خيريةٌ؛ ترضي الربَّ وتُدْخِلَني جنته في الدنيا، أمَّا الآخرة فلا مانع أن اتركها لهؤلاء الجوعى والمرضى الذين لم يهبُّوا وتركوا الرحمةَ تتلاعبُ بهم أيّما تلاعب، قال سمير: «لو احترقت بنا هذه الخرابةُ الآن فلن أشكَّ أنَّ كفرَك سببٌ أصيلٌ لما سيحيق بنا، أتمنى لو يُمْهلنا الله حتى نملكَ الدنيا، ونقدّم بعد ذلك من العبادةِ ما يجعلنا ندركَ جنةَ الآخرةِ، يا سمير لا تُغالطَ نفسَك... هذه الحياة لا طريق فيها للراحةِ إلا بالحرامِ، ولا ندري هل نشبعُ منه يومًا أم يصيرُ دينًا نُعادي ونوالي عليه، ألا ترى مَنْ سبقونا سنًا وعلمًا وخبرَة»... هم ساداتُ الحرامِ يا صديقي، تعلموا الخنوعَ وتعبيدَ النفسِ الذل فتمكنوا من الاستقرارِ، كل ما نظرت لرجلِ أعمالٍ أجد له تاريخًا من الفسادِ يستحقُّ أن يُباهي به إبليس نفسَه،فإذا ما نظرتُ في الناحيةِ الأخرى وجدت قومًا يصومون فإذا ما حانَ الوقتُ يُصلُّون وبعدها فورًا يبتلون!! سكت برهةً وكأنه شرد بخياله إلى حيثُ تُحيطه مشاهدُ السياراتِ الفارهةِ والكروشِ المنتفخةِ فقطعَ الصّمتَ قائلًا: «تعال نذهبُ إلى إيهاب أظنُّ أن الجلسةَ تحتاجُ إليه... هيا».

ذهبَ معه سمير على مضَضٍ فلم يكن يرتاحُ لهذا القعيدِ بهيئته وكلامه، ذهبا إلى بيت إيهاب على غيرِ موعدٍ طرقَ نادر البابَ بخبطاتٍ متتاليةٍ حتى فتحَ لهم المهندسُ إيهاب بابَ الشقةِ ضاحكًا ووجَّه كلامه لنادر،استحسنت الأمرَ فأتيت.... تفضلا أغلقَ البابَ خلفَك فالخادمةُ غيرُ موجودةٍ، جئت معي بسمير أظنك تذكره،

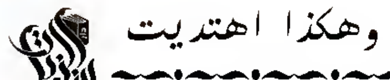


قال: نعم أنا لا أنسى شيئًا، قال نادر: « ماذا كنت تفعلُ؟ هل قطعنا خلوتك؟ ظننتك منشغلًا في الصلاةِ، قلت إنك نويت التوبةَ والرجوعَ عمَّا في عقلكِ»، ضحك إيهاب بصوتِه الرنانِ الذي يُشعرَك بأنه صوتُ عدة رجالٍ يضحكون من داخلِ كهفٍ مظلمٍ، فكهفُ نفسِهِ كان أشدَّ ظلمةً ووحشةً من كهوفِ الجبالِ العتيقةِ... تفضلا اجلسا سأحكي لكما قصةً، ثُمَّ رفعَ بيده تلك الشعيراتَ الفضيةَ التي دائمًا ما تُغافلُ شعرَه الأسودَ وتطفو على السطحِ، نشأتُ في أسرةٍ محافظةٍ لأبٍ وأمٍ مسلمين كنت كأيِّ مسلم أُحبُّ ديني وأُصلي وأعبدُ في ميكانيكيةٍ ككلِ مَنْ حولي، وكنتُ في فترةِ الطفولةِ لما أُصيبت أختي باكتئابٍ حادٍ جعلها تنعزلُ عن الناسِ، حتى صحوت في يومٍ ليأخذني بعض الجيرانِ لأجلسَ عندهم بعد أن شاهدتُ أمي وأبي وأخي الأكبرَ يبكون، والبيتُ يضجُ بالناسِ الذين اتشحت ملابسهم بالسوادِ، أحوالٌ تنبئ بشيءٍ غير طبيعيٍ قد حدثَّ، لم أكن أعلم حينها أن اختى قد ماتت فلم أكن أدركُ في هذه الفترةِ ما الاكتئاب، وماذا يحلُّ بصاحبه، انتحرت ريم... تخلصت من حياتها بعد أن تأكَّدت أنها ستظلُ في تبعيتها إلى الأبدِ، قررت أن ترى المجهولَ الحقَ، فالمستقبل أصبحَ مكشوفًا تمامًا بالنسبةِ لها ولا يحوي أيَّ جديدٍ يمكنها أن تنتظرَه، كانت أقربُ أُسرتي إلى قلبي كانت تحنو عليَّ أكثرَ من أُمي، لم تكن تُفارقني حتى أُصيبَت بِما أُصيبت به من مرضِ الاكتئابِ، كنتُ أراها تزبلُ وتنطفئ عيونُها كلَّ يومٍ ولا أحد يدري ما بها، لم أكن أعلم ما سبب هؤلاء الشيوخ الذين اعتدتُ مشاهدتَهم يدخلون غرفتَها ويخرجون منذُ أنْ مرضت؟! ولمّا كبرتُ كنتُ أولى الناسِ بميراثِها



الذي اكتفى الوالدان بوضعِه داخلَ صندوقين من الكرتونِ وزجّه تحتَ إحدى الأسرةِ، مجموعةٍ من الكتبِ الدينيةِ والمذكراتِ الشخصيةِ، والإلهاماتِ وبقايا قصاقيصَ قُطِعَت من كشاكيلَ عدةٍ، كانت أوراقها البسيطةُ بمثابةِ ملحمةٍ وتدوينٍ لتاريخِ فتاةٍ عاشت كمنبوذٍ في مجتمعٍ لا يعرفُ غيرَ الله! فيجلدها به كل يومٍ وساعةٍ، أوراقها على قلتها إلا أنَّها كانت كثيرةَ النفعِ بالنسبةِ لِي، استطاعت بعدةِ ورقاتٍ أن تُحددَ مصيري كلَّه من أولِه وحتى الآن، كلماتٌ كثيرةٌ قد دوّنتها في مذكراتِها كلّها بحث... وألم... وتساؤل، وبينما أنا أُقلِّبُ بينَ أوراقها وداخلَ مصحفٍ قديمٍ مهترأ الأوراقِ وجدتُ ورقةً قد طُويَت ووضعت داخلَه، ورقةٌ صغيرةُ الحجمِ عظيمةُ الشأنِ بديعةُ الفائدةِ، تحتوي على بضعِ أسئلةٍ فاتكةٍ أحالت حياتي من قيدِ العبوديةِ إلى متسعِ الحريةِ المتمثلةِ في الإلحاد، لو لم تكن ريم لظللت على ضلالاتي وأكملت طريقَ القطيعِ، بضع أسئلةٍ تكفي أي عاقلٍ ليتركَ نصرانيته وإسلامه إلى براحِ الإلحادِ،اسمع لتعلم أن القطيعَ حتمًا سيأتي عليه يومٌ ويتشتت ليصيرَ كلُ خروفٍ في جانبٍ وحده؛وحينها يمكنه البدء من جديدٍ؛ ليحيا حياةً تليقُ به كبشرٍ، كتبت ريم في هذه الورقة... أينَ عدل الله حين خلّقَ الضعيفَ والقوى؟ ولماذا خلقَ المنافقَ والمجرمَ والكافرَ والظالمَ؟ ولماذا يُقتَلُ المسلمون في كلِ أنحاءِ العالمِ ولا يتدخل إلههم وينقذهم من هذه المذلةِ؟ ولماذا تفوّقَ أهلُ الكفرِ في كلِ مجالاتِ العلومِ ولا يزال العالمُ الإسلامى يفكرُ بأيِّ قدمٍ عليه أن يدخلَ إلى الحمامِ؟ وما معنى أن يخلقَ اللهُ أطفالًا لا ذنب لهم بعاهاتٍ مستديمةٍ وإعاقاتٍ لا شفاء منها؟ وكيف يكون اللهُ رحيمًا وقد سلّبَ من المرأةِ كلَّ حقوقِها





بجعلها مجرد أداة لمتعةِ الرجلِ؟ ولماذا أسوأ الشعوبِ أخلاقًا هي الشعوبُ المسلمةُ؟

سرح نادر لبرهةٍ ثُمَّ عاد بوجهه ناظرًا إلى سمير الذي ضحكَ وقالَ: «لا تنظرْ إليّ هو من قال، أنا لا عِلمَ لي بهذه المسائلِ»، فعادَ بوجهِهِ يرمقُ إيهاب بنظراتٍ متقززةٍ ثُمَّ طلبَ ورقةً وقلمًا وطلبَ من إيهاب أن يُكرِّرَ ما قاله، وأخذ يدوِّنُ الأسئلةَ في ورقةٍ، ودسَّها في جيبِه وقال له: « حسنًا أحسنت القولَ يا إيهاب »...بجعلها مجرد أداةٍ لمتعةِ الرجلِ!! نظر بشذرٍوقال يا إيهاب «هل لك أنْ تدلَّ ساقي الخمر هذا وتطلّعه على جزءٍ من الغيبِ؟» نظر له إيهاب ضاحكًا ولم يتحدث فعاود حديثَه: «نعم أخبره مكانَ الخمرةِ، سمير يعشقُ النبيذَ ومكانه في هذا البيتِ غيبٌ لا يعلمه أحدٌ إلا الله ثمَّ أنتَ»،رجعَ بوجهِهِ جهة سمير الذي أخذَّ موضعَه على كرسيٍّ وهو يُتابعُ في صمتٍ، فقالَ: «نسيت أنْ أُخبركَ أنَّ إيهابَ قد نصَّب نفسَه إلهًا، فلنرَ يا صديقي هذا الإله الجديد عنده ما يُدخِلُ علينّا البهجةَ أم لا »، ثمَّ أَومأ إلى صديقه أن أنظرَ إلى ثرائِه، أحضرَ إيهاب النبيذَ وأخذوا يتبادلون الضحكاتِ وهم يتناقشون في الأسئلةِ حتى ساعةٍ متأخرةٍ من الليلِ.

لم يكن نادر ليُقلعَ عن نبشِه للقبورِ إلا بعد أن يجدَ ضالتَه المنشودةَ من التحفِ الأثريةِ والذهبِ منطفئِ اللمعةِ، كان كمن نسى أنَّه في جامعةٍ فانقطع عن محاضراته بالكليةِ بل وأصبح لا يسأل عن أي شيء يخصّها، وتفرغَ تمامًا إلى رحلاته مع معتز بين محافظاتِ الصعيدِ، ولعلَّ ما استهواه في أولِ الأمرِ هو هذا الاستقبالَ الذي كان يعدّه أصحابُ الأراضي الحالمون بالكنوزِ، فكانوا إذا أَمَرُوا يجابون،وإذا قالوا لا



يراجعون،وأصبح نادر وجهًا مألوفًا بين الوسطاءِ الذين كانوا يلجئون إليه كثيرًا بحثًا عن معتز، الذي اشتهر بدوره على أنَّه خبيرُ آثارٍ ووسيلةِ الاتصالِ بالتُّجارِأصحاب الدولاراتِ الخضراءِ، وكان لقاؤه بالشيخِ طاهرٍ لحظةً فارقةً في مشوارِه،تعرَّفَ عليه في منزلِ معتز وكان الشيخُ طاهرُ على قصرِ قامتِه صاحبَ حضورٍ قويٍ،لم يكن من هؤلاء الذين يرتدون العمامةَ أو الجِلبابَ ولكن كان رجلًا عاديًا يرتدي تيشرت وبنطال جينز صلعته كبيرة وعيونه كأنها مُكَحَّلَة، وكان شاربُه يحتلُّ مساحةً كبيرةً من وجهِه، هيئتُه لم تكن تدلُّ على أنَّه شيخٌ روحاني طويلُ الباع في التنقيبِ ـ بل أن أجرته كانت ثلاثَ آلافِ جنيهٍ للزيارةِ الواحدةِ ـ ليقولَ كلمتَه التي كانت بمثابةِ حكم القاضي الذي لا يقبلُ الاستئناف، فهو قولٌ فصل واجبُ النفاذِ بأنَّ أرضَ فلانٍ بها كنزٌ أو أنَّها خاويةٌ وينصحه بأنْ يوفِّرَ مالَه ومجهودَه، ويكتفي الشيخُ طاهرٌ بالثلاثةِ آلاف نظيرَ كشفِه، كانت أحاديثُ السَّمرِ بين معتز والشيخ طاهر حول علاماتِ المقابرِ وطرقِ فتحها تستهوي شغفَ نادر، الذي كان يظلُّ طوال الجلسةِ يطرحُ الأسئلةَ على كلا الرجلين كالمستكشفِ، لم تكن المسبحةُ تفارقَ يدَ الشيخِ طاهر فبعد أن فرغَ من سيجارتِه استأذنَ منهم ليجلسَ صامتًا لمدةِ ربعِ الساعةِ حتى يتمكَّنَ من إنهاءِ وِردِه اليومي!

كان الأمرُ برمته غريبًا على نادر فلم يكن يفهمُ ما معنى ورده اليومي؟ وما الحاجة في أن يتركَ الشيخُ الحديثَ معهم ليبدأ في وِردِه؟ ولماذا لا يؤجله؟ حتى السيجارةِ لم يكن يفهمُ كيف تتفقُ مع رجلٍ صاحبِ بركاتٍ كالشيخِ طاهر؟ اجتهد



معتز في الإجابةِ عليه في حضورِ الشيخِ الذي انتحى جانبًا وصار يغربُ بعينيْهِ يمنَةً ويسرةً وهو يتمتمُ بالأذكارِ، قال معتز: «الشيخُ طاهرُ له طريقة تختلفُ تمامًا عن طريقتنا، ونحن نتفقُ معه على بعضِ العلاماتِ في الاستدلالِ ولكن هو يعتمدُ على الكشفِ الروحاني، ولا يستعملُ أيَّ آلاتٍ لتحديدِ مكانِ المقبرةِ بل يكتفي بالبخورِ وبعض الكتاباتِ، أثارت كلماتُ معتز ذاكرةَ نادر فصارت تخبطُ رأسَه بكلماتِ الحاج بسطاوى صاحب شبرا وقَريح»، فجلس متلهفًا حتى أنهى الشيخُ وردَه ونظرَ إليه وقال: «الكشفُ الروحاني ليس بالأمرِ السهلِ فقد أنفقتُ من العمرِ فيه سنين بين عبادةٍ ورياضةٍ....، فقاطعه نادر: رياضة؟! هل يوجدُ رياضةً في الدينِ؟ قال له: نعم رياضةٌ روحيةٌ، خلوةٌ بأيامٍ معينةٍ وأورادٍ معينةٍ، وبعدها تستفتحُ البابَ فقد يُفتحُ لك أو لا»، قال نادر: «ولكن ألا يتعارضَ شربُ السجائرِ مع العلمِ الروحاني؟» قال له لا... فلنا أن نفعلَ بعضَ الأمورِالتي يتجاوزُ اللهُ عنَّا فيها لِمَا نُقدِّمَه من طاعةٍ في الخلواتِ، فالطريقُ الروحاني طريقٌ صعبٌ وشاقٌّ لا يألفه إلا أصحاب النفوسِ الأبيةِ، هل تستطيعُ أنتَ أن تجلسَ وحدَك في مكانٍ مغلقٍ لمدةِ أربعين يومًا لا تكلمْ أحدًا؟ قال نادر: « لا، لأني حتمًا سوف أموتُ، فكيف لي أن أحيا أربعين يومًا بدونِ طعامٍ؟! » قالَ الشيخُ طاهر لا ستدخل الخلوةَ ببعضِ الطعامِ ولكن طعام معين من البلحِ والعيشِ والزعترِ وزيتِ الزيتونِ، قال نادر: « ما الزعتر هذا؟!» قال: «هو نباتٌ جيدُ الطعمِ والرائحةِ وله مذاقٌ خاصٌ إذا ما أضيفَ له زيتَ الزيتونِ والأهمُّ أنَّه يُصَفِّي روحَك »، قال نادر: « من أيِّ شيء يُصفِّيها؟»، قال: «مِن الأدرانِ



والآثامِ»، ثُمَّ مدَّ الشيخُ يده وأخذ يهزُّ سيجارتَه في كفِه حتى تساقطَ منها رمادٌ خفيفٌ على كفِّه، وقالَ: «يدي هذه روحك وها هي عليها بعض الشوائبِ، انظر»... ثم نفخ فيها فتطايرت فقال: « وهكذا يفعل الزعترُ بنفسك»، عدَّلَ نادر من جِلستِه ورَاحَ يسألُ هل يمكنك أن تُخرجَ جنًّا من جسدِ مريضٍ؟ قال: نعم بأمرِ الله، هل تعرفُ أحدًا به مَسّ من الجنِ، قال: لا ولكني سمعتُ من صديقٍ لي عن شيخٍ يكتبُ حروفَ القرآنِ مقطعةً على ورقٍ ثُمَ يُتمتمُ بكلماتٍ ليحضر الجن ويضعُ الورقَ في كوبٍ من الماءِ، فنظرَ طاهُر له ساخطًا وقال هذا ساحرٌ لا تتعاملْ معه فالجن لا يخرجُ بهذه الطريقةِ ولابد من تحصينِ المكانِ وأهلِ البيتِ أولًا، ما أسوأ أن يمتهنَ المرءُ مهنةً لا يعرفُ عنها شيئًا، قالَ نادر ولكن أنتَ كيف تُخرجُ الجانَ يا شيخ، قال: أنا معي خُدَّامٌ من الجنِّ المسلمِ الصالحِ، وهم يقومون بهذه المهمةِ، بدأ نادر يفقدُ بعضَ توازنِه وقال... جنٌ صالحٌ؟ ما معنى جنٌّ صالح؟ عدَّلَ الشيخُ طاهر من هيئتِه وضمَّ أقدامَه لبعضها كأنَّه يتهيأ للتحدثِ عن أمرٍعظيمٍ، وقال هم إخوانُنَا من الجنِ الذين مَنَّ الله عليهم بالهدايةِ فصَارَ منهم العلماءُ والصالحون ومَنْ يوفِّقْه اللهُ لمصاحبةِ أحدهم ينَلْ الخيرَ الكثير، أَلَمْ تسمعْ قولَ الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن: ١-٢] فالجنُّ الصالحُ هو مِن نعمِ الله علينا، يبذلُ لنا مِن علمِه ما نستعينُ به في قضاءِ حوائجنا، قال نادر: «وهل الجنُ الصالحُ هذا عنده علمٌ؟ ومن أينَ أتى به؟! »، قالَ الشيخُ طاهرُ: «نعم عنده علوم شتَّى ومنها ما لا نعرفُ عنه شيئًا، فالجنُ أعماره



طويلة... منهم من يبلغُ المائتين بل منهم من يبلغُ ألفَ عامٍ، فكيف ظنَّك بمن عاشَ ألفَ سنةٍ؟ يطَّلعُ فيها على علومِ الإنسِ والجنِ معًا؟ فكُتُبُنا متوفرةٌ وهم يطَّلعون عليها وكذا عندهم من العلمِ النظري الكثيرِ، فخبراتُ خمسةُ أجيالٍ أو أكثرُ تتركزُ في عقلِ جنيٍّ صالحٍ واحدٍ كأنَّه يعتقها جيلًا بعد جيلٍ، بلغَ نادر ذروَة انتباهِه، وقالَ: «كيف لي أن أصاحبَ واحدًا منهم وأنهلَ من علمِه؟ وهل الأمر متوقف على العلمِ فقط؟ ألا يمكن أن يُساعدَني في أن يجلبَلي المالَ مثلًا؟» ابتسم الشيخُ طاهر وقال: هذا الجن مسلم أي لا يسرقُ فهو لا يأتي لك بالمالِ أبدًا ولكن قد يدُلُّك على طريقِه، وقد يُعلّمك علمًا تستطيعُ من خلالِه أن تكتسبَ المالَ، فقد تُصادقُ جني طبيب أو عالم في مجالٍ ما.

كان الحوارُ قد استولى على لُبِّ نادر كاملًا، فأخذ يُصعِّدُ نظرَه في الشيخ، ثُمَّ قَال له: ولكن.. ما شروط أن يصاحبنى جنى؟ قالَ لا شروط هو منةٌ من الله على عبادِه الصالحين،كن عبدًا صالحًا وبعدها اسأل الله ما شئت، سكتَ نادر برهةً ثُمَّ دفعَ بيده إلى جيبِه كالذي يُخرِجُ سلاحًا ليشْهِرَهُ في وجهِ مَنْ أمامه، أَخْرَجَ من جيبه ورقةً مطويةً وأشاحَ بها في وجِه الشيخِ طاهر، وقال تفضّل يا شيخ، أجبني على هذه الأسئلةِ، التقط الشيخُ الورقةَ وأخذَّ ينظرُ فيها ولم يتجاوزَ السؤاَل الثالثَ حتى ألقاها في الأرض غاضبًا وقال له: «ما هذا الكفرُ البواحُ؟!» من أين لك بمثلِ هذه الأسئلةِ؟!، وكيف لمسلمٍ يرجو وجهَ الله أن يكتبَ كلامًا كهذا، نظر إليه نادر وابتسم بخبثٍ وقال أملاها عليّ رجلٌ ملحدٌ، وقال لي: إن استطعتَ أن آتيه بإجابةٍ منطقيةٍ فسيسلمُ في الحالِ، زادَت كلماته من غيظِ الشيخِ وحنقه، فقامَ وأخذ ينفضُ طفيةَ



السجائرِ التي وقعت على بنطالِه وقال اسمحوا لي بأن انصرف، فقد جاءتني أوامرُ روحانيةَ بأن انصرف ولا أجلس بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] ولم يمهل أحدًا منهم وقتًا للردِّ وتوجَّه مسرعًا إلى البابِ وهو يُلقي تحيةَ الانصرافِ، كان معتز يُقلِّبُ نظرَه في الورقةِ بعد أن التقتها من على الأرضِ، وبعد أن حيَّا الشيخَ الغاضبَ وأغلقَ البابَ خلفَه، وقال صدقَ الرجلُ والله ما هذه الأسئلة الغريبة يا نادر؟ استغفرْالله عُد إلى صوابِك نحن لا نسألُ مثلَ هذه الأسئلة، ثمَّ نظر إلى سقفِ الغرفةِ كالمبرِّئ نفسَه، وقالَ: «الحمدُ لله أننا نؤمنُ بالله ونعبدُه ولا نسألُ مثلَ هذه الأسئلة»، ثُمَّ أردف: «يا نادر، عملنُا كلُّه خطر فلا تدخلُ في هذه الأمورِ الله يرضى عنك، دعنّا نسيرُ هكذا برحمته وعفوه»، ثُمَّ ضحكَ كالمحدِّثِ نفسَهُ «الشيخُ انتفضَ كأنَّ حيةً لدغته».

كان موقفُ الشيخِ طاهر من الأسئلةِ التي قدّمها له نادر قد جعلت نادرًا أكثرَ شكًّا، فلم يكن عقله يقبلُ المسلماتِ، كان يظنُّ أنَّ كلَّ شيءٍ لابد أنْ يُعلل من أبسط الأمورِ حتى أعقدِ المسائلِ، جلسَ في بيتِه يُطالعُ آخرَ الأخبارِ على شبكةِ الأنترنتِ، كثَّفَ بحثَه حولَ الجنِ وحياتِهم، انزلق فى بحثُه إلى علاجِ المسِّ والسحرِ.. أنواعه وطرقه وأعراضه.. بدأ في نسخِ بعض المقاطعِ التي شعرَ أنَّها ذات أهمية واحتفظ بها على جهازِه الشخصي؛ ليراجعها وقتَ الحاجةِ إليها، بدأ شغفٌ خاصٌ ينمو بداخلِه، فكان لنفسه ولعًا لكافةِ الأمورِ الغريبةِ، استهواه البحثُ في الجانِ.. - أصنافهم وطرقُ تلبّسهم بالإنس - وقتًا غير قليلٍ بل أحيانًا كان يُمضي الساعاتِ الطويلةَ في



القراءةِ عنهم وبدا له في أولِ الأمرِ أنَّ الاشتغالَ في مهنةِ الراقي ليس بالأمرِ العسيرِ، حتى جاءَه اتصال من صديقه سمير يطلب منه النزولَ إليه فورًا، كان صوتُ سمير سعيدًا ومبتهجًا مما حفَّزَ نادر للنزولِ دون الاستفاضةِ في السؤالِ عن الأمرِ، ولَمَّا نزلَ أخبرَه سمير بأنه ذاهبٌ ليستقبلَ عبد الواحد ليذهبوا إلى جلسةِ علاجٍ، فكانت فرصةً رائعةً ليرى نادر الأمرَ عن قربٍ ويتفاعلَ معه، ذهبَ لاستقبالِ عبد الواحد الذي جاءَ بنفسِ ملامحِه الجامدةِ، والذي توسطهم في الطريقِ وبدأ يخبرهم بأنَّ عليه أن يذهبَ إلى عطَّارٍ قريبٍ ليحضرَ بعضًا من المسكِ الأبيضِ، قضوا حاجاتهم من العطارِ وتوجهوا لمنزلِ سمير في إحدى الأحياءِ الشعبيةِ، وفي الشقةِ المواجهةِ لشقته دخلَ الثلاثةُ وكان والدُ سمير يجلسُ بجوارِ البابِ من ناحيةِ اليمينِ، والذي استقبلهم وأخذَّ يَعْتِبُ على عبد الواحد تأخره، دخلَ عبد الواحد وبدأ يتعاملُ كواحدٍ من أهلِ البيتِ، فالكل يحتفي به والكل يوجِّه النظرَ له بل والكل ينتظرُ حديثَه وما يأمرُ أمرًا حتى يتبادره الجميعُ من الكبيرِ إلى الصغيرِ، أمر بإحضارِ أوراقٍ بيضاء غير مسطرةٍ وراح يكتبُ بها بعضًا من الحروفِ المقطعةِ من أوائلِ السورِ، ثُمَّ أخذَّ يُتمتمُ في قبضةِ يده بعد أن ضمَّها على بعضِها، طلبَ ماءً ليتوضأ، بدأ سمير يصبُّ له الماءَ كصبي شيخٍ، توضأ عبد الواحد في طبقٍ كان احضره أهل البيتِ للمجلسِ لم يستثنِ من ماءِ وضوئه إلا المضمضة والاستنشاق طرحهم خارجَ الإناءِ، ثم بدأ في أخذِ فضلةِ وضوئه ووزعها على أكوابٍ أمامه، ثُمَّ راحَ يُسقطُ في كلِ كوبٍ بعضَ الأوراقِ التي كتبها بذاتِ الحروفِ المقطعةِ، وتركها وجلسَ أمامَ الفتاةِ



المسكينةِ ذاتِ العشرينَ ربيعًا، والتي يتلبسها الجنُ ويحيلُ حياتَها إلى عذابٍ كلَ يومٍ في الليلِ، نظرَ عبدُ الواحدِ إلى عيونِ الفتاةِ وهو يبتسمُ ابتسامةً مستفزةً كالذي يُخاطبُ شيئًا في عينِها، ثُمَّ رَاحَ يُتمتمُ بكلماتٍ غيرِ مفهومةٍ، ولكنَّ البنتَ كانت على وضعِها بلا جديدٍ، أمسك بيده طرفَ أذنها وضغطَ عليه وهو يقول: « أقولُ الساعةَ الساعةَ احضر الآن وإلا فبحقِ آهيا شرآهيا برآهيا ادوناي اصباؤت آل شداي» تعاملتُ معك ومع كلِّ من ناصرك طائرًا أو زاحفًا أو عائمًا، انتفضت الفتاةُ وأخذت الدموعُ تنسابُ من عينيها التي توسعت حدقتها حتى أنها كادت أن تكفي لأن يمر الشيخ بطوله داخلها وهي تقول بصوتِ رجلٍ في منتصفِ الستينِ اتركني... اتركني... هي تريدني.. لا يُمكن أن تُفرّقنّا، قامَ نادر من مكانِه وصارَ أقربُ للفتاةِ، كان في مواجهتها، تمركزَ إلى يمينِ عبد الواحد وسمير عن يساره، وأخذ ينظرُ إلى الفتاةِ ويُحاولُ أن يسترجعَ ما قرأ عن أنواعِ الحضورِ الكلي والجزئي للجانِ، كان كطبيبٍ في محاضرةِ العملي، أو كباحثٍ في علومِ النفسِ الذي يُحاولُ أن ينتقلَ من الفروعِ الأساسيةِ إلى الفروعِ التطبيقيةِ، استحضرَ في لحظتِها كلَّ ما قد نسخَه مُسبقًا على جهازه، وأخذَّ يُطابقُ بين ما قرأ وما يُشاهدُ أمامه الآنَ، لم يدُرْ سجالًا طويلًا بين عبدِ الواحدِ والروحِ الشريرةِ الكامنةِ داخلَ الفتاةِ حتى أقنعه عبدُ الواحدِ بالخروجِ، وبعد نصفِ الساعةِ من صب الماءِ كأنّه النارُ على جسدِ الفتاةِ التي كانت تُطلقُ صرخاتٍ مدويةً مع كلِ مرةٍ يصبُّ فيها عبد الواحد الماءَ عليها بدأ التفاوضَ على طريقةِ الخروجِ، طلبَ أن تكونَ إشارةُ الجنِ في الخروجِ هو أن يهزَّ له ريشةَ المروحةِ



المنطفئةِ والتي تقبعُ في سقفِ الغرفةِ، ولكنَّ الجنَ يرفضُ ويستحسنُ الخروجَ من عينها، راوضه عبدُ الواحدِ في الخروج مع هواءِ الزفيرِ الخارجِ منها، ولكنه يأبى إلا أن يخرج من طبلة أذنها، مدَّ عبدُ الواحدِ يدَه إلى أحدِ الأكوابِ، وتناول ورقةً منه ولصقها على جبهةِ الفتاةِ، التي تحاول أن تُفلتَ من بين يدي الثلاثةِ رجالٍ الذين يقيدونها، ولكنها لم تُفلح إلا في أن ترمي بجسدها وبالثلاثةِ إلى الخلفِ، فيطلبُ عبدُ الواحدِ أن ينهضوها في مواجهته مرةٍ أخرى،وهكذا حتى اتفق عبدُ الواحدِ والجانُ على الخروجِ من أحد أصابع قدميها، وحينها طلبَ منهم عبدُ الواحدِ أن يأتوا بدبوسٍ حادٍ، فلمّا أحضروه أخذه وهو يتمتمُ مرةً أُخرى بكلماتِه الغيرِ مفهومةٍ، ثُمَّ قرَّبه إلى وجه الفتاةِ، وقال اخرج الآن واعطني إشارة هزّ لي ستائرَ هذا الشباك، وأمر بفتحِ الشباكِ الذي كان لايزال موصدًا، شكَّ بسنِ الدبوسِ إصبعَ المسكينةِ؛ فخرج الدمُ قطراتٍ وعبد الواحد يقول ما شاء الله ما شاء الله وينظرُ إلى الشباكِ الذي أتت بعضُ الرياحِ الضعيفةِ فحركت ستائرَه وعندها تهللَّ وجهه، وهو ينظرُ للحضورِ أمرهم بنظراتِ عينه أن يبادلوه نفسَ الابتسامةِ الراضيةِ والتي تنمُّ عن ثقةٍ بأن الروحَ الشريرةِ قد قفزت للتوِّ من شباكِ الغرفةِ، جلسَ وأسندَ ظهرَه إلى الكنبةِ ورَاحَ يُنّظمُ نَفَسَه ويمسحُ عرقَه في سكوتٍ تامٍ من نادر وسمير الذي يُكملُ دورَه كَصبيٍّ؛ فقام يُلملمُ حاجياتِ شيخِه وهو مُنشكحُ الوجهِ منبسطُ الصدرِ يُراقبَ بعينه نادر الذي جلسَ صامتًا وملامحَه تُومئ لسمير بأن شيئًا مما حدثَ لم يدخلْ عقلَه، لم يُمهل نادر الشيخَ عبدَ الواحد حتى أخذَّ يُمطره بالأسئلةِ في طريقِ مغادرته، كان يجبُ أن تتركَه



يخرجُ من أقدامِها من غير أن تشكّها فإذا ما انبثقت الدماءُ منها عرفنا أنه خرجَ، نظر له عبد الواحد وقال لازال أمامكم طريقًا طويلًا حتى تفهموا ما نفعله، واكتفى بهذه الإجابةِ المُقتضبةِ ولم يرد على أي مما طرحه نادر، الأمر الذي استنهض كلَّ قوةٍ داخله ليُعاودَ بحثَه على الشبكةِ مرةً أخرى؛ ليرى تفسيرًا لِمَا حدثَ أمامه، وفي الصالةِ الكبيرةِ داخل بيته وفي ساعةٍ متاخرةٍ من الليلِ جلسَ يقرأ كلَّ ما احتفظَ به على جهازِه من أنواعِ الجنِّ والفرقَ بين السُفلى والعلوي وكيف تتمَ صناعةُ الأعمالِ والسحرِ حتى شعر بمن يتنفسُ في أُذنه، كان يشعر أن عينًا تخترقُ الظلامَ لتراقبه، حدَّثَ نفسَه أنّها لا تعدو أوهامًا بسبب ما يقرأ وبدأ مرةً أُخرى في التركيزِ مع ما يقرأ، تذكرَ كلمةَ عبد الواحد التي قالها قبل أن يغادرهم، الحمد لله أنى لم اقتله ففي المرةِ السابقةِ لّما قتلتُ الجنَ الذي يتلبسُ بالفتاةِ؛ جاءتنا أمه تُعاتبُنى وتنهرني بل وتبكي كلما دخلتُ إلى الحمامِ لقضاءِ حاجةٍ، وعبثًا حاولت أن أفهمها أن ابنها مخطئ يتعدى على حقوقِ الغيرِ ولكنَّها عاطفةَ الأم التي لا تتبدلُ ولا تتغيرُ، فهي جنيّةٌ مكلومةٌ في ولدها، فلا أملك إلا أن أعتذر لها وأحاول أن أنسى دموعها لأرقد للنومِ في سلامٍ، قال نادر لنفسِه هل أتت أم هذا التعيس لتشكرني على أني التزمت الصمتَ وقتَ إخراج ابنها؟ أو لتقول لي أنه مازال حيًا يُرزقُ بعد أن قفزَ من شُباكِ الغرفةِ؟ ثُمَّ ضحكَ وقال: لنفسه ما لك يا نادر أراك تحنُ لخرافاتِ الدجالين، هذا ما وصل إليه وقاله لسمير في اليومِ التالى:

شيخُك هذا مجردُ نصاب، كم تحصَّل على أموالٍ من جلسةِ الأمسِ؟! قال



خمسمائة جنيهٍ، نظر نادر له في تغيظٍ، وهل أعطاك منها شيئًا يا حاملِ الحقيبةِ؟ قال: لا، قال: إذن هذه هي طريقتنا الجديدة، سنُعالجَ الجنَ بالقرآن، ابتسم سمير وأخذ يَحكَّ أنفه وهو يقول نعم سنُعالجُ بالقرآنِ الذي لا نحفظه ولا ندري عنه شيئًا، وأظنُّ أنَّك ستكون أنتَ المُعالجُ؟ رفعَ نادر من حدةِ صوته وقال: وهل تصلحُ أنتَ بوجهكِ الأغبرِ هذا لأن تكونَ معالجًا؟ أنتَ تصلحُ لأن تكون من أعوانِ عزرائيل، تزفُّ للناسِ بشرى الموتِ، أنا أدرسُ الأمرَ الآن بكلِ عنايةٍ، ولكن كيف نُقنعُ الناسَ بأن يسلموا لنا حالةً؟ ألا قلت لعبدِ الواحدِ هذا أن يعطينا كتابًا من الكتبِ التي يعملُ بها؟ قال: لا أظنه يفعل، هو يحبنى جدًا ويؤثرُ صداقةَ والدي، ولكن والدي نفسه لا يحبُ لي أن أدخلَ في هذا العالمِ، وقد أوصاه بذلك، قال وهل سمعَ الشيخ قرد وصيةَ والدك؟ قال وقتما يشاءُ يفيضُ عليَّ بالمعلوماتِ ووقتما شاءَ يتذكرُ وصيةَ والدي فيكتفي ويُمسكُ.

أنا أعلمُ أني لا أعلم ما الطريق التي أحتاجُ لأن أسير فيها، ولكني سأعبثُ بكلِ الطرقِ، وهل خُلقت في الدنيا إلا لأحاولَ أن أكونَ أنا، أنا بكلِ ما في من تشتتٍ، أنا التي أعرفها ولا أعرفها، ما الإيمان؟ وما الكفر؟ وما الفقر؟ وما الغنى؟ والدي يُخبرني دائمًا أنَّ عليَّ أن أعملَ لأتمكنَ من توفيرِ النقودِ التي أريد، ولكني كلَّما طاوعته ونزلت إلى سوقِ العملِ؛ وجدتُ أن أربابَه ليسوا سوى تجارِعبيدٍ، لا يبيعون البضائعَ بقدرِ ما يبيعون الطاقةَ البشريةَ التي نفخت في منتجاتهم الروحَ فأحالتها من صماءٍ بلا قيمةٍ إلى أدواتٍ تفيضُ بالروحِ، أعملُ ليسرقوا جهدي الذي قضيت اليومَ



فيه، وكل هذا لأنه صاحبَ العملِ أما أنا فواحدٌ من العبيدِ الذين قد ربطهم في طاحونةِ إنتاجه، فإذا ما تحسنت أحواله وأسعده القدر بوفرةٍ من المالِ وسفرٍ إلى الخارجِ استبدلني وآخرين بآلةٍ لا تطالبه براحةٍ ولا علاوةٍ، أنه عصرُ الماكينةِ وعُسر الإنسانِ، أنا لا أجدني لا هنا ولا هناك، بل أني على حقيقةِ الأمرِ لا أعرفُ مَن أنا؟ ولا إلى أين أسير، وكأني لابد أن أمضي في أسري لأفكارٍ كثيرةٍ لا أعلم إن كان في منتهاها ضوءُ شمسٍ أو مجرد حفنةٍ من ترابٍ تُواري جسدي، لم أرَ شابًا في مثلِ عمري قد حققَ شيئًا يُذكرُ، بل أن النجاحَ والتوفيقَ لجيلي أصبح هو أن يُقنعَ الواحدُ منا نفسَه أنه أفضلُ من غيرِه، فهو ينامُ في فراشٍ وغيره يلتحفُ السماءَ! وكأننا حِينما خُلقنا عرايا كان مقصودًا أن نرضى إذا ما توفَّرت لنا ورقةَ التوتِ، حقًا أنا لا أدري أين سأنفق المالَ بعد أن أحصّله، ولكن ما أدريه حقًا هو أني يجب أن يكون لي مكانٌ وسطَ هذا الجمع الغفير من البشرِ الذين استطاعوا أن يخطفوا الأضواءَ ليكونوا السادةَ، لن أمكثُ كثيرًا بين العبيدِ، فإن لم أسودهم بالمالِ فبالعقلِ أسود.

وفي مركزِ الباجورِ منوفية كان الأستاذُ منصور قد استضافَ الشيخَ طاهر وكذا معتز ونادر ليتفقَ الجميعُ على طريقةِ استخراجِ وبيع الكنوزِ التي تُوجدُ تحتَ منزله، فقد أكَّدَ الشيخُ طاهر أن البيتَ يحتوي على كَنزٍ أثريٍّ لمقبرةٍ ملكيةٍ، وأخبرَ الأستاذَ منصور بذلك، والذي بدوره لجأ لمعتز ليتفقَ معه على إحضارِ التاجرِ بعد أن يستخرجوا الآثارَ، كانت القسمةُ كالتالي نصفُ الكَنزِ للشيخِ طاهر وحده بعد أن يُخرِجَ عشرةً بالمئةِ إلى الفقراءِ والمساكين وربعٌ للوسطاءِ وبينهم معتز ونادر بعد أن



يُخرجواعشرةَ بالمئةِ إلى الفقراءِ والمساكين، ومن ثَمَّ الربعُ الأخيرُ للمسكينِ صاحبِ الأرضِ الذي سيتولى الإنفاقَ على التنقيبِ حتى يتمَّ استخراج الكَنزِ، وأيضا بعد أن يُخرجَ عشرةً بالمئةِ منه إلى الفقراءِ والمساكين، وكانت هذه هي قسمةُ السوقِ!

طلبَ الشيخُ طاهر بخورَ الطقشِ المغربي وبخورَ دمِ الأخوين ليتّمكن َمن استخراجِ الكَنزِ عن طريقِ سحبه على وجهِ الأرضِ ولا يحتاجون إلى الحفرِ بالآلاتِ أو التنقيبِ، لم يفعل الشيخُ طاهر في هذه الجلسةِ إلا أن أطلق بخورًا صنعه هو بيده قبل أن يحضرَ، وأخذ يُسّبحُ على مسبحتِه المصنوعةِ من خشبِ الكوك، والمعطرةِ بزيتِ الصندلِ المعقودةِ في الخيوطِ الإيرانيةِ المجدولةِ من شُعيراتِ الحريرِ والقطنِ و- الابريسم -، ثُمّ طلبَ من نادر أن يتقّدمَ منه وفي أذنه قال له «يا نادر عيبٌ عليك أن تجلسَ في مثلِ هذه الجلسةِ وقد أدرّكتك الجنابةُ، غادر المجلسَ إلى خارجه لأتمّكن من الكشفِ والحق بي بعد أن أنتهى فأنا أريدك»، تعجب نادر من كلامِ الشيخ فهو حقًا كان على جنابةٍ ولكن من أخبرَّ الشيخَ؟ ربمّا أن موضوعَ الجنِ الصالحِ هذا أمرًا حقيقيًا، وهو من أخبره بحالى،على أي حالٍ لابد أن اتنحى عن المجلسِ، تنحى نادر ثُمَّ أكملَ طاهرُ ما يفعله بعد أن أدارَ خاتمَه الفضى ذا الفصِ الأوبالِ الأسودِ بومضاتِه التي تُشبه قوسَ قزحٍ بداخلِه فجعله في باطنِ يده ثُمَّ بدأ يُحدّثهم عمّا في باطنِ الأرضِ من كنوزٍ، فوصفَ تمثالًا ذهبيًا بطولِ مترين، وآخرَ أصغر منه قليلًا وكذا بعضًا من القطعِ الأثريةِ والأواني الفَخّارية ومومياءَ بها زئبقًا أبيض وهو زئبقٌ نادرٌ لا يتوّفرُ إلا في مومياواتِ الكُهانِ، ومعتز يُسجّلُ في ورقةٍ بيده كلَّ ما يقوله



الشيخُ طاهر حتى يتسنى له تخمينَ السعرِ المبدئي، ففي هذا الكار ينفردُ التاجرُ بتحديدِ السعرِ الذي يشترى به، فلا يقترحُ أحدٌ ولا يُراجعه أحد، ولكن معتز جلسَ ليخبرهم بالمبلغِ المتوقعِ وإن كان يستحقُ ما سيُنفقُ عليه أم لا، بعد أن أنهي الشيخُ طاهر جِلسته ومواصفاتِ الكَنزِ كان معتز قد وصلَ إلى أن الكَنزَ لن يقلَّ عن مبلغِ خمسين مليونا من الدولاراتِ الخضراءِ، مبلغ هزَّ قلبَ الأستاذِ منصورٍ هزًّا عنيفًا جعله يقومَ ليحضرَ لهم طعامَ العشاءِ مُنتشيًا، والتحقَ بهم نادرُ وجلسَ بجوارِ الشيخِ يتوددُ إليه، وعند المغادرةِ تناولَ الشيخ طاهر وكذا معتز ظرفًا يحملُ أتعابَهم عن الكشفِ والتثمينِ، بعد أن اتفقَ منصورُ على أن يُبلغَّ الشيخَ حين يستطيع أن يُحضرَ البخورَ المطلوبَ والذي يتجاوزَ سعرُه خمسةَ وأربعين ألفًا، فالجرامُ الواحدُ من اللبانِ الخارقِ صالحُ- الطقش المغربى -وحدُه يساوى ألفًأ ومائتين من الدولاراتِ ناهيك عن عدمِ وجوده في مصر وندرته خارجها.

وقفَ الشيخُ طاهر يتحدثُ إلى نادر بلهجةٍ تلونها الشفقةُ ويعلوها نبرةُ العطفِ، كان يقول له أن حالته هذه لا تعجبه وأنه يُريدُ أن يُخرجه من براثنِ ما هو فيه إلى نورِ الطاعةِ، كان الشيخُ طاهر مُريدًا من فترةٍ كبيرةٍ تتلمذَ فيها على يدِ الشيخِ إبراهيم على إحدى الطرق، وبدأ هوسُ طاهر بالاتباعِ من اليوم الأول الذي رَاح فيه إلى زاويةِ الشيخِ لمشاهدةِ حضرة الذكرِ، فوجدَ الجميعَ من المريدين يلتفون حوله بين مقبلٍ ليده، ومنبطحٍ على الأرضِ ينتظرُ أن يروي أذنه بما سيلقيه عليهم الشيخ، وبين أخرٍ يرقصُ بين يدي شيخه بطريقةٍ عجيبةٍ قبلَ أن ينهيه الشيخ إبراهيمُ عن هذا،



ويخبره أنَّها ليست طريقته ولكنَّها طريقةُ أخوته من المودويةِ، فالجلسة السلطانية التي كان فيها الِشيخ إبراهيم أخذت لبَّ طاهر كاملًا، فلم يمكثُ سوى سنةٍ واحدةٍ وبعدها انطلق كشيخٍ يبحثُ عن مريديه، رأى في نادرِ المُريدَ الذي يبحثُ عنه، فكمَّا تعلَّمَ في حضرةِ الشيخِ إبراهيم أن المُريدَ عليه أن يكونَ كالميتِ بين يدى مغسلِه، فتوّسم في جهلِ نادر المطبقِ بالدينِ ما يجعله يستسلمُ له على تلك الهيئةِ السابقةِ، وكم من مريدٍ للخير لم يبلغه، ووكم من مريدٍ للخيرِ لم يصبه، وكم من باحثٍ عن الماِء بين الثرى جهلًا.

لا تزال في يدي نادر مواضعٌ أخرى لتنزف بعد أن أدمى يديه رحلةُ البحثِ عن الذاتِ بين الصخورِ، وعلى تردده وكثرةِ شكوكه أعجبه كلامَ الشيخ طاهر وما رأى منه من شفقةٍ نحوه، ربَّما لأنه لم يجد مَن يُقدمَ له يدَ العونِ بشيءٍ من الصدقِ الذي لمسه في كلماتِ طاهر حين قالَ له: «كم أنت إنسان طيب ضلَّ طريقَة كملايين البشرِ، المال يا نادر ليس كلَّ شيءٍ، الله يعطيك إن رضى عنك من المالِ ما يجعلك تحصوه بلا عدٍّ، ولكن كن عبدًا ربانيًا والأمر في غايةِ البساطةِ»، كان طاهرُ يعلمَ أن حديثَ الجنِ يستهوى كلَّ الناسِ لذا فقد قرر أن يجعله مدخلًا إلى قلب نادر حتى يستحوذ على لُبِّه، فقال: «حقٌّ مشروعٌ لك أن تبحثَ عن المالِ ولكن دعنى أُخبرك الوسيلةَ، هل أنت صادقٌ في أن ترمي من عقلك كل ما فاتَ من عمرك وبتلك الأسئلةِ السخيفةِ التي قدّمتها لي، وتتفرغُ لاستقبالِ النورِ الإلهى؟»

نظرَ له نادر بقلبٍ يخفقُ كالذي يشعر أنه وُضِعَ فجاءةً في اختيارٍ لا يرى كلَّ



أبعادِه، قال له ولكني مُظْلِمٌ من الداخلِ وما ترى من سوادٍ على هيئتي ما هو إلا ظل نفسي، التي تتوقُ للخروجِ إلى حيزِ الواقعِ فنفسي أسوأ بكثيرٍ مما ترى، فأنا رجلٌ اعتادَ اقتراف المعاصي والآثامِ، والأهم أني لا اعتقدُ في البداياتِ الجديدةِ وأعلمُ يقينًا أن عمرَ الإنسانِ كمدرجِ الهرمِ الذي ينبني بعضه على بعضٍ، وإذا أرادَ أحدٌ أن يقُومَ قاعدته انهار على رأسِه فلن يبقى منه شيئًا، قال له طاهر وأين رحمة الله وعفوه؟... وأين أبواب الخيرِ التي أنزلها لنا وملئ بها الحياةَ؟ وكيف لك أن تيأسَ وبين يدي المسلمين من الأذكارِ ما لو انتبهوا لها لحركوا بها تلك الجبالَ الراسيات، أنا لم أولد هكذا ولكني كنتُ مثلك حتى أرادَ الله أن يختارني من بين ملايين الناسِ لاحظى بالولايةِ، وإن كانت ليست كولايةِ الدسوقيِ أو الرفاعى ولكنَّها ولايةٌ ترضينى وتليقُ بى وبمجهودِى الصغيرِ، فنظرَ له نادرُ متسائلًا وقالَ.. أي ولايةٍ؟ أأنت من أولياءِ الله الصالحين؟

أطرقَ طاهر برأسه وبدأ ينظرُ إلى الأرضِ في استسلامٍ كرجلٍ كُشف أمره وقال نعم، أنا من أولياء الله تعال الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، إن كنت أحزن لأنك كشفت أمرى ولكن بفضلِ حسبى الله ونعم الوكيل أتكلمُ وأناضل، لم يفهم نادر شيئًا مما قاله طاهر ولا لِمّا يحاول أن يخفى شيئًا كهذا وقال له وقد تهلل وجهه: «يا شيخ طاهر أنتَ كولى لله أمر يجعلَ أي إنسانٍ يفتخرُ به بل ويذيعه بين مَن يعرفُ فما يغضبك في أن أعرفَ أو يعرفُ الناس؟»

عاد بملامحٍ ملائكيةٍ راسيةٍ وقال: «يا نادر أمثالُنا لا يحبون الشهرةَ أو المدحَ من



الناسِ، بل نحب أن نظلَّ هكذا لا يُعْلَمُ عنَّا أي شيءٍ بل يكتشفُ الناس أمرنّا كما فعلت أنتَ الآن، هل تحبُ أن تكونَ وليًا من أولياءِ الله يا نادر؟ عاد إلى قلبِ نادر في تلك اللحظةِ كلُّ إيمانٍ عرفه في حياته وكأنه يُولدُ من جديدٍ بين يدى الشيخ طاهر»، فقال بنظراتٍ متحيرةٍ: «وكيف لي؟ أنا لا أعرفُ شيئًا في الدنيا سوى النساءِ وملاعبتهم، والخمرِ ومعاقرتها، أنا شبه كافر يا شيخ طاهر، أترنحُ كل يومٍ بين الشكِ واليقينِ»، بادره طاهر لا تقل على نفسك كافرًا بل أنتَ مسلمٌ ضالٌ يحتاجُ لمن يهديه الطريقَ، فإن قرّرت أن تتبعنى غيرت لك حياتك وأخرجتك لنورٍ لم تره من قبلِ، فقط اتبعنى.

قال نادر: ولماذا اتبعك دونَّ غيرِك؟ بماذا تعدنُى إن اتبعتك وكنتُ كما تريد؟ فأنا رجلٌ أحبُ أن أرى نهايةَ أي طريقٍ اسلكه حتى يتسنى لي الحلمُ طوال رحلتى في الطريقِ.... قل لي ماذا تعدنى إن اتبعتك؟

قال أعدّك إن التزمت بها أُعلمَك أن تنالَ الولايةَ وربَّما اسم الله الأعظمِ، لم يكن نادر قد سمعَ شيئًا كهذا من قبلِ... وما اسم الله الاعظم هذا؟! هذا الذي تنفتحُ به المغاليقَ فلا يملكه إلا الملوك أبناء الملوكِ بغيرِ تيجانٍ، يقدرون به للخلقِ الخيرَ والرزقَ، فهو غايةُ كل متعبدٍ وحلمُ كل صالحٍ وهو الولايةُ الكبرى التي لا تعادلُها نبوةٌ أو ولايةٌ، قال نادر مندهشًا: ألهذه الدرجة هو خطير؟!! هل تعلمَه أنت يا شيخ طاهر؟قال بتواضعِ الرهبانِ... لازلتُ على الطريقِ حتى أظفرَ به، ضحك نادر وقال وهل لي أن أظفرَ به أنا يا شيخ طاهر؟!



قال ولِمَا لا؟ إنه من فضلِ الله وفضلُ الله يؤتيه مَنْ يشاءُ، قالَ نادر وقد خفَّ حماسُه... لا يا شيخ هذه المعادلةُ تخسرُ معي كثيرًا لا تؤدي لنتائجِ مرضيةٍ، أنت تحاولُ أن تغريني بما تعلمُ أنت شخصيًا أني لن أناله، استشعرَ طاهر القلقَ وبدى له أن المريدَ بدأ في حزمِ حقائبِه بُغيةَ الفرارِ منه والهروب من تلمذته، ولم يكن طاهر ليتركه يهربُ بهذه السهولةِ، بل كانت تحدّثه نفسه التقيةُ الورعةُ فتقول له: أين ستجد شابًا كهذا لا يدري عن دينِه أي شيءٍ؟ فهو كالقماشةِ البيضاءِ التي لن تُقاومَ أن تصطبغَ بأيِّ لونٍ يذوبُ فيها، وليس عنده من الأفكارِ ما به يقاومك، نظَّمَ أفكارَه سريعًا وراح يقولُ: يكفيك أنك لن تحتاجَ لأحدٍ في فتحِ كنوزِك... بل سيكون عندك من العلمِ والخدمِ ما يكفيك مؤنةَ هذا، نظر إليه نادر وقد عادت له لهفته، هل ستعطيني ما عندك من العلمِ؟ قال له لا.. بل سأعطيك العلمَ والقوةَ معًا... سأدلك على أسرارِ الكونِ... وإن صبرتَ لتنالَ خادمًا واحدًا ربما كافأك الله بخمسين خادمٍ، قال نادر مستفسرًا ما معنى خادم يا شيخ طاهر؟ هل تقصد خادمًا من الجنِ؟

قال: نعم من الجنِ الصالحِ التقي الورعِ، فسورةُ الأنعامِ وحدها عليها من الخدمِ ما تنوء بحمله الجبالُ، أنا أتوسم لك من الخيرِ الكثيرِ وأعدك إنْ التزمت بالأوراد والعباداتِ بمُلكٍ لم تكن لتحلم به، أخذ نادر يُقلب نظرَه في ملابسِ طاهر البسيطةِ وقال له: ولكنك يا شيخ طاهر تبدو عاديًا جدًا، فهيئتك وملابسك لا تدلُ على ملكٍ يتبعه خدام من الجانِّ بل تدلُ على موظفٍ حكومي أتعبه البحثُ عن وظيفةٍ إضافيةٍ ليحسّنَ بها دخله، ضحك طاهر وقال: وهكذا هم أهلُ اللهِ يا نادر:



قلوبهم رقيقةٌ وملابسهم بسيطةٌ فهم لا يتكلفون، يحبون أن يظلوا في الظلِ لا يلاحظهم أحدٌ فكما قلت لك إنهم الملوكَ بلا تيجان، فنحن إنّما نعملُ لوجهِ الله وما وهبنى من خدمٍ إنما هو لتسييرِ مصالحِ عباده، وأنا وإن كنت أملك من المالِ ما يكفي لأن أرتدي من الثيابِ أغلاها إلا أني ولله الحمد قد شبّعتُ بالرضى، فأنت يا نادر حين يمنُّ الله عليك من كرمه سوف تتغير كثيرًا فلن تنظرَ للدنيا كمثلِ ما تنظر إليها الآن، ففقرُ النفسِ هو أشد وطأةً من فقرِ اليدِ وأنت إن اصطفاك اللهُ ستجدُ من ملذاتِ الرضا ما يغيرُ فهمَك ونظرتك للدنيا، بل ستجدُ أن متعةَ المالِ إنّما تكمنُ كلها في إنفاقه على الفقراءِ، فقال له نادر متخابثًا: على هذا كم تنوي أن تعطيني من الظرفِ الذي أعطاك إيّاه الأستاذ منصور فأنت كما تراني لا أملكُ من حطامِ الدنيا شيئًا، ثُمَّ أخذّ يُقلّبُ في جيبه وأخرجَ بعضَ العملة المعدنيةِ التي رَاحَ يُقلّبها أمامَ نظرِ طاهر، لن أحرمك يا شيخ من مُتعَتَك في إنفاقِ المالِ على الفقراءِ، نظر له طاهر بخيبةِ أملٍ، وقال: إذا أردّتَ أن تعرفَ الفقراءَ الذين قصدتهم تعال معي غدًا وسوف أريك أيّ نوعٍ من الناسِ أقصدُ.

وافقَ نادر على مصاحبةِ الشيخ لا في رحلةِ رؤيةِ الفقراءِ فحسب بل في رحلته الطويلةِ في البحثِ عن اسم الله الأعظمِ، أقنعه الشيخُ طاهر بضرورةِ التزامه بالصلواتِ الخمسِ على أقلِ تقدير حتى يتسنى له ممارسةُ الأورادِ التي سوف تُنضِجُ له في يومٍ من الأيامِ جنًا أو كتيبةً كاملةً من معشرِ الجانِ، فاقتناع نادر بهذا الأمر يشبه تماما اقتناعه بأن يحفرَ بين الصخورِ في المحافظاتِ بحثًا عن الكنوزِ التي لم يرَها، كأيِّ



تائِه تتخاطفه الأيدي وتميلُ به السفينةُ، كراكبِ ريحٍ لا يعلمُ إلى أي شطٍ عليه أن يحطَّ رحالَه.

وعلى غير هدى صار الاثنان يتخبّطان بين الأيام، فكان نادر يترنَّحُ بين صديقه إيهاب وشيخه الجديد طاهر، بل ولم ينقطعُ عن رحلاتِه بين المحافظاتِ مع معتز، ورغم أنه كان يترقَّبُ أن يُخبرَه معتز باستدعاءِ الأستاذ منصور مرةً أخرى؛ ليحظى برؤيةِ الشيخِ طاهر وهو يسحبُ كنوزَ الأرض بغيرِ حفرٍ حتى يخرج ما في باطنها إلى أعلى، ولكن على كثرةِ انتظاره لم يتصل الأستاذُ منصور بل ولم يسألْ الشيخَ طاهر الذي علم بخبرته تعثُّرَ الأخير في الحصولِ على بخورِ الطقشِ المغربي.. فالشيخُ طاهر كان يملكُ من الخبرةِ ما يؤهله لصنعِ المُعثراتِ، لم يكن مطلوبًا من نادر في رحلته مع طاهر أن يكفَّ عن تدخينِ السجائرِ وكان هذا أكثر ما أغرَّه في أن يتبعه، فكثير ما كانا يتدارسان العلمَ وهما يتناولان السجائرَ، وما يأتي موعدُ وِردِهم حتى يدهسوها في أقرب منفضةٍ ويتمضمضا بالماءِ ثُم يتعطران بأجملِ عطورِ الصندلِ والتي لا يخلو منها بيت طاهر، فيجلس كلُ واحدٍ منهما في ركنٍ بعد اشعالِ البخورِ ليبدأ في الأذكار بخشوعٍ وتأملٍ، لم تبقَ علاقةُ نادر بإيهاب كما كانت من قبلِ فقد تطورت في نظره إلى حالةٍ تستحقُ الفحصَ، فكثير ما كان يتخيله لو رآه حال أوراده وكيف سيسخرُ منه؟ بل وربمّا قطعَ علاقته به كليا، كما كانت تضربُ كلماتُ طاهر رأسه كلما جلسَ عند إيهاب، فصار نادر كغلامِ الأخدودِ يذهبُ للشيخِ طاهر صباحًا ثم يسهرُ عند إيهاب ليلًا، وبينمَا هو يتقلبُ على الأريكةِ في بيتِ إيهاب



والكأس في يده ـ وكثيرا من وخذاتِ الضمير تضربه قال له: « لماذا لا تأتي معي يومًا فتجلس مع الشيخ طاهر رُبَّما وجدتَ عنده ما يجعلك لا تملُ مجلسَه أو رُبمّا استطعت أن تأتي به إلى هنا فيُشاركنّا السُّكرَ وأحاديثَ السَّمرِ»، نظر إليه إيهاب وهو يزيح بيده شُعراتِ رأسه الفضيةِ التي تُغافلُ الشعرَ الأسودَ دائمًا وتطفوعلى سطحه «هل تعلم يا نادر ما السبب الذي أجلسني على هذا الكرسي المتحرك؟» ارتشف نادر ما بقى في كأسِه وقال وهو يشعرُ بالغباءِ أن فاته شيئًا هكذا «لا لم تقل لي أنا ظننتك وُلدت هكذا!» قال لا بل ولدت سليمًا معافىً حتى أرَاد ربُّك أن يجعلني هكذا، كان يومًا أسودًا عندما توجّهت يومَ جمعةٍ غابرةٍ إلى المسجدِ لأصلي وأنهي صلاتى بدعاءٍ إلى ربك بأن يحفظني وكل ما أُحبُ حتى لا أُفجعُ مرةً أُخرى بمثلِ ما ألمَّ بأختي مريم، وما تكاسل هو عن إجابةِ سؤالي لدقائقٍ حين عزمت أن أعبرَ الطريقَ لأجدني أرتطم بالأرضِ بكلِ عنفٍ وقوةٍ بعد أن صعدَ جسدى في الهواءِ أمتارًا، صدمتنى سيارةٌ مسرعةٌ على الطريقِ لم يخبرها ربك أنّ هناك شابًّا يُريدُ أن يُكملَ حياته بلا وجعٍ، وكأنه قد نسى أني قد دعوته للتوِّ أن يحفظني!

نظر له نادر بخيبةٍ وقال: ولكن الأمور لا ينظرُ لها هكذا فللّه في تدبيرِ شئونِ خلقه من الحكَمِ ما لا نعلمُ، أظنك على قولِ الشيخ طاهر إن كنت رضيت بمَا أراده اللهُ لك من هذا الأمرِ لكشفَ لك في الأيام القليلةِ التي تتبعه ما فيه من خيرٍ ووجهٍ حسن، قال إيهاب ها أنت أصبحت رجلًا مؤمنًا تقيًّا يأتي إليَّ ليتجرعَ بضعَ كؤوسٍ تعينه على فهمِ خرافات الحكمةِ المخبَّأةِ في الأمورِ السيِّئة، كم حاولت أن أجدَ ما



يجعلني أتشبثُ ولو قليلًا بهذا الإله وهذا الدين ولكن كلَ الأمورِ سقطت لتكشفَ لي كم كنتُ مغفَّلًا حين أسلّمتُ نفسى طواعيةً للعبوديةِ في أوَّلِ عمرى.

لم تكن الكفَّة تتأرجحُ أمام نادر بين صديقيه طاهر وإيهاب ولكن الأمر كان محسومًا لصديقه الذي أخذ بيده إلى النورِ ليضعَ أقدامه على أوَّلِ طريقِ القوةِ والمالِ، ووعود طاهر لم تكن تنتهي أو حتى تتحققَ، فقط كانت تتراكمُ بعضها فوقَ بعضٍ ولكن ثمة شعورٍ جذَّابٍ كان يجذبُ نادر لتصديقه واتباع تعليماته بدقةٍ على غيرِ ما اعتاد في حياته، لم يكن طريقُ طاهر يحتاجُ من نادرٍ كثيرًا تضحية ولكن ما أقنعه به من تخصيص وقتٍ لله يمارسُ فيه أورادَه ليستطيعَ أن يمحوَ ما أقترفه من معايبَ بالنهارِ، كان من أكثرِ ما يُغرى نادرًا في الطريقِ والطريقةِ، ونظرة معتز له التي ازدادت احترامًا حتى أنه صار كثيرًا ما يشاوره في أمورِ مقابره بحثًا عنده عن حلولٍ قد تكون عشرة شيخه أكسبته بعضًا منها، كان ذلك أيضًا إحدى دوافعه في الاستمرارِعلى الطريقةِ الجديدةِ، وهي الطريقةُ التي تجنّبها سمير بعد أن فارقَ شيخَه الصّعيدى مرغمًا، نظرًا لاختفاءِ الأخيرِ في بلده ليتسنى له رعاية أرضه واستصلاحها، كان نادر يبلى بلاءً حسنًا وسريعًا أثَارَ في طاهر الخوفَ، فما عنده لن يصمدَ كثيرًا أمامَ احرازاتِ نادر، ففي أيامٍ قليلةٍ كان قد حفظ متونًا عدةً لأورادٍ كتبها له طاهر، والذي أفهمه أن الترقي من وردٍ لأخرٍ لا يكون إلا بعد حفظه وممارسته فترةً من الوقتِ، بدأه معه بصلاةِ ابن مشيشٍ وحزبِ البحرِ وأخبره أن ما من مُبتدئٍ إلا ويجبُ عليه أن يحذقّهم ويتريَّضُ بهم حتى يصفي دخائلَ نفسه، فقالَ



له وهو يخبرُه بشروطِ قراءةِ حزب البحرِ: «إذا وصلت إلى قولك حم السابعة توجَّه إلى الجهاتِ الست يمينًا وأمامًا ويسارًا وخلفًا وفوقًا وتحتًا ثُمّ تقولُ: رفعتُ بالله كلَّ بلاءٍ يأتي من هذه الجهاتِ الست، واستجلبتُ بها كلَّ خيرٍ يأتي من هذه الجهاتِ الست، ثُمّ قل حم السابعة وخُطَّ بها نفسَك وجوانبَك وامسح بها وجهَك واستحضر مُرادَك في قلبِك تنالَه يا نادر بإذن الله»، وإيَّاك أن تنويَ شرًا فتُطردَ، كان نادر يُحاولُ أن يحتفظَ بتعليماتِ شيخه لينفذّها بدقةٍ، بل أنّه بعد فترةٍ قليلةٍ بدأ ينتابه ما انتابَ شيخَه من قبلِ وبدأ يبحثُ عن مريدين، وكأنها حلقةٌ مفرغةٌ يتسللُ فيها حزبُ البحرِ وينتقلُ من جيل لأخرٍ!

كان سمير هو المُريدُ الذي رمى عليه نادر شباكَه ولكن سمير لم يمكِّنْه ممّا مكّن هو منه طاهر، فتأبَّى عليه أن يسيرَ معه في الطريقِ وفضَّل أنْ يبق على حالتِه بغيرِ النورِ المزعومِ، ولم يكن أمامَ نادر إلا أن يكملَ في الطريقِ وَحدَه؛ فالتزم الصلاةَ والأوراد بمواعيدها وأعدادها، وبدأ يتبحرُ في البحثِ عن مفاتيحِ العلوم الروحانيةِ بعيدًا عن عينِ شيخه الذي كان يقتِّرُ عليه خبرها تقتيرًا، دائمًا ما كان يقولُ له الشيخ طاهر لا تتعجل لأن المُشكلَ في العلمِ الروحاني أنك إن دخلت يختفي مباشرةً بابُ الخروجِ وتبقى تدورُ داخله... لأن البيتَ كبيرًا جدًا وعددَ أبوابه كثيرةً جدًا والمخرجُ مفقودًا لأن مَن دخلَ لا يخرجُ أبدًا، ومن الممكنِ إن أرادت الخروجَ أن يتمَّ سجنُ روحَك في قبوٍ مظلمٍ أو ترصّد كمثلِ ملايين الأرواحِ البشريةِ المرصودةِ في العالمِ الروحاني، او تعيشُ في دارِ الدنيا وسريعًا ما تُصابُ بأمراضِ تُعجّلُ مغادرتَك



للدنيا.. فلا تتعجلُ، لم تكن هذه الكلماتُ كافيةً لأن تردَّعه فتجعله يستسلمُ للتدرجِ الذي أراده له طاهر، فالأمرُ على حقيقته لم يكن يُمثِّلُ له إلا محاولة على الطريقِ، لا ليكون شيخًا بل ليكون أي شيءٍ ذا قيمةٍ في الدنيا، فعقله الذي ملأه حبُ المالِ أصبح ينحرفُ لحبِ الظهورِ، فما كان يراه من حظوةِ شيخه كان يوجدُ في نفسه ما ينهشُ من حظوةِ المالِ لصالحِ الشهرةِ، فلم يكن يبحثُ عن الخدمِ من الجانِ إلا ليستعملهم في جلبِ المالِ ويحقق له الشهرةَ والحظوةَ عند الناسِ، فَما عرفه عن مجتمعه من الولعِ بالغرائبِ وحظوةِ أصحابِ السلطاتِ الروحيةِ كان يدفعه أيضًا في طريقه؛ فقد كان مؤمنًا بتفوق التلميذِ على أستاذِه، ولكي يتمَّ له هذا كان عليه أن يُغافلَ شيخَه فيبحثَ بعيدًا عن عينِه، وبدأت ثِمة تغيرات تطرأ على شخصيته.

فأصبح ميالًا للعزلةِ محبًا للقراءة في هذا المجالِ الجديدِ الذي ينتشى بكلِ معلومةٍ تُضاف إليه فيه، لم يخفت في صدرِ نادر حبُ المالِ لحظةً واحدةً، ولم يستسلم للصبرِ إلا على مضضٍ، كمن يتقلبُ على الشوكِ في انتظارِ لحظةِ الانطلاقِ، لم يكن يدري ماذا سيفعلُ عندما يصبحُ صاحبَ خدمٍ من الجان؟ كان عقله دائمًا يحدِّثه أنه بإمكانه إقناع هذا الجن الصالح بضرورةِ جلبِ المالِ حتى وإن لم يجد له إلا طريق الحرامِ، وكثيرا ما حلُمَ أن يأتي حظُه بمصادقةِ جن طبيبٍ يعلمه من فنونِ الطبِ ما يمكنه من دخولِ أفخر مستشفيات العالم الأوربي، زادَ ذلك في نفسِه بعد مقابلته مع حمدي ذلك الروحاني الذي طلب مقابلته بعد أن ذَاعَ اسمه في طبقاتِ الباحثين عن الآثارِ مع معتز كوسيطٍ على صلةٍ بتاجرٍ، تقدّم نادر لمقابلةِ حمدي كوسيطٍ عادٍ يقوم



بدورِ العين الباحثةِ للتاجرِ الكبيرِ، تقابلا بعد موعدٍ على مقهى يُسمى بمقهى العمال- نظرًا لتجمع العمال من كل الفئاتِ عليها أغلب الوقتِ- وفي الجلسةِ الأولى مع حمدي الذي أخبره أنه يحتاجُ لتاجرٍ يساعدهم في فتحِ مقبرةٍ أثريةٍ اكتشفوها في منطقة سقارة من أيامٍ قليلةٍ، أخبره بمَا فيها من علاماتٍ وأماراتٍ، وأخبره أنه كروحاني يعلمُ أن المقبرةَ على بعد عدة أمتارٍ قليلةٍ تحت الأرضِ إلا إنها تحتاجُ إلى مموِلٍ ينفقُ على عمليةِ الاستخراجِ، وعندها ابتسم نادر مُتذكرًا ما حدث معه في الفيومِ وصورة معتز لا تفارقُ خياله، فقال له يا شيخ حمدي هذا أمر تجاوزناه من زمنٍ بعيدٍ، نحن الآن لا نبحثُ تحت الأرضِ بل أننا نتركُ لكم هذه المهمةَ ويأتي دورنا متأخرًا بعد أن تكونوا حزتم الكَنزَ إلى رحالكم، عندها يمكننا تثمينَه وشراءَه وإيداع ثمنَه في حساباتكم في البنوكِ، هذا هو أقصى ما يمكنُ أن أقدمه لك، ولكن حمدي نظر إليه وقال مُندهشًا: كيف فعلتها يا أستاذ نادر؟!

قال له: ماذا فعلت؟ عن أي شيءٍ تتكلم؟! قال حمدى: أنتَ الرجلُ الوحيدُ الذي استطاع أن يخترقَ حدودي وينفذ إلى روحي فيكشفُ عليها!! وحقًا كان نادر مُندهشًا فهو لم يفعل شيئًا، فبدأ يحاول أن يخبرَ الأخير أنه ما فعل شيئًا، ولكن حمدي تمسَّك برأيه قائلًا إنه يعيبه كرجلٍ روحاني إن لم يعرف من اللحظاتِ الأولى أنَّه يجلس أمام رجلٍ روحاني أخر - يقصد نادر - ثُمَّ قال هذه هي المرة الأولى التي يستطيعُ أحدٌ أن ينفذَ فيها إليَّ، فبمجرد أن يحاولَ أحدهم أن يكشفَ عليَّ روحانيًا يأتي الصقر فيكون على رأسي ثُم يغطي بجناحيه عيوني فلا يستطيع أحد أن ينفذَ إليَّ



ولكن أنت فعلتها والغريب أني لا أرى أثرًا للصقر هذه المرة!!

بدأ نادر يستجيبُ مع الرجلِ ويخبره بأنه روحاني له باع قديم في الأمر وأنه ما كشف عليه روحانيًا إلا ليطمئن مع من يتعاملُ وأن أعوانه وخدامه من الجن قد أخبروه أن حمدى رجلٌ صادقٌ وأنه يتشرف بالتعاملِ معه!

كان لقاءً ممتعًا بين دجالين أو إن شئت فقل مغفلين، ولكن نادر بدى له أن طريقه بدأ في الارتسام، بل ورآه يرصفُ على جانبيه بآلاف المرضى وأصحابِ الأراضي الذين ينتظرون أن يأتي إليهم في عظمته وصولجانه بين اتباعه من الجان، تعاطى نادر مع الأحداث سريعًا فتبادل أرقام هاتفه وحمدي على وعدٍ أن يكونَ في العونِ إذا احتاج إليه سواءً لبيع ما استخرج من آثارٍ أو من حيثُّ النصيحةِ والمشورةِ في أمرِ التنقيبِ والاستخراجِ، ربَّما لأن هذه هي المرة الأولى التي يتعاملُ فيها نادر مع الناسِ كروحاني جعلته أكثر جراءةً في اقتحام المجهولِ والولوجِ إلى عالمِ الجنِ بشكلٍ أكثر قربًا.

رجع إلى شيخه ووضعه بين معادلةٍ صعبةٍ، قال له: أنا عرفت أن خدامَ السورِ يمكنُ أن أتعاملَ معهم بصورةٍ أبسط مما تعلمني أنت، أنا لم اتبعك لكى أكونَ صاحبَ طريقةٍ بل اتبعتك لأتقرب إلى الله ومن ثُمَّ أنالُ ما يناله عباده الصالحين من الرعايةِ والخدمةِ ومصاحبة الجانِ أليست هذه وعودك لي؟ أنا لا أطيقُ الانتظارَ، فكل ما أمرتني بفعلِه ونصحتني بالمواظبةِ عليه لا أبرحه، حزبُ البحرِ وحزبُ البرِ وحزب النصر أحفظهما عن ظهرِ قلبٍ، وحتى الآن لم أجد أي إشارةٍ لروحٍ نورانيةٍ تقترب، بل أزيدك أني تعلمت كثيرًا وقرأت كثيرًا عن معالجةِ المرضى بالقرآنِ



والأورادِ وفتحِ الكنوز، أنا أرى أن طريقك أصعبُ طريقًا يمكن أن أسلكه، قالَ له طاهر هدئ من روعك وتذّكر أني قلت لك لن تنالَ القبولَ إلا بالصبرِ، أنت تريد أمورًا أبسطَ بكثيرٍ مما أُعدّك لها، أنتَ تريدُ أن تكونَ مجردَ معالجٍ أو فاتحِ كنوزٍ مُبتدئٍ ربَّما أُقفلت عليه المقبرةُ في أي وقتٍ وسُجنت روحه في العالمِ السفلى فلا تخرجُ بعدها أبدًا، وأنا أريدك جندًا من جنودِ الله، يجبُ عليك أن تعبدَ اللهَ لذاتِه وليس للجنِ أو حتى طلبً للجنةِ أو فرارًا من النّارِ، ألا تذكر أن على المُريدِ أن يكون بين يدي شيخه كالميتِ بين يدي مغسله؟ ألا تذكر أن من اعترضَ انطردَ؟ لِما التعجل؟!، طريقُ العلمِ اللادوني طويلٌ شاقٌ ولكنه كله بركة وحماية ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف: ٦٥] إنه الخضر يا نادر الرجلُ الصالحُ الذي تفوّق بفضلِ الله على الأنبياءِ والرسلِ فصار معلمًا لهم، وأيضًا ابن عربي وغيره الكثير من الصالحين وعلماءِ الحقيقةِ أمثال أبو يزيد البسطامي الذي خاض بحرًا وقف الأنبياء بساحله،سيدنا الخضر كان معي بالأمس وحدثّني أحاديثًا لو سمعتها لم تكن لتقول ما قلت الآن، نظرَ له نادر وقال: مَن هذا الذي كان معك بالأمسِ؟ قال الخضر ألا تعرفه؟! قال له: أعرفه ولكني كنت أظن أنّه ميتٌ، قال طاهر: نعم هو ميتٌ ولكن هذا في دنيانا ولكن الله يرسله ليتدارسَ مع من يشاءُ من عباده، وكذلك النبي قد يأتي إليك فتراه في يقظتك وقد يُعلمك بعضَ أسرارِ الآياتِ، فأنا قد أخذتُ حزبَ الجوشن من فمِّ النبي ﷺ مباشرةً وفي اليقظة، ولكن هذا يا نادر من الأسرارِ التي لا أُبيح لك أن تنطقَ بها أمامَ أحدٍ، ثم أردف - كثعبانٍ - دعني هكذا عبدًا خفيًا، قال نادر يا شيخ طاهر أأرى



النبي في اليقظةِ بعد موتِه؟! وأرى الخضرَ ويكلماني ويعلماني أسرار السورِ وخدّامها؟ قال: نعم، قال نادر ولكني متعجلًا وأرى إن لم يكن هناك طريقة سريعةٌ للوصولِ فأنا منسحبٌ لأعودَ لطريقةِ إيهاب فلربَّما تكون هي أجدى وأنفع، نظر له طاهر بغضبٍ وقال هذا رجلٌ كافرٌ ليس في طريقته من خيرٍ يُذكرُ، وما دمتَ متعجلًا فسأقول لك سرًا وليسامحونِي أني أخبرتك به، ولكنهم يعلمون أني ما أريد به إلا الخير وإصلاحك والقبض على معصمك حتى لا تهب نفسك إلى أهل الكفرِ وأصحابِ النفوسِ الشريرةِ، عليك أن تقومَ بعمل خلوةٍ ولكن انتظر حتى أعرف في أيِّ يومٍ تليقُ بك، وما هو الوردُ الواجبُ عليك التريض به والعمل عليه لتنال خدامه، بإذن الله اليومَ بعد صلاةِ العشاءِ سوف أجلسُ وأستفتح لك البابَ فإن شاءَ اللهُ لك خيرًا فسينفتحُ ويأتيني حُلمٌ به خلوتك ووردك وطعامك فيها، وإن لم يأتيني فلله الأمر من قبلِ ومن بعدِ.

انصرف نادر وعقله منشغلًا هل سيُفتحُ له البابَ فيصيرُ شيخًا وصاحبَ طريقةٍ وعهدٍ أم أن الطرقات لن تُسمعَ وسيظل مُتخبطًا بين هذا وذاك، فلم يكن يضمرُ داخله أن يفترقَ عن الشيخ طاهر كما أخبره ولكنه أرادَ أن يستعجله، فهذا العالِم الروحاني بعلمه اللادوني قد أخذ لبّه واستحوذ على تلابيبِ نفسه، بل أن كثرةَ قراءته عن طرقِ إخراج الجانِ وصفاتِ الخواتمِ والبخورِ قد جعلته يحيا حياةً مختلفةً عن تلك التي كان يحياها في الأمس القريبِ، فهو اليومَ يصلي وإن لم يكن يعرفُ لماذا يُصلِّي؟ واليومَ هو صاحبُ وِردٍ لا يبرح حتى ينهيه يوميًا، هجرَ النساءَ إلى حدٍ كبيرٍ



فصار لا يقرَبُ الزنا في الأسبوعِ إلا مرةً أو مرتين، وكذلك قد استطاع أن يخفض نسبة احتسائه الخمر وإن ظلَّ يتناوله، بدأ في اقناعِ الشرِ داخله بأن يسمح للخير أن يتواجدَ وإن كان بنسبة، استطاع أن يُجرى صلحًا بينهما تزعمه طاهر الذي أخبره أن عليه أن يوازن بين الخير والشر حتى يأتي يومًا ويكون خيرًا محضًا، فقد سمح له بأن يُدخنَ كما يشاءُ ما دام في خارج وقت الوردِ اليومي، ونصحه بالتقليلِ من الزنا واحتساءِ الخمرِ، وطمأنَه أن كلَّ هذه الأمور لا تحولُ بينه وبين أن يكونَ من أولياءِ الله الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، بل وضربَ له مثلًا بالشيخِ علي أبي خودة فقال له: كان إذا رأى امرأة أو أمردًا راوده عن نفسه، وحسس على مقعدته، سواء كان ابن أمير، أو ابن وزير، ولو كان بحضرةِ والده، أو غيره، ولا يلتفت إلى الناسِ وكذلك ولى الله الشيخ علي وحيش الذي كان ينكحُ الحميرَ في الطرقات أمام الناسِ ولم يمنعه فعله هذا من ارتقاءِ الولايةِ الكبرى وأن يكونَ من عبادِ الله الصالحين، كما أخبره عن تلميذِ المرسي أبي العباسِ الذي كان يزني ويفعل بعدها المعجزات كالمشي على الماء وغيره، فيقع الولي في الزنا وغيره من المعاصي بل أخبره أن هناك من الأولياءِ مَن كان مسموحٌ لهم شرعًا بتدخينِ الشيشةِ أثناء وردهم وخلواتهم لأن الكريم إذا وهب ما سلَبَ، ولأنَّ الأولياءَ محفظون لا معصومون!!

جلسَ طاهر حزينًا في ليلته يُفكِّرُ كيف يمكن أن يحتفظَ بتلميذه وكيف يوفِّق بين ما يُريدُ وما يُريده هو، ولكنّه قد بدى له إصرار نادر على أن يُقاسمَه أموال ضحاياه أو مفارقته، لم يكن طاهر يُمانعُ أن يكونَ لنادر طريقةٌ وحضرة بل واتباع لأنه



في النهاية سيكون قائدَ الجميعِ، ولكن كان يؤرقه كيف يُمكن أن يقنعَ نادر أنه لا يملك إلا الإيحاء والوهم بغيرِ أن يفقدَ سلطته الروحية عليه، فطاهر على الحقيقةِ ليس معه خدام أو غيره، ولكن عنده من الملكةِ والموهبةِ ما يجعل له سطوةً روحيةً تؤثرُ على ضعافِ النفوسِ المولعين بالغرائبِ والمنتظرين لأن يقود قطيعهم أي قائدٍ، ولكن حان اختبارُ نفسَه هل يستطيع أن يظلّ محتفظًا بأستاذيته على مُريده الوحيدِ فيتثنى له أن يكوّنَ به طريقةً ذات يومٍ يكون هو فيها القطبَ الأكبر أم لا؟

توجَّه طاهر إلى كتبه القديمةِ التي يحتفظُ بها بعيدًا عن مكتبته الموجودة في صالة الضيوفِ، فسحبَ من أعلى دولابه صندوقًا خشبيًا قد وضعَ عليه قفْلًا كبيرًا، فتحَ القُفلَ ورَاح يُقلب بين محتوياته حتى تناولَ كتاب منبعَ أصولِ الحكمةِ ورَاح يُقلّبُ بين صفحاته باحثًا عمّا يُمكنُ أن يقدمَه في صباحِ اليومِ التالي لنادر على أنه حُلمه الخاص الذي جاءه بعد أن طرقَ له الباب، فوقع نظره على ورقةٍ تقول: إن هذه العزيمةَ هي أقوى العزائمِ والأقسامِ التي يُفتحُ بها كلَّ كَنزٍ مغلقٍ، والديور الكائنةِ تحت الأرضِ التي فيها ذخائر الملوكِ وملوكِ الجاهلية، ولها طلسمٌ خاصٌ بها، وكيفية العمل بهذه الدعوةِ أن تخدمَ العزيمةَ في فلاةٍ من الأرضِ مدة أيامٍ، فإذا بلغت سبعةَ أيامٍ يظهرُ لك عبدٌ أسودٌ طويلُ القامةِ كبيرُ الرأسِ راكبًا على فرسٍ، وبيده أسد عظيم فإنه يكلمك فلا تجبْه، ثُم بعد ثلاثةِ أيامٍ يظهرُ لك شخصُ وجهه وجه كلبٍ وذاته ذات آدمي، ويسلم عليك فلا تُجبه فإنه يذهب عنك، ويظهر لك في اليومِ الرابعِ سبعون رجلًا لباسهم أخضر فيسلمون عليك فردّ السلام فإنهم يقولون: «أي



حاجةٍ تريد عندنا» فقل لهم طلبت من الله ثُمّ منكم أن تجمعوني مع الأميرِ سلطانكم خليفةِ دمرياط الصنديدِ المُسمّى بالطاووسِ، فإنهم يقولون لك: نعم، ثُمّ يذهبون عنك، وفي اليومِ السابعِ يظهرُ لك أيّها الطالب المعتد بهذا الاسم مدينةٌ بيضاء فيها جيش عظيم من الخيلِ والرمّاة قد عمروا السهلَ والجبلَ، وامتد ضجيجهم في الآفاقِ ثُمّ ينصبُ الأخبية على باب تلك المدينةِ، وأول ما ينصب فيه قبةً خضراء من الحريرِ الأخضرِ وفي أعلاها ياقوتة حمراء تضيئ كالمصباحِ، وينصبُ في القبةِ كرسيًا من الذهبِ مرصعًا بالدرِ والياقوتِ فحينئذ ترى جيشًا قد هبطَّ من العدو لباسهم أبيض وفيهم الإمام المُسمى بالطاووسِ، قد لبسَ حلةً تكاد تُذهبُ الأبصارَ من ضيائها وعلى رأسه الروحانية وأمامه الجن المؤمنين والحاكم على العفاريت وعُمّار الكنوز وتحت يده سبعين قائدًا كل قائدٍ له لواء، وتحت كل لواءٍ سبعون ألفَ جيشٍ من الخيلِ وسبعون ألفًا من الرماةِ، لا يعصون الأعوانَ من الجنِ طرفةَ عين ـ ويفعلون ما يؤمرون ـ ثُمّ يردُ عليك السلامَ ثُمّ يقولُ لك أيّها السيد القارئ عزيمتنا والمادح لأخواننا، والمُسلم على جيوشنا والمعتزل في الخلوةِ عن العمارةِ للاجتماعِ معنا، والراغب في خوارقِ عاداتنا والطالب أسرارنا لك عندنا موائدُ مواهبنا وبدائعُ أنوارِ قهرنا تتقلدُ سيفًا من عنايتنا فتصولُ به في الجهاتِ الأربعِ على كلِّ كَنزٍ وذخيرةٍ تحت حُكمنا فلكَ السمع والطاعة مُرْنا بمّا شئت، فتقولُ له بعد أن تُقدّمَ بين يديه البخورَ وهو (لبان دكر وصندل أحمر وسنط المُسمى بالزيابةِ في الحكمةِ) فإذا بُخّرَ ذلك الملكُ بذلك البخورِ تقولُ له أيّها الملك الطاووس طلبتُ منك السرَ في انقلابِ الصخورِ



وفتحَ الكهوفِ والديورِ وكلَّ ما طلبت، فإنه يُنادى أربابَ دائرته فيجتمعون عليه، فلا تخف فإنهم يستنشقون البخورَ وهو المائدةُ عندهم والهديةُ العظمى لهم، فإذا انقطع الدّخانُ يقولُ لهم مقالتك التي خاطبته بها فيأمر طاووس وزيره فيقول: يا معشرَ الجنِ والعفاريتِ قد أمركم الملكُ طاووس أن تفتحوا الصخورَ والكنوزَ المُطلسَمةَ وأبوابَ الديور من أي رهطٍ لهذا الآدمي المُستخدمِ للعزيمةِ الكبرى فَلان، ويكسوك أيّها الطالبَ ويقولُ طاووس مهمَا قرأت عزيمتنا فافعلوا ما تؤمرون، فإنهم يقولون بأجمعهم السمعَ والطاعةَ لِمَا أَمرَ، ثُمَّ تتفرقُ تلك الجموعُ في أقربِ من لمحِ البصر، فامض من تلك الخلوةِ فرحًا مسرورًا بمَا منَّ اللهُ عليك من مواهبةٍ، فمهما قدمت إلى كنزٍ وكهفٍ أو غير ذلك وطلبت الدخولَ فاقرأ العزيمةَ مرةً وبَخر بالبخورِ القائمِ بالخدمةِ، فإنك تسمعُ كأن الجبلَ قد انفلق ثُمّ تسمعُ للبابِ دويًا عظيمًا كالرعدِ القاصفِ، ثُمّ ينفتحُ ذلك القُفْلَ فتأخذُ منه أنتَ ومن تريدُ ولو سبعين رجلًا يدخلون معك فلا ينغلقُ عليهم البابُ؛ فترفعُ ما تريدُ ثُم تُعزّم بهذه العزيمةِ أيضًا مرةً واحدةً وأطلقَ البخورَ فإنك ترى خيالًا، فارفع البخورَ من غيرِ أن ترميه في النارِ والرَّمي عند البابِ حين الخروجِ فإن البابَ ينغلق) نقلها طاهر كما هي.

وفي اليومِ التالي وعندما حضرَ له نادر قال له أبشر بخيرِ يومٍ طلعت عليك فيه الشمسُ يا نادر، فلقد أُجيبَ لك أن تدخلَ الخلوةَ وتتريَّض، ثُمّ أعطاه الورقةَ التي راح يتأملها، قال له طاهر عليك بحفظِ هذا التعليماتِ المباركةِ ثُمّ تحفظُ هذه العزيمةَ وبإذن الله تصلُ لما ابتغيت من تسخيرِ الجانِ وفتحِ الكنوز، ثُمّ قال له تلك هي



عزيمتك فاحفظها فقد نقلتُها لك كما رأيتُها في منامي (أقسمتُ بالأسماءِ السريانيةِ على قبائلِ الجنِ وعُمار المكانِ أن يحضروا بين يدي بالسمعِ والطاعةِ وينهضوا إلى ما أمرتهم بالقوةِ والاستطاعةِ ويفتحوا هذا الكَنزَ أين شيارد وعرورد؟ أين صاحب جبلِ الدخانِ الراكبِ على الفيلِ المتعممِ بالثعبانِ؟ أين روديائيل العفريت الهارب من القمقمِ السليماني فبحق من علّم العلمَ المكنونَ والسرَ المصونَ أصف بن برخيا وزير نبى الله سُليمان بن داود ـ عليه السلام ـ أقبل يا روديائيل واحضر مجلسي هذا أين ما يُعرفُ منك من القوةِ والشجاعةِ والبطشِ والاستطاعةِ، افتح هذا الصخرَ بحقِ فالقِ البحرِ والحبِ والنوى، الذي يُخرجُ الحي من الميتِ ويُخرجُ الميتَ من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون فالق الأصباح، أين زوبعة الرياحِ؟ أين دهموش العفريت قائد الروحانية؟ أين سمطيل صاحب الحُسنِ الباهرِ؟ أين ميمون الروحانية؟ أين الياقوتة بنت الملكِ الأكبرِ؟ أين الزاهد العابد الساجد أبو حامد الهندي بن شنطون العلامة صاحب اللواءِ الأسودِ والأصلِ المجدِ؟ أين تبدرون الروحاني صاحب اللباس الأحمر والتاج الأحمر الراكب على الركمةِ الشهباءِ المُوكل على خزائنِ الأرضِ صاحب اللباس الأحمر والتاج؟ أين شمعون وجنوده؟ أين الملوك الأرضية السبعة مُذهب ومُرة والأحمر وبرقان وشمهورش والأبيض وميمون؟احضر يا مُذهب بحقِ الملكِ الغالبِ عليك أمره جبرائيل وبحق سام سام واسمع يا أحمر بحقِ الملكِ الغالبِ عليك سمسمائيل صرفيائيل وبحقِ دمليخ دمليخ، وافعل ما أمرتُك يا برقان بحقِ الملكِ الغالبِ عليك ميكائيل وبحق دردميش دردميش، ومُرِ أهل طاعتك يا



أبيض بحق الملكِ الغالبِ عليك عنيائيل وبحقِ سبوح قدوس ربّ الملائكةِ والروح تقدّم بالجيوشَ إلى الطاعةِ اقدموا بخيولكم ورماتكم وارفعوا هذه الصخرةَ المغلقةَ لهذا الكَنزِ افعلوا ما أمرتكم به يا معشرَ المُخاطبين في هذه العزيمةِ والمُثنى عليكم بكمالِ الفعلِ والوصفِ بحقِ أهيا شراهيا أنوخ عنزر شمول سار شبهشة هيدوكة بقراشِ وبغموك هالوه دير شاحور شانزيش معاش شاس شويسة احضروا يا معشرَ الخُدامِ احضروا بين يدي بالسمعِ والطاعةِ وافعلوا ما أمرتكم به!!

احذر يا نادر أن تُخالفَ التعليماتِ فالخطر وخيم، نظر له نادر وقال: أنا أعرفُ أن العزيمةَ في الأعمالِ السحريةِ فقط؟ نهره طاهر بشدةٍ وقال متجاهلًا كلامه السابقِ، تأكد أنك أن لم تسلِّم أمرَك لله وتتوكلَ عليه في خلوتك فلن تنال شيئًا، وتذكَّر أن عليك ألا تأكل طعامًا ذاتَ أرواحٍ مسموحٌ لك فقط بالتمرِ والعسلِ والماءِ حتى يتصفى بدنك، قال نادر والسجائر يا شيخ طاهر؟ فأجابه أن لا بأس ولكن عليك ألا تزيد فيها حتى يتسنى لك قطعُ الوقتِ فِي وردك السابقِ وعزيمتك المأمونةِ، انتبه لكلِّ كلمةٍ فيها، وامعن النظرَ والتأملَ ولا تتعجلُ ولا تبرحُ خلوتَك حتى تنالَ مقصودَك.

شعر نادر بقشعريرةٍ تنتابه مع كلماتِ شيخه الذي كان كمن يُنْذرُ جيشًا بقتالٍ، أخذَّ الورقاتِ ورَّاح يقطعُ الوقتَ في حفظها وقراءتها وتحليلِ ما جاء فيها، صارت الأمورُ أكثرَ تعقيدًا في عينه فهو لا يدري إلى أين يذهبُ وإلى أين تأخذه الخطواتُ، وبرغم أنه لم يكن يؤثرُ فيه الوصولُ لأيِّ نهايةٍ إلا أنه كان يحبُ إن كان مقبلًا على



الهلاكِ أن يُقبلَ عليه بعلمٍ فيتلقفه بصدره، كان دائمًا يُقلبُ في رأسه ما يملكُ من الدنيا قبلَ كلِ مخاطرةٍ يُقدمُ عليها، فيجدُ أنه لا يملكُ إلا ملابسه التي على جسده فيمضي في طريقه غيرَ عابئ لما سيأتي فما أصعب ألا يكون لديك شيءٌ تخسره، أيام قليلة منذُ لقاءه وشيخه حتى استعد لأن يدخلَ في خلوةٍ يخرجُ منها رجلًا ذا وجاهةٍ.

أخذَّ مفاتيحَ شقة والد سمير القديمةِ في منطقةِ الجيزة، وأعدَّ ما يحتاج في خلوته من تمرٍ وعسلٍ والخبزِ وبعضِ العُلبِ من السجائر، ونسخةٍ من مصحفٍ قد خطَّ فيه خطوطًا علامةً على آياتٍ مُعينةٍ كانت تستوقفه في القراءةِ وأوراقِ عزيمته التي أمضى الوقتَ في حفظها، ومنذُّ لحظاتِه الأولى في الخلوةِ كان يشعرُ بانقباضٍ في صدره، لم تكن قضيةُ الكفرِ والإيمان ما يشغله ولكن ثمةَ تغيراتٍ كانت تُحلقُ في سماءِ نفسه، فمع صلاةِ الفجرِ في اليومِ الأول والذي جلسَ بعده صائمًا كما أمرَه شيخه بدأت تتبدد أمامه قيمةَ الدنيا وقيمةَ المالِ بل وقيمةَ الحياةِ نفسَها، فقد أصابه الاكتئابُ من اليومِ الأولِ ليس لأنه لم يعتد الخلوةَ بنفسه فقط ولكنَّ السكونَ الذي يُخيِّمُ على الأشياءِ من حوله، كان يجعله يجولُ بخياله إلى أن الدنيا قد فرغت من الناسِ بعد أن صارَ عنده ما يمكّنه أن يملكهم به، سرَحَ بعضَ الوقت يتخيلُ لو خرجَ من هذه الخلوةِ ليجدَ الكونَ قد ابتلعَ الناسَ من حوله، ولم يعد هناك إنسان غيره، بل إن الصوم كان يعملُ في جسده بالضعفِ إلا أنه أصرَّ ألا يستسلم للنومِ خاصةً وأنَّ طاهر أخبره أن عليه ألا ينام في خلوته إلا في الفترةِ ما بين الظهرِ والعصرِ فقط، ويُمضي باقي وقته مستيقظًا منتظرًا الأرواحَ الصالحةَ أن تحلَ بمجلسه وتهيمُ من



حوله، بدأ يخططُ فيما يجبُ عليه فعله بعد أن يملكَ الخدمَ ويصيرُ عنده رفيقًا من الجن، وبعد طولَ تأمل وَجَدَ أن علاجَ المرضى ممن تلبَّستهم الأروح هو أفضلُ وأقربُ لنفسه، وسيجد فيه من المالِ ما يُبلّغه مراده، فعبد الواحد حصلَ على خمسمائة جنيه في ساعةٍ واحدةٍ، استمر في تلاوةِ عزيمته.

لم تُصبح الأسماء الواردة بها تُعثّره كذى قبل، بل هو اليوم يحفظها عن ظهرِ قلبٍ ولكن لا يجدُ معنى لأيٍّ منها، بدأ يسمعُ في اليومِ الثالثِ صوتَ طقطقةً في الغرفةِ المجاورةِ... فبدأ يستعيدُ تعليمات عزيمته فكانت تقولُ أن لا أحد سوف يأتي قبل اليومِ السابعِ، ولكن كان صوتُ الطقطقةِ يزدادُ ثُمّ يتوقفُ، حاول أن يُهملَ الأمر ولا يلتفتُ ولكن في مساءِ نفسِ اليومِ صار يستجدي هذا الصوتَ ليعاوده فيُشعرَه أن ثمةَ أي تغييرٍ يحدث من حوله فقد ملَّ هذا السكون، ومع الجوعِ الشديدِ وقلةِ التغذيةِ بدأ يرى أشباح أُناسٍ يجلسون على الكراسي الخاويةِ المُغطاةِ أمامه وكأنهم ينتظرون أن يبدأ هو في الحديثِ، حاولَ أن يستجلبَ وعيه ليكونَ في قمةِ تركيزه، ولكن عبثًا لم يحدث بل ازدادت صورةَ الأشباح أمامه تراقصًا كمن ينظرُ من خلفِ غيمةٍ أو بحرٍ، بدأ يحدثهم فقال هل أنتم من خدامِ عزيمتى... هل جئتم هنا لمساعدتي؟ كانت الوجوه تنظرُ إليه ولا تجيبه ثُمّ قامَ واحدٌ منهم وبدأ يزرعُ الغرفةَ ذهابًا وإيابًا ثُمّ اقترب نحو الشبحِ الآخرِ الساكنِ على كرسيه ورَاح يخنقه حتى قتله، وخرجَ من فمِّ القتيلِ عقاربُ كثيرةٌ وحياتٌ شقت طريقها نحو نادر، الذي قامَ من الأرض مفزوعًا يبدلُ بين أقدامه في محاولةٍ لرفعِ كليهما عبثًا عن الأرض، حتى



أمسَك أحد العقاربِ بمقدمةِ قدمه التي رَّاح ينفضها، لتتبددَ العقارب من حوله ويبقى السكونُ كما هو، أخذَّ يطالعُ إصبعَه فلم يجدَ آثارًا لشيءٍ ولكن بعضَ النشاطِ قد عاد له بعد هذه التمريناتِ التي قام بها أثناء هروبه من العقاربِ، عزم على أن يفتشَ الشقةَ كلَّها مرةً أخرى كما فعل في أول يومٍ دخلها فيه.

بدأ بكراسي الأشباحِ مرورًا بغرفةِ الطقطقةِ، ولكن لا شيء جديد ولا يوجد آثارًا لأرواحٍ ثائرةٍ أو هائمةٍ.. بدأ يفسر ما حدثَ له على أن الروحانيةَ أرادت أن توقظه من خموله وتدبُّ في روحه النشاطَ ليتابعَ ما بدأ، وهكذا صار يُفسِّرُ كلَّ أمرٍ يمرُ به فيُسقطه على أنه من الروحانيةِ وأن الروحانيةَ تريدُ به أمرًا ما عليه أن يستنتجَه ويعللَه، ففكرةُ أن تكونَ كلُ هذه الأمورِ مجردِ دجلٍ وتخاريفٍ بعد أن أرهقَ معدتَه بالجوعِ لثلاثةِ أيامٍ وليالٍ وإحدى عشر يومًا تنتظرُ كان أمرًا لا يمكن أن يقبلَه، فهو أمرٌ يمتدُّ إلى ما بعد خروجه من خلوته فارغَ اليد، فطريقةُ تفسيره السابقةُ كانت كالمسكنِ نفسِه والخادعِ لروحِه الثائرةِ، وأكملَ على حالته يقطعُ الأيامَ في الصيامِ حتى المغربِ ثُمَّ تناول التمر والعسل؛ليعاودَ الصيامَ مع صلاةِ العشاءِ حتى مغربَ اليومِ التالي، كان يشعرُ بالانتشاء مع هذا الصيامِ رُغمَ أنه يتباينُ مع ما عرف من الصيامِ في أيامه السابقةِ على الالتحاق بطريقِ الشيخ طاهر، ولكنه كما أخبره هو صيام الخواص، ومَن طلبَ العلا جاعَ الليالي، حتى إذا بلغَ اليومَ السابعَ تهيأ لأن يأتيه عبدٌ أسودٌ طويلُ القامةِ كبير الرأسِ راكبًا على فرسٍ وبيده أسد عظيم يكلمه فلا يجبه، ولكن شيئًا من هذا لم يحدث، فلم يفترْ يرددُ عزيمته بإصرار وعنادٍ كمن



يُنادي على آتٍ من بعِيد يستلهمَ سوادَ وجه ضيفه من ظلمةِ الأشياءِ حوله إلا من ضوءِ شمعةٍ ضعيفةٍ قد أشعلها كما أُمِرَ، وكلما فرغَ من عزيمته أعادها حتى تملّكته كلُّ خيبةٍ على وجهِ الأرضِ فرَاح يرددها واقفًا متجولًا في الغرفةِ بل والغرفِ الأخرى الموصدةِ يبحثُ فيها عن الأسدِ المُنتظرِ الذي ربَّما أفلت من يدِ قائده فكان سرُ تأخره.... ولكن لا شيء.... مرَّ اليومُ السابعُ ولم يحضر أحد!

كان ذلك علامةَ شؤمٍ في نفسه فالجن عليه أن يحضرَ الآن ويتزرَّعُ بين يده بالأعذارِ، فكيف اختلى وأجوعُ واجلسُ في هذا الظلامِ الدامسِ ولا يعيرَني أحدهم اهتمامًا؟! كاد أن يسبَّ طاهر وكلَّ رجلٍ عرفه في حياته ولكن بدأ في طريقةِ تفسيره التي اكتسبها من الخلوةِ بأن اللهَ لا يزالُ يختبره حتى يُكيلَ عليه المكافآتِ من سقفِ الغرفةِ، وبدأ من جديدٍ في ترديد عزيمته على أمل أن يظهرَ له بعد ثلاثةِ أيامٍ-أي في اليومِ العاشرِ - شخصٌ وجهه وجه كلبٍ وذاته ذات آدمي يسلم عليه فلا يجبه، ولكن في اليومِ الثامنِ بدأ يسمعُ حفيفًا في الغرفةِ يأتي من داخل الحائطِ، بدأت روحه تتهللُ ورَاح يضعُ آذانه متصنتًا على الحائطِ في محاولةِ تحديدِ مكان هذا الحفيف المتصاعد نبرته، كان كالمجنونِ يصعدُ الحائطَ وينزل وكأنَّ هذا الحفيف يُريدُ أن يشاهده في حركاتٍ بهلوانيةٍ فرَاح يُداعبَه كي يفعلها، وبرغم ما لحقَ جسده من هُزالٍ وتركيزه من تشتتٍ صار يتتبعُ الصوتَ الذي أخذَّ يتحرك به من أعلى الحائطِ حتى أرضيةِ الغرفةِ فصار يمشي بإذنه على الأرض متتبعًا الحفيفً ليفاجئ على مرمى بصره بثعبانٍ أسودٍ بندبةٍ فوق فمه واقفًا، وقد أخرّج لسانه في فحيحٍ منتظمٍ، تسمَّر



نادر وحاول أن يستعيدَ وضعه ببطءٍ خيفةَ أن يُزعجَ هذا الثعبانَ، بل واختفت كلُّ التعليماتِ التي قد لُقنَّها قبلَ خلوته من رأسه، وأصبح ينظرُ للثعبانِ كمن ينظر إلى آماله تتحققُ، حتى أنه عندما بدأ الثعبانُ في التهيئةِ لمهاجمته التي بدأها بعدةِ قفزاتٍ تجاهه لم يُبدِ نادر أي خوفٍ بل تقدَّم تجاهه محاولًا التقاطه في يده، كان للثعبان لسانٌ أطول من المعتادِ، ولكن وبعدما اقترب من نادر جاء شيءٌ خطفَ هذا الثعبان واختفى، كان كصقرِ العسل الحوَّامِ في لونِه وهيئته، وما أن خطفه حتى ضربَ نادرُ رأسه في مقعدِ الأريكة وأخذَّ في بكاءٍ مريرٍ، بكى كلَّ شيءٍ ألجأه لمثلِ هذا، بكى عتابًا لصقر العسل الذي اختطف أمله من بين يده، وبكى ذلك الصنديد الأسود صاحبَ الأسدِ أنه لم يأتِ، وكذا بكى فقره وظلمة قلبه، لم يقطع بكاءه إلا صوت شيخه الذي أتاه في أذنه يقول له... العلم اللادني... العلم اللادني يا نادر.

رفع رأسه وبدأ ينظرُ حوله في محاولةِ استعادة توازنه، كان يُفكِّرُ في قطعِ خلوته والخروج للحياة ليبدأ من جديدٍ في طريقٍ أخر ولكن ثمة أفكارٍ أخرى بدأت تُحلق في رأسه حتى اصطاد إحداها وأوقعها برصاصةٍ بين يده، قال لنفسه أي جنٍ هذا الذي احتاج إليه؟! أنا أصنعه بيدي... سأخبر طاهر فور خروجي أنني أتاني جني صالح اسمه «شعضوض» وأنه يملكُ علمَ فتح الكنوز، وشفاء المرضى وأنه عاهدني أن يكونَ صديقي وخادمي المطيع فلن يعلم أحدٌ بالأمر، قام نادر ونزل تحت الماءِ البارِدِ؛ لينظف جسده الذي لم يمسّه الماء في الفترة السابقة إلا في وضوئه وراح يُدّلك جسده بعنايةٍ كمن يُنظفُ شيئًا مما لحق به من شوائبِ الأفكارِ، وهو يُفكرُ في سيناريو



يُحكَى للشيخ عندّ الخروجِ من خلوته، ورغم ذلك كان يُكملُ عزيمته التي بدأها ولم يخرجُ إلا في تمامِ اليومِ الرابعِ عشر كما قالت أحلام شيخه، وفي اليومِ الأخيرِ بدأ يجمع حاجياته لينصرف، جلس على إحدى المقاعدِ وبدأ يُدخنُ سيجارةً وهو يرتب أفكارَه للمرةِ الأخيرةِ ويرتب حديثه الذي استقر عليه ليحكيه لشيخه عندما يقابله، أخذ حقيبته وتأملاته وشعضوضه وخرج إلى الشارعِ، شعر أن قدمه لا تقوى على حمله والمسير به لكثرةِ ما عطّلها في خلوته، ولكنه تحاملَ على نفسه حتى استقلَّ مواصلةً إلى بيته الذي وصله صباحًا؛ فدخلَ وقبَّل والدته التي كانت لا تزال نائمةً في فراشها والتي قامت في سعادة تهنئه على سلامةِ رجوعه، ودخلَ إلى فراشه واستسلم هذه المرة لنومٍ عميقٍ بعد أن أدار المروحةَ التي جاءته بالهواءِ الذي حُرِمَ منه أسبوعين كاملين في فترةِ الصيفِ القائظِ الحرارةِ، لم يخلُ نومه من أحلامٍ كانت توقظه كل فترةٍ حتى رأى رجلًا كبيرَ السنِ، ذا لحية بيضاءَ والنور يشع من وجهه يُناديه ويأخذ بيده ويدخله إلى مسجدٍ فُرِشَ بموكيت نظيفٍ فاخرٍ والناس منتصبون في الصلاةِ، فأدخله بينهم من غيرِ أن يكلمه، ثم سمع الإمام يقرأ ﴿ أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴾ [النجم: ٥٧-٦٢] قام من نومه محاولًا السجود مع الجماعة إلا أنه كان قد استيقظ، نهض من سريره وقام وتوجَّه إلى جهازِ الكمبيوتر وبدأ في مراجعةِ وقراءة بعض المعلومات التي كان جمعها عن الجانِّ والعلاج الروحاني وطرق الحضور وأنواع تلّبس الجنُ بالإنس، امضى قرابةَ أربع ساعاتٍ قبل أن يتهيئ



بحمامٍ ساخنٍ ويرتدي ملابسه وينزل في طريقه إلى بيت شيخه الذي قابله بحرارةٍ، وقال له أرى أنك قد بلغت مرادك فأنا أرى في وجهك من النورِ ما يجعلني استبشر بالخير، التزمه نادر ورَاح يستنشق رائحةَ العودِ في ملابسه حتى تغذى بها مخه قبل أن يقول: الحمد لله يا شيخ أشكرك على كل ما فعلت لأجلي، نظر له طاهر متسائلًا هل مرت خلوتك بسلامٍ؟ قال له نعم وأشعر بسلام نفسي يَعمُّ أركاني ولكني أصبحت ميالًا للصمت لا أحب كثرةَ الحديثِ مع الناس، قال طاهر وهكذا هم أهل الصلاح يا نادر، هل وصلت لمرادك؟ اقترب نادر من أذنِ شيخه وقالَ له « شعضوض»، نظر له طاهر مستفهمًا شعضوض؟! قال نادر نعم هذا ما رزقني الله به في الخلوةِ، فقال طاهر بفضولٍ: هل رأيته وكلمته؟ قال: نعم، ظهرَ لي وجلسَ معي يومين يعلمني، قال له يُعلمك ماذا؟ قال يُعلمني كيف أتعاملُ مع المرضى وأفتحُ الكنوزَ فهو جني موكَّل بفتحِ الكنوز والعلاجِ الروحاني فعلّمني كثيرًا عن البخورِ والخواتمِ والأوراد، نظر طاهر بغيرةٍ ودهشةٍ وقال: هل هو حاضر معك الآن؟ قال هذه الفترة لن يحضر إلا بالاستدعاء حتى إذا اكملت أمرًا معينًا سوف يلازمني أبدًا، قال طاهر: لا تُفصح عن أمرِك لأحد فهذه مِنّة من الله عليك حفّها بالكتمان وإيّاك أن تستعملها في أذى مخلوقٍ، قال نادر: يا شيخ طاهر أنا حقًا تغيّرت جدًا واستوعبت في الخلوةِ كثيرًا من كلامك، بل إن روحي صارت مرتبطةً بك جدًا فأنا في خلوتي وفي تمام اليومِ العاشرِ رأيتك وأنا في خلوتي، قال له كيف رأيتني؟ قال نادر وهو يتذّكر صورةَ الثعبانِ بلسانه المشقوقِ: طلبت من شعضوض أن يطمئنَ نفسي لأني كنت خائفًا



فوجدته يفتحُ لي كوةً في الحائطِ رأيتك منها ولكنني لا أعلم ماذا كنت تفعل؟ فقد رأيتك تجلس مع رجلٍ كثيفِ الشاربِ يرتدي ثيابًا خضراءَ، قال طاهر: نعم نعم لابد أنك رأيتني في زيارتي للسيدةِ نفسية كنت أزور الفقراء هناك، وأظنُّ أنَّه كان بينهم رجل بمثلِ الهيئةِ التي تصفها أنتَ الآن، رائع يا نادر أنتَ قطعت شوطًا كبيرًا من المكاشفةِ والتجلي، قال نادر بنبرةٍ منكسرةٍ: الحمد لله يا شيخ لم يكن يدور بخلدي أن أصل بهذه السرعةِ، قال طاهر: هذا لأنك صادقٌ، فالصدقُ يصلُ بك إلى السمواتِ العلا بين يدي الله -تعالى- تحت العرشِ مثل الشيخ محمد بن أحمد الفرغلي، نظر له نادر ولكن هذه المرة وبعدما أيقَّن أنه لا يعاملُ إلا مجرد دجال، وقال: نعم، يا شيخ طاهر أطربني بحكاياتِ هؤلاء الصالحين ممن سبقوني فشعضوض كثيرًا ما حكى لي في خلوتي عنهم، هل سمعت عن شعضوض هذا من قبل يا شيخ طاهر في الروحانيةِ؟ تلعثم طاهر وقال له: انتظر... ثُمّ أطرقَ بوجهه إلى الأرضِ ثُمّ رَاحَ يميلُ برأسه إلى اليسارِ كمن يستمعُ لُمحدَّثه وأخذّ يَهزُ رأسه علامة الإيجاب، ثُمّ قالَ: الله اكبر... الله اكبر... الحمد لله على مِنَّتِهِ عليك يا نادر، نظر له نادر محاولًا إخفاء شعور الاحتقار الذي ملأ نفسه تجاه هذا الرجل الكاذب، والذي لا يبرحُ يصطنعُ الأحداثَ سريعًا فيطوِّع كلَّ أمرٍ لصالحه وقال: ماذا يا شيخ؟ قال: إنه فتح عليك وعلى آل بيتك من بعدك يا نادر، فهو شيخٌ من الجانِّ مُهاب الجانبِ عظيم في قومه يملك مفاتيحَ الكنوزِ الأرضيةِ وبيده ديوان الجنِّ الذي يصرعُ الأبدانَ، كذلك أخبروني... أرى أن أبوابَ السعدِ قد فُتُحت لك، ماذا تنوي أن



تفعل؟ فأخبره أنه نوى أن يشتغلَ بالعلاجِ فقلبه أصبحَ لا يحتملُ الراحةَ وهناك مَن يتألَّمُ بسببِ أفعالِ الجان التي اتخذت من الأجسادِ مرعى ومسكن، قال طاهر ولكن عليك أن تتروى فلا تندفع.... أظنّ أن شعضوض قد أخبرك بذلك ولابد أنه علمك من العلمِ اللادني الكثيرَ، فإن رأيت أن تفيضَ على شيخك منه بشيءٍ فلا تبخل وتذكّر أني من وضعتك على أولِ الطريقِ الصحيحِ، وأن خلوتك ووردك جاءني في المنامِ وأني أنا من استفتح لك البابَ، كان طاهر كالمُذكرِ بأفضاله خشيةَ النسيانِ فهو الآن يشكُ أن نادر قد نفعت معه العزيمة التي لم يجربها هو بنفسه، وإن كان نوى بعد ذلك أن يختارَ من نفسِ الكتابِ عزيمةً أخرى فيخلوا بها حتى يتحصّلَ على مثلِ ما تحصّل عليه نادر، وصارت غيرةً حقيقيةً تدبّ في نفسه التي راحت تلومه وتُعنفه وتقول «هذا الشاب تتلمذ عندك وفي شهورٍ قليلةٍ استطاع أن يصل لِما لم تصل له أنت، وقريبًا قد تحتاجُ إليه ليعلمك كيف تفتح الكنوزَ»، كان صعبًا عليه الأمر جدًا فنفسه شريرةٌ تمامًا كنادر، ولكن الوضوحَ فقط هو ما كان ينقصه، عادَ لنادر وقالَ عليك أن ترفقَ بالناسِ فنحن علماءُ الحقيقةِ وهذا يصعبُ على الكثيرِ من الناسِ فهمَه فكن رفيقًا بهم!

اتضح كثير من معالمِ الطريقِ أمام نادر بعدما تبين له كثيرًا من الأمورِ، فشيخه مجرد نصابٍ دجالٍ وما الخلوات والأوراد إلا هالة يختبئ وراءها كثيرًا من الزنادقةِ والمرتزقةِ، فالنفسُ مفطورةٌ على معرفةِ الخيرِ والشرِ وكذلك على تمييزِ أهل الخيرِ والصلاحِ من غيرهم من أهل السوءِ، ولأن نادر كان سيئا كله وجد أن الطريقَ



الذي فتحه له طاهر يليقُ به ويتناسبُ مع ما يريدُ، بدأ في إشاعةِ الأخبارِ عن نفسِه وعبرَ شيخِه أنه قد منَّ اللهُ عليه بالهدايةِ والتوبةِ ورَاح يُغيِّرُ من مظهره ليتناسب مع عمله الجديد، فتخلّص من خُصلاتِ شعره الطويلةِ واشترى خاتمًا فضيًا بفصٍ أحمر وكذلك مِسبحةً من الخشبِ يفصلُ بين بعضِ حباتها خيطٌ أخضرُ، كما اشترى بعضًا من زجاجاتِ العطورِ الشرقيةِ كالصندلِ والمسكِ، الذي نقعَ فيه مسبحته مدة خمسة أيام حتى تشبعت برائحةِ المسكِ النفاذةِ، وبدأ يشق طريقه مع حمدي ذلك الرجل الروحاني الذي قابله، والذي لم يقطع صلته به حتى قبل دخوله إلى الخلوةِ، وجدَ صعوبةً في أن يقنع من حوله أنه في شهورٍ قليلةٍ لا تتعدى العشرةَ صار شيخًا يعمل في الجنِ تقطيعًا وتقتيلًا، لذلك كان خيار أن يجعل ساحةَ عمله بعيدةً عن مكان منزله أمرًا بديهيًا، وفي يومٍ كان يجلسُ في السيدةِ نفسية مع طاهر الذي كان كثيرًا ما يحكي له عن طاقةِ النورِ التي تلُفُ هذا المكان، وكيف أنه بمجرد تواجده بالقرب من مسجدِ السيدةِ ترتفعُ روحانيتُه كبئرٍ معطلةٍ انهمرت عليها الأمطارُ من كلِّ جانبٍ فما تركتها حتى فاضت بالماءِ، ولكن كلماتَ طاهر لم تعد تعملُ في نفسه كما كانت تعملُ من قبل أن يعلمَ حقيقتَه وحقيقةَ مذهبه، ولم يكن طاهر يُفوِّت فرصةً إلا ويحكي له عن كراماتِ الأولياء الصالحين من قبله، فحكى له عن الشيخِ إبراهيم المجذوبِ الذي كان موكَّل برزقِ أهل البلدِ التي يسكنها فيوسِّع على العبادِ ويضيّق عليهم بمجردِ أن يغلقَ زرارَ قميصه أو يفتحه، وعبد الله ابن أبي بكر العبدروس الذي ماتت زوجته فأحياها وأعادها للحياة مرة أخرى، والشيخ عبد الله البعلوي



الذي حفظَّ مُريدَه من سؤالِ الملكين، والفقيه اسماعيل الحضرمي الذي كان يُمسكُ الشمسَ فلا تغرب إلا بإذنه، بل أنّه حكى له عن ذلك الولي الذي كاد يعزلُ عزرائيل من ديوانِ الملائكة!!

وهذه الحكايات لم يسمعها من طاهرِ وحدَه بل سمعها بعد ذلك كثيرًا من أهلِ الطريقةِ كلما جالسهم، فتكوّن عنده أنهم أناسٌ لا عقل لهم، فصار يُعمل فيهم خيالَه، فحكى لهم بدوره عن رحلته المقدسةِ مع خادمه شعضوض إلى المغربِ، فقال لهم ذات يومٍ عندما كان يجلس معهم في الحضرة - بعد أن قدمه طاهر لهم على أنه شيخٌ وولي- أنه كان يحتاجُ في مذاكرته الروحانية إلى بخورِ الطقش المغربي، ولندرته في مصر سأل خادمه شعضوض أن ينقله إلى بلدٍ يتوفَّرُ فيها البخورُ حتى يشتريه فنقله شعضوض إلى المغربِ، وهناك تعلّم كيف يُحضِّر بخورَ الطقشِ في بيته وكانت هذه الكذبة هي أول باب يُفتحُ له على مصرعيه ليلجَ منه إلى عالم المالِ، ففي نفسِ الجلسةِ طلبَ أكثرُ من واحدٍ من الجالسين من الشيخ نادر أن يوفرَ لهم من الطقش ما يمكنهم من العملِ فجميعهم أولياء وجميعهم يعملُ في علاجِ المرضى وإخراجِ الجانِ، وكانوا يحتاجون للبانِ الخارقِ صالح -الطقش- الذي يملكُ الآن سرَه الشيخ نادر، فأخبرهم أنه ليس مأذون له إلا بكمية بسيطة، وأنه سيقدمها لهم على سبيلِ الهديةِ، ثُمّ أطرقَ برأسه ناحية الأرضِ وأغمضَ عيناه وبدأ يميلُ إلى جهةِ اليسارِ كالمتصنتِ ثُمّ ضحكَ والجميع ينظرُ إليه في وجلٍ، فنظر لهم بحدةٍ بعد أن فتح عيناه كمن يستفيقُ من إغماءةِ وهو لازال يضحكُ وقال عفوًا إخواني لابد أن تدفعوا



فهو مالُ اللهِ وسيذهب إلى أهلِ اللهِ وأومأ برأسه ناحية مجذوبٍ جلسَ يأكلُ كالمجنونِ في إحدى الزوايا، لمعت عينَ طاهر وعلمَ أن تلميذه وعى الدروسَ كلَّها جيدًا فابتسم وصار يُشجعُ باقي الأولياءِ على استخراجِ النقود، وقال لهم أنتم أهل الله وخاصته أصحاب العلمِ اللادوني وتعلمون أننا مُعلقٌ في رقابنا هؤلاء الفقراءَ وأمثالهم فاعطوا مالَ اللهِ للهِ ومال قيصر لقيصر، وبدأت النقودُ تخرجُ من جيوبهم إلى يد قيصر - نادر - حتى أن الشيخَ الكبيرَ الذي قد أدنى نادر منه همس في أذنِه وقال: وأنا أيضا مثلّهم يا نادر؟ فضغط نادر على يده يسكته ويطمئنه بنظراته وابتسامته، فعلمَ الشيخُ أنّه سيحصلُ على البخورِ من غيرِ أن يدفعَ فسكت، جمع نادر منهم في ذلك اليوم سبعمائة جنيه وهو المبلغ الذي كان يحتاجُ أيامًا عديدةً ليحصِّلَه من العملِ العادي، فلما فرغ من جلسته انتحى بالشيخِ الكبيرِ جانبًا ثُمّ اعطاه مائتين جنيه، وقال له هذا لصندِوق النذورِ فابتسم له وقبّل رأسَه وطلبَ منه ألا يتأخر عليه في الزيارةِ، وأخبره أنه سيحتاجه كثيرًا في أمورِ العلاجِ فأجابه نادر مسرعًا لن أتأخرَ عليك وبإذنِ الله كل حالةٍ سيكون لصندوقِ النذورِ نصيبٌ منها، ثُمّ تنهدَ وقال ما نحن إلا أسباب يا عزيزي.

استقلَّ نادر مع طاهر سيارته القديمة في طريقِ العودةِ... قال طاهر كالمهنِّئ: أراك جمعت كثيرًا من المالِ اليوم، فابتسم نادر وتنهد: هذا مال الله يا شيخ بل أني يضيق صدري من هذا التكليفِ ولكن ماذا أفعل إنه اختيار الله لي، ثُمّ قال: لم أكن أصدقك عندما كنت تحدثني عن أن المال ليس كلَّ شيءٍ وها أنا اليوم لا أشعر حقيقةً بأيِّ انجذاب نحو المال، بل أني أشعر أنه يؤرقني وبإذن الله يأتيني شعضوض



اليوم فيخبرني كيف أنفقه على الفقراءِ ويريحني منه، بينما يتحدث الاثنان اصطدمت سيارة طاهر الذي سرح قليلًا مع نادر، كان الاصطدام خفيفًا وبرغم ذلك توقفت السيارتان لينزلَ من الأخرى رجلٌ يرتدي بدلةً ونظارةً شمسيةً فيتجه ناحية الولين، ويقول: هل كل مَن ملكَ ربعَ جنيهٍ يذهبُ فيشتري به حديدةً ثُمّ يمشى ويُكسّر سياراتِ أولادِ الناسِ؟ قال طاهر متغيظا: هذه السيارة بعشرين ألفًا فنظر له الرجل مُحتقِرًا وقال: وهو يعود لسيارته هذا ثمن كشاف سيارتي الذي كسرته!

نزلَ نادر في الطريقِ ثُمّ استقلَّ مواصلةً حتى ميدانِ بابِ الخلقِ ثُمّ بدأ يبحثُ عن العطارين، كان يُراجعُ أسماءَ البخورِ التي قرأ عنها حتى دخلَ إحدى محلاتِ العطارةِ، فوجد رجلًا يرتدي جَلابيّة بيضاء مُتسخةً بالعطارةِ متوسط الطولِ وضخم الجثّةِ في الخمسين من عمره، قال له نادر بعد أن سلّمَ عليه أريدُ بعضَ أنواعِ البخورِ وراح يرددُ والرجلُ يسمعُ في صمتٍ، جاوي ولبان أبيض ومستكة تركية وبخور فاسوخ حر وفلفل أبيض، ضحكَ الرجلُ وقال له موجودٌ ويوجدُ عندى خلطةً جاهزةً ستفي بالغرضِ، بدا على نادر التوترُ وقال: لا أنا أريدُ هذه الأبخرةَ كما طلبتها، فعاود الرجلُ الضحكَ وهو يُحضِّرُ له البخور وقال له: لابد أن الشيخَ قد طلبها على هيئتها، فقال نادر نعم طلبها هكذا.... ادعُ الله لنا بالشفاءِ، فدعى الرجلُ واستسلم لتجهيزِ ما طُلب منه.

أخذّ نادر البخورَ وعادَ إلى البيتِ وفي المساء بدأ في تجهيزِ خلطته السحريةِ، والتي راح يدوِّنُ المحتوياتِ وقدرها وطريقةَ التحضيرِ، فقد نوى أن يعتمدَ هذه



الخلطةَ كأحدِ منتجاته الروحانية، بدأ في عجنِ خلطته بعدما أضاف لها زيتَ الصندلِ الذي أكسبها رائحةً مميزةً ولونًا ذهبيًا فاتحًا، وأخذ يُقلبُ عجينته جيدًا حتى امتزجت وتداخلت محتوياتها وبعد أن اختبرها على الفحمِ بدأ في تقسيمها على هيئةِ كراتٍ صغيرةٍ، ووضعها في كيسٍ بلاستيكيٍ حتى تحتفظَ بزيتها أكبر فترةً ممكنةً، وخبَّأ الكيسَ بين أدواته حتى لا تطوله أيدي المتطفلين، كان يُفكِّرُ في كيفيةِ استثمار رأسِ ماله، والذي وصل إلى ثلاثمائةِ جنيهٍ بعد شراءِ الأبخرةِ اللازمةِ لخلطته، فرأى أن أفضلَ ما يمكن استثمار هذه النقود فيه هو ذيل ثعلبٍ وفصوص الخواتمِ غريبةِ الشكلِ واللونِ وبعض أنواعِ البخورِغريب الشكلِ، وفي اليوم الثاني قابلَ صديقه سمير الذي انقطع عنه لفترةٍ، وكانت المقابلةُ كالعادةِ في- الخرابة - القهوةِ التي اعتادا أن يجلسا عليها، كان نادرُ هذه المرة مُمسكًا بسبحته ذاتِ الخيطِ الأخضرِ وبدا وجهه أكثر راحةً من ذى قبل، قال لسمير هل حكيتُ لك أن صاحبك الآن صار مُعالجًا روحانيًا؟ فردَّ عليه سمير بقوله هل بدأ في ما نويت عليه؟ قال نعم وبقوةٍ فبالأمسِ كنت بين زعماءِ القومِ ولم أُبارحهم حتى أخرجتَ الأموالَ من جيوبهم ألم أقل لك أن الأمرَ أيسرُ مما تتخيل؟ تحمَّس سمير أكثر لسماعِ حكاية نادر، ولكن نادر انقطع عمَّا يحكيه وقال متى ستسلمني روحَك العاصيةَ لأنقيها ممّا يتلبسّها من الأرواحِ السُّفليةِ لأهيئك للعمل معي؟ ضحكَ سمير وقال له يا شيخ نادر أنا خادمُك ولكن أخبرني: كم من المالِ استطعت أن تستولي عليه من هؤلاء؟ قال نادر سبعمائة، وأخذ كبيرهم أجرَه فأصبحوا خمسمائةً، واشتريت أدواتٍ فبقى ثلاثمائة



ويمكنني أن أعطيك منهم مائةً الآن إن نويت أن تعملَ معي، مدَّ سمير يده فورًا وقال له ولكن لابد أن تتفقَ معي على راتبٍ محددٍ، قال نادر: أوه يا سمير أتركك وقتًا طويلًا وأعود لأجدك بمثلِ ما تركتك عليه من الحماقةِ، أي راتبٍ يا فاقدَ الأهليةِ أنا أقولُ لك أريدُك تعاونني في أن احتلَّ نفوسَ العالمِ، وها أنتَ تطمحُ لجنيهٍ أو جنيهين، راتبك سيكون على قدرِ عملك فأنتَ ستكون مندوبًا لي تبلّغ الناسَ عن قدرتي وتسترسلُ بل وستأتي لتحضرَ معي كل الجلساتِ فتعملَ عمل النبطشي، هل تعرفُ ماذا يعملُ النبطشي؟ قال: نعم أعلم، تريدني أُثيرُ في نفوسِ الناسِ الرُّعبَ منك ومن كراماتِك، ضحكَ نادر وقال له: هذا أفضل ما علّمك عبد الواحد، ستتسلم عملك من الآن لابد أن تملأ حياتك بالحديثِ عني، قل لهم عمّا لاحظته أنتَ ولمسته بنفسك في مِن تغيُّرٍ أذهلَك، أخبرهم عن صفاتي التي تبدّلت إلى النقيضِ واحكِ لهم عن معجزاتي التي رأيتها أنتَ بعينك وأدهشتك، لا تفترْ تتحدثُ عن هذا المجذوبِ الذي قابلنّا في الطريقِ فجاء إليَّ طواعيةً فقبّل يدي وقدمي، وانصرف وهو يقول سلامُ الملائكةِ عليك أيُّها الولي، ألا تذكرُ هذا الموقفَ يا سمير؟ لمعت عيناه الغائرتان وقال له: هكذا سوف تحتلُّ نفسى أنا قبل نفوسهم ها أنتَ تُمارسُ عليَّ تنويمك المغناطيسي، قال نادر: لابد أن تقتنعَ بشيخك تمامَ الاقتناع، لابد أن ترى ما لم يحدث ما دام سيكون في مصلحةِ شيخك التي هي مصلحتك في النهايةِ، اعلم أن مجدك ارتبط بمجدي تمامًا كما ارتبط مجد الكتبِ بأصحابها، فأنتَ ستكون الكتابَ وإن شئت فقل الكذبة التي سأسهرُ على إعدادها ثُمّ أطلِقها فتبلغُ الآفاق



فتكون رسولي للناسِ قبلَ قدومي تُحمّلُ أنفسهم ما يُيسر الأمرَ ويسهِّلَه عليَّ، واعلم أن كلَّ نفسٍ أطئها بقدمي محتلًا سيكون لك من فضلة مالها نصيبٌ، سأهديك ببضعةِ نفوسٍ ضائعةٍ تُمارسُ عليها ما شئتَ من السيادةِ، اجعلني أُطروحةَ المجالسِ بقوةٍ وأعدك أن أُريك ما يسرَّك، قال سمير: ولكن بعد أن أهيئ لك كلَّ هذه البروباجندة ماذا عندك لتقدمه أو لتحتلَ به نفوسهم؟! قال نادر غاضبًا: وماذا قدّم شيخك عبد الواحد يا صبي العالمة عندما جذبنا كالأرانبِ إلى أرضه لنساويها له ونستصلحها؟ وماذا قدَّم لهذه المريضةِ عندما غرس في أقدامها إبرته الحادة؟ أنا أملكُ الآن السيفَ أملكُ العلمَ الروحاني الذي يجهله وتجهله، أملكُ خادمًا يا أبله، كان وقعُ الكلمةِ شديدًا على أذنِ سمير، فقال بشغفٍ: تملكُ خادمًا من الجن؟! قال نادر: نعم، وضعفّه من الإنس أنتَ أولهم، قال سمير أنا أمري مُنتهٍ سأعمل معك إن أحسنت اقناعي، وحتى لو كان عبد الواحدِ لا يملكُ شيئًا فهو على الأقلِ كان يملكُ إقناعي ومن حولي، قالُ نادر إذن سأدعوك لتأتي معي غدًا لأقابلَ بعضًا من المعالجين ذائعي الصيت، وأنا أبيعهم بخوري وخلطتي الخاصة وأنا متأكدٌ أن هذا سينزلُ في نفسِك من القناعةِ ما يثيرُ حماسك ويُعلّي وتيرةَ إخلاصك.

لم يمضِ أيامًا كثيرًا حتى دخلَ نادر إلى مكانِ أدواته وأخرجَ خلطته وأعادَ اختبارها مرة أخرى، كانَ قلبه يخفقُ بشدةٍ فهو يعلمُ أنه مُقدمٌ على خطوةٍ لو لم تذل فيها أقدامه سوف يركب الجوادَ وينطلقُ، أعدَّ بعضَ كلماتٍ ليقولها أثناءَ تسليمهم الخلطة، وأعاد نطقها حتى حذقها ثم أخذّ حاجته وعطّر مسبحته وتوضأ وارتدى



جلابيةَ أبيه البيضاء وراح يقف أمام مرآته يتأملُ شكله ومنظره، بدت الوسيلةُ إليه كأنها تُطالعه كما يُطالِعُها حتى أنها نطقت تُذّكره بما كان يُحدّث به نفسه من قبلِ عندما كانت تقولُ له: هل إن وصلتَ إلى الغايةِ لن تؤلمك الوسيلةُ فيما بعد؟ بل على الراجحِ أنّها قد تُطارُدك حتى تطردَك وتُصارعَك حتى تصْرَعَك، فتُلفتَك عن الغايةِ تمامًا بعد أن وصلَت لها فالحياةُ لها في كلِ يومٍ مُستجِداتٍ، والنفسُ تتعاطى معها لأقصى درجاتِ الذوبانِ، وها هو قد بدا جليًا عليه مظاهرُ الذوبانِ، فلم ينفق جنيهًا واحدًا من الأموالِ إلا على الذوبانِ، فقد بدأت الوسيلةُ تأخذُ عنده مكانَ الغايةِ فتبدَّل شخصيته وروحه تبدلًا عجيبًا، فلم تصبح الأموالَ هي مرمى عينه الأول بل تقهقرت قليلًا ليحلَّ محلها نظرةَ الناسِ إلى سلطانه الروحي، فهو اليومَ مستعد أن يجلسَ بين مئاتِ البشرِ في جلسات علاجٍ روحاني ولا يتقاضى نظيرها مليمًا واحدًا، لمجردِ أن يشعرَ بسطوته الروحية، وهنا تفتّقَ ذهنه إلى العلاجِ المجاني فرَاحَ يقول: من هذا الذي يرفضُ الهدايا؟ لا أحد، كل الناسِ تقبلُ أي سلعةٍ حتى وإن لم تكن في حاجةٍ إليها لمجرَّدِ أنّها مجانية، ورَاح يتأمَّلُ شهرته بين الناسِ بصفتِه المعالجِ الروحاني الذي حفرت المجانيةُ اسمه في قلوب الناسِ، تناول أشياءه وانطلق مع صاحبيه سمير وطاهر إلى منطقةِ السيدةِ نفيسة، وكان أولُ ما صدم سمير هو أن طاهر لم يكن يُنادي صديقه إلا بالشيخِ نادر!

فكان يقول له: يا شيخ نادر لَمّا تأخرت كل هذا الوقتِ، وأنتَ تعلمُ أنَّهم ينتظرونك فأنا أكره مخالفةَ المواعيدِ مع هؤلاء الناسِ فقد تعلمنا أن اللهَ رفعهم



لدرجةِ أن ينتظرهم الخلقُ لا أن يتنظروا هم أحدًا، فردَّ عليه نادر لم أتأخر بإرادتي ولكن حكم الروحانية يا أخي فلا تنسى أنى اليومَ لا أملكُ نفسي كالسابقِ، قال طاهر بقلقٍ: أتمنى أن يتفهموا ذلك ولا يغضبوا، هذه الكلماتُ البسيطةُ شرحت صدرَ سمير وأمتعه أن يشاهدَ انقلابَ السحرِ على الساحرِ فلم يكن يخفى عليه أنّ نادر هو سحرٌ من صنيعةِ طاهر وها هو اليومَ يتبعه، بل أن ذلك جعلَ نفسَه تتطوقُ لذاتِ المصيرِ فيصيرُ سحراً ينقلبُ ذاتَ يومٍ على مَن صنعه.

دخلَ الجميعُ إلى زاويةِ الشيخِ الأكبرِ ابن عربي تلك الزاوية العتيقة، وكانت الزاويةُ في هذا الوقتِ تعجُّ بالناسِ على غيرِ ما تخيلَ نادر، فقد امتلأت بالرجالِ بل والنساءِ والأطفالِ الذين لم تتسع لهم الزاويةُ فخرجوا إلى الشارعِ، فجلسوا على الكراسي ومن لم تجد لها كرسي جلست على الأرض، كأن نادر قد تهيَّب المشهد في أول الأمرِ حتى استقبلهم أحد مريدي الشيخ الكبير وسلَّم عليهم ثُمَ تقدمهم مخبرًا شيوخه بأنهم قد حضروا، سلَّم الجميعُ عليهم وقد تهللت أساريرهم من رؤية الكيسِ البلاستيكي الذي كان يحمله نادر في يده، والذي رفضَ أن يناوله أحدًا وأصرَّ أن يظل ممسكًا به حتى نهايةِ الحضرةِ، وقفَ جميعُ الحضورِ من المريدين ومن هم في خارجِ الزاوية وتراصوا في هيئةِ صفوفٍ مستديرةٍ يفرِّقُ بين كلِّ صفٍّ مسافةُ ليست بالكبيرةِ، وأفرغوا داخلَ الدائرةِ للشيخ الكبيرِ الذي انتصب داخلها بزيِّه الأخضرِ المسرَّجِ بالألوانِ الذهبيةِ وغطرته الخضراءِ ثم بدأ في التمايلِ برأسه وجسده يمنةً ويسرةً وهو يقول مادحًا:



يـا سـيدًا حـاز المعـارفَ كلَّهـا ** عطفًـا عـلى عبـدٍ لئـيمٍ جائـر

قد جئتَ نحوك مستجيرًا خائفًا ** والقلـب منـي في جنـاحٍ طـائر

لا أبتغـي دنيـا ولكـن أبتغـي ** ما كـان أعـلى مـن نفيسٍ جـواهر

حـب الإلـه مـشاهدًا لجلالـه ** في بـاطني وجمالـه في ظاهـر

والله أرجـو الوسـيلةَ سيـدي ** في نيـلِ مـا أملتـه في خاطـري

بُشرى لَمـن وجهـت قلبـك نحـوه ** وغـسلتَ باطنَـه بقلـبٍ طاهـر

والكلُّ يتبعه في تمايله وقفزه حتى صار الجميعُ يتمايلُ راقصًا وهم في حالةِ طربٍ بما يقول الشيخُ وصار القفزُ منسجمًا كأنه متفقٌ عليه بينهم، ومنهم مَن يُردد الله... الله... الله... هو... هو... هو.... مدد...مدد... مدد... والشيخُ يتوسطُ الحلقةَ مستبدلًا عصا المايسترو بأصابعه التي رَاحَ يُشيرُ بها إلى الواقفين في الصفوفِ، وفي الخارجِ كانت النساءُ والاطفالُ يغطون في نوباتٍ من التمايُلِ انقلبت سريعًا إلى ما يُشبه الرقصَ الذي تتمايلُ فيه الأجسادُ منتشيةً، كان طاهر ونادر في أقرب دائرةً للشيخِ الكبيرِ وذابَ سمير مع باقي من ذابوا في الصفوفِ، كان طاهر يتمايلُ على نحوٍ يقتربُ من تمايلِ الشيخِ الكبيرِ نفسه، والذي فاقَ في ميله وتمايله وانحراف جسده مريديه وأتباعه القابعين في باقي الصفوفِ، كان المظهرُ لمن خارج الحضرةِ يوحي بتجمعِ مجموعةٍ من الناسِ الذين أصابهم المس الشيطاني فصار يتخبطُ الواحدَ منهم في الأخرِ، وفي الوقتِ الذي كان يحاول فيه طاهر الوصول لمقامِ المشاهدةِ



فيرتقي لمرتبةِ الملائكةِ في الصفاءِ، فيخرجُ من الكونِ ليشاهدَ الحضرةَ النبويةَ بل والإلهيةِ... لذلك كان أكثرهم قفزًا!، كان نادر يحاولُ أن يتماسَك فلا يقعُ لا سيَّما بعد هذا الصداعِ الذي ضربَ رأسَه بعنفٍ جراء تمايله برأسه، وبينما يدور الواقفون في الدائرةِ حولَ الدوائرِ التي أمامهم تارةً في نفسِ الاتجاه وتارةً بشكل عكسي، مدَّ الشيخُ الكبيرُ إحدى يديه لطاهرِ والأخرى لنادر وجذَّبهم داخل الدائرةِ، بدأ طاهرُ يشعرُ أنَّه أكثر قربًا بهذه الخطواتِ فصار يُصفِّقُ تمامًا كالشيخِ الكبيرِ، بعد أن فارقَ الشيخُ الدائرةَ وتركهم داخلها ليلتقفَ آلةَ الدُفِ من أحدِ الواقفين، كان المشهدُ يجثمُ على صدرِ سمير حتى أنّه شعرَ بعينه تحاول مغادرة رأسه فتتأكد أن صديقه السكير هو الذي يقفُ داخلَ الدائرةِ ويلتفُ الناسُ من حوله، وبينما يتبادلُ الشيخُ مع طاهرِ ونادرِ مكانه تبادَلَ أيضا الإنشاد مع أحدِ المنشدين الذي رَاح من أخرِ صفٍ يُنشدُ - بطريقةٍ تشبه الترانيمِ الكنسيةِ - بعد أن دخلتِ أصواتُ المزاهرِ لتختلطَ بأصواتِ الدفوفِ:

قد طالَ هجـري وانتظـاري لعفـو ** منّـوا بــإطفال وعتيـب تبـسـمِ

حاشـا لجـودك أن تقـنطَ عاصـيًا ** العفـو أقـربُ مـن إمـامٍ أعظـم

هذاعبيـدك قـد أتـى مستـشـفعًا ** مـسترحمًا بتـودد وتَـرَحُّـم

أنتَ الوقايـةُ والمجيـرُ مـن البـلا ** ولكـل حادثـةٍ دهـت بالمسلـمِ

لولاك يا ابـن الأكـرمين لماغـدَت ** أولاد ناصرعُرضـة المُستقـسِم



أسئلةٌ كثيرةٌ ضربت رأسَ نادر وهو داخلَ الدائرةِ كمن ينظرُ إلى المجاذيبِ من حوله، أسئلةٌ أطاحت من قلبه كلَّ إيمانٍ عرفَه ذات يومٍ، فهذا الشيخُ الوقورُ ما دهاه يرقصُ بلا حشمةٍ؟! وما له يقفزُ عاليًا كأن أفعى مثلة قد لدَغتْهُ؟! وكيف أكون أنا في هذا المكان الذي يبدو أنّه من الأهميةِ بمكانٍ؟! بل وما معنى الإيمان والإسلام إن كان هذا عنوانه وهؤلاء أكابره؟! بل وما هو الحاجزُ الذي يمنعُ أي منحرفٍ من أن يصيرَ على طريقةِ القومِ؟! كانت كلُّ هِزةٍ من رأسِه ترمي بجزءٍ من إيمانِه إلى خارجه فلا يعَاوده بعدها أبدًا، امتدَّت الحضرةُ قرابةً الساعةِ حتى توقَّف المُنشدُ برهةً وقالَ أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٥] إيذانًا بانتهاءِ الحضرةِ.

تفرَّق الناسُ بعدها ولم يتبق إلا الشيخ الكبير والأولياء أصحاب العربون وقليلًا من المريدين، قال أحدُ الأولياءِ موجهًا كلامَه لطاهرِ تأخرت علينا اليومَ كثيرًا يا شيخ طاهر، فوجَّه طاهر نظره يشيرُ إلى نادرٍ وقال عليكم بالشيخِ فهو سببُ التأخيرِ، قال نادر لا تكثروا اللّومَ فصاحبكم مأمورٌ وأشار بيده رافعًا الكيسَ البلاستيكي، قال أحدُهم لاعليك يا شيخ... هل فتحَ اللهُ عليك بالمطلوبِ؟ ابتسم



نادر وهو يمد يده داخل كيسه ليخرجَ بضعَ أكياسٍ صغيرةٍ شفافةٍ داخل كل واحدٍ منها ثلاثَ كراتٍ صغيرةٍ من عجينته التي صنعها بيده، ثُمّ وضعهم أمامه على الأرضِ وسمير ينظر، ثم أغمضَ عينيه ورَاح يقول بصوتٍ منخفضٍ كأنه همهمةً: برهتيه كرير تتلية طوران مزجل ترقب برهش غلمش خواطير قلنهود برشان قزمز قبرات بشارش طنوش هيا اقترب ولبِّ الدعاءَ، وظلَّ مغمضًا عينه ثُمَّ ابتسم وبدأ يفتحُ عينه ببطئ ثُمَّ تناولَ الأكياسَ ورَاح يوزعها على الأولياءِ بحسب ما قبضَ منهم من عربونٍ، وأخذ كلَّ واحدٍ منهم يفحصُ كيسَه وينظرُ إلى باقي الأكياسِ التي جاءت كلها متساويةً في كلِ كيسٍ ثلاث كراتٍ، مدَّ طاهر يده للشيخ نادر طالبًا كيسًا ليتفحصَّه فناوله واحدًا، ولم يكن في المجلسِ واحدٌ يعلمَ شكلَ بخور -الطقش - الحقيقي بما فيهم صانعه نفسه، فأخذَّ الشيخُ الكبيرُ كيسًا ورَاح يتأمله وعلى وجهه أمارات الفرحِ ثُم أرجعه لصاحبه وهو يقولُ: فتحَ الله عليك يا نادر، فَراحت الوجوه تتهللُ وصاروا يمدحونه ويمدحون صنيعه ويستفسرون عن دواعي استخدامه فأخبرهم بها نادر، كانت بين علاجٍ وفتحِ كنوزٍ وعلى طريقتهم صار يعلِّمهم أن لكلِ استخدامٍ أيات تُقرأ بعددٍ معينٍ والطقش يُسرعُ بحضورِ خُدامها، شعرَ كل واحدٍ منهم أنه قد حاز كَنزًا يساوي الملايين ببضعِ جنيهاتٍ، ثم انتحى كلُ واحدٍ ناحيةً وانتحى الشيخُ الكبيرُ بطاهر ونادر وسمير وأخذوا يتسامرون حتى سألَ نادر وهو يوجِّه حديثَه للشيخ الكبير ما مقامنا بين الناس ياشيخ؟ فأشاح رافعًا يده مشيرًا بها إلا الأخرى التي ألصقها في ألارضِ وقال: نحن



هنا وهم هنا، كان نادر كالذي يسمعُ صديقه فقالَ: ترانا رسلَ زماننا يا شيخ؟ فقال: بل أعلى ألم تسمعَ كلامَ حبيبك ابن العربي عندما قال: «مقـــامُ النـبوةِ في برزخٍ فـــويقَ الرسولِ ودون الوليِّ» فنحن أقربُ للسماءِ من غيرنا، دُهشَ سمير لكفرِ الكلماتِ التي تخرج من فمِّ الشيخ المخرِّفِ فعاد عليه كلامه، الوليُّ يا شيخ يسبقُ الرسولَ والنبي؟! فقال له أحسبك حديثَ عهدٍ بالتقوى، فردَّ نادر قائلًا: بل قل حديثَ عهدٍ بالإسلامِ فسمير أحد مريديني كان على حالةٍ بائسةٍ ولكن الحمد لله قد منَّ اللهُ عليه بملازمتي فابسط صدرَك له يا شيخ ولا تعنفه، فنظر إليه الشيخُ بشفقةِ الغاوى، وقال يا بني الزم رِجلَ شيخِك هذا ولا يغرَّك صغر سنِّه فوالذي كنَّا في سماواته منذُ قليلٍ، كم من صغيرٍ سبقَ بحسنِ ظنّه وتقربه ما لم يبلغ معشاره كثيرٌ من الطاعنين في السنِّ، ثم بدأ الشيخ متبرعًا بكذبِه فأشار إلى ركنٍ في الزاويةِ إلى عجوزٍ ضامرِ الجسد، وقال ترى هذا الطاعنَ في السنِّ هو يكبرُ شيخك بأكثرِ من ثلاثين سنةً ولكنَّه كلَّما رأى شيخك قَبَّلَ قدمَه ورأسَه، عندها شعرَ طاهر بالحرجِ والتزم نادر الصمتَ وعملت الدّهشةُ في نفسِ سمير حتى أربكته، فأكمل الشيخُ وقال شيخك لا تُعصِ له أمراً كن بين يديه كالميتِ يحركك كما شاءَ، فهو لا يميلُ بك إلا في طريقِ الخيرِ والوصولِ إلى الرضا والفتوحات، طريقه مليئ بالالتواءتِ فتمسك بيد شيخك جيدًا حتى لا تفر منه في منتصفِ الطريق؛ فتهلك واعلم أن كلَّ ما تراه منه من أمورٍ تسوءُك لها عند أهلِ الحقيقةِ ما لا يدركه عقلك، فالله قد أبدل الولي بنورٍ في عقله وقلبه فهو يرى بنورِ الله، واعلم وفقك الله أن الولي المفتوح عليه



يعرفُ الحقَ والصوابَ ولا يتقيدُ بمذهبٍ من المذاهبِ، ولو تعطلت المذاهبُ بأسرها لَقَدِرَ على إحياءِ الشريعةِ وكيف لا وهو الذي لا يغيب عنه النبي ﷺ طُرفة عين؟!! ولا يخرج عن مشاهدةِ الحقِ جلَّ جلاله في أحكامِه التكليفيةِ وغيرها، وإذا كان كذلك فهو حجةٌ على غيره وليس غيره حجة عليه؛ لأنه أقربُ إلى الحقِ من غيرِ المفتوحِ عليه وحينئذ فكيف يسوغُ الإنكارَ على مَن هذه صفته، ويُقالُ: إنه خالفَ مذهبَ فلانٍ في كذا، فمن أراد أن يُنكرَ على الولي المفتوحِ عليه لا يخلو إما أن يكون جاهلاً بالشريعة كما هو الواقعُ غالبًا من أهل الإنكار وهذا لا يليق به الإنكار والأعمى لا ينكرُ على البصيرِ أبدًا، فقد تصدرُ من الشيخِ صورةً مذمومةً في الظاهرِ وهي محمودةٌ في الباطنِ، والحقيقةُ يجبُ عليك التسليمَ فكم من رجلٍ تناولَ كأسَ خمرٍ بيده ورفعه إلى فيّه وقلبه الله في فيّه عسلًا، والناظرُ يراه شَرِبَ خمرًا وهو ما شرب إلا عسلًا ومثلُ هذا كثيرٌ وسوف أحكي لك قصةً ربَّما في يومٍ تنفعك وحتى لا يكون بقلبكِ اعتراضٌ على شيخك، حكى لنا كبراؤنا أنه كان هناك في الزمنِ البعيدِ شيخٌ واجتمع له المريدين فأراد الشيخُ أن يختبرهم فأتى بامرأة مشهورةٍ بالزنا ثُمّ استأذنهم واختلى بها في خلوةٍ ليفعلَ بها، فانفض المريدون من مجلسه وقالوا حسبناه شيخًا وما هو في الحقيقة إلا رجل سَوْءٍ، إلا واحد ظلَّ منتظرًا في الخارجِ ولّما تأخرَّ عليه الشيخُ اقترب من خلوته فوجده لا يزال يُضاجعُ هذه المرأة فعاد وانتظر حتى انتهى شيخه، فقام هذا المُريدُ الطائعُ لله ورسوله وسخنَ الماءَ وقدَّمه لشيخِه ليغتسلَ من الجنابةِ، فقال له الشيخ هل رأيتني وأنا أضاجع هذه المرأة المشهورةَ؟ فقال: نعم، فسأله لماذا لم



تنصرف مثل أخوتك؟ قال لأنى أعلم أن الحقَ يميل معك حيثُما ملت، فضحكَ الشيخُ وقال له هكذا يكونُ المريدُ ثُمّ أمسك يده وأدخله الخلوةَ وقال له يا بني ما رأيت لم تكن امرأةً بل كانت الدنيا، سألتُ اللهَ أن يجعلها امرأة تمشى أمامكم لأختبرَ صبركم على شيخكم، تعال وادخل وابحث بنفسك في خلوتي فهل تجدُ امرأةً فدخل المُريد فلم يجد أحدًا فأطمئن قلبُه لصدقِ شيخه وعفافه، ومن يومها صار هذا المُريد هو أقرب الناسِ لشيخه ولازمه حتى ماتَ واخذَّ منه العهدَ، فإيَّاك والانكار على شيخك أو من كان في مرتبته أو أعلى، وحينها نظر طاهر لنادر ولكن نادر كان منشغلًا بالنظرِ إلى سمير الذي كان ينظر إلى الشيخِ الكبيرِ مبتسمًا.

في البدايةِ كانت ثقةُ هؤلاء الدجالين بنادر نابعةً عن ثقةٍ من قدّمه لهم، ولكنها الآن صارت ثقةً بنادر نفسه حتى أنه كان يقابلهم من غيرِ شيخه وجرت بينهم عدة مقابلاتٍ كان يُطوعها نادر كلّها لصالحه، ولكن في هذا اليوم لمّا همَّ نادر بالانصراف هو وسمير لم يقم معهم طاهر، وفضَّل أن يبقى قليلًا حتى ينهي أورادَ يومه في تلك الزاويةِ، فلمّا انصرفا قال نادر لصديقه وهو يكتم ضحكه: سمعت كلامَ المخرفِ الكبيرِ إيَّاك أن تعصانى، قال سمير: يا نادر أنا أهنئك أنك استطعت الوصولَ إلى هذا الفرعِ الجديدِ لمستشفى المجاذيبِ، فأنا لا أشكُ لحظةً في أنَّهم حفنةٌ من المجانين هم أخطرُ على الناسِ من الشيطانِ نفسِه، فقال نادر: وهل لا زلت تؤمنُ بالشيطانِ يا صديقي؟ أما أنا فأستطيع أن أقولَ لك أن إيهاب هو أذكى مَن قابلتُ في حياتي، بل إنني اليومَ لا أشك في كلامه طرفةَ عينٍ كما تثق أنت تمامًا في جنونِ هؤلاء، تعال يا صديقي فلنقُم بزيارة واجبةٍ لهذا



الكافرِ ونحتسي عنده من الخمرِ أو العسلِ على رأي الشيخِ الكبيرِ ما يُنسيني هذا الصداعَ الذي كادَ يشقُّ رأسي نصفين منذ أن كنَّا نترنحُ كالسكارى في الحضرةِ.

وفي الطريق كانا قد أصلحا هيئتهما وتبادلا السخريةَ فيما بينهما متذكرين ما حدَثَ في الحضرةِ حتى قال نادر: الحياةُ تتجاهلنا ياصديقي ولكني أعدك بأن أعاقبها أشد عقابٍ، سأصنع لك المتعةَ.... فالمتعةُ تخترقُ المنطقَ والقانونَ، أنتَ تعلمُ أنها مضرةٌ ورغم ذلك تفعلها، ومن بين كل الخياراتِ تختارها بل وترفعها على كلِ الاختياراتِ الصحيحةِ.... وهل أول خيارٍ للإنسان دائمًا يكون أصحَّ خياراته؟ لا بل قد يكون أصحُّ خياراته هو آخر اختيارٍ يرسو عليه.

وصلا إلى بيتِ إيهاب فدقَّ نادر الجرسَ لتفتحَ لهم امرأة في عمر الثلاثينِ وخلفَها طفل صغير يبكي، قال أبلغي الأستاذ إيهاب أننّا نُريدُ مقابلته، جاءه صوتُ إيهاب من خلفِ الشغالةِ: ادخل يا نادر، أفسحت الخادمةُ طريقهم ودخلا إلى حيثُ يجلس إيهاب على الأريكةِ، فسلَّم عليهم ثُمَ أذن للخادمةِ بالانصراف فقد أنهت عملها لذلك اليوم، ضحك إيهاب لِما كان يرتديه نادر، وقال له ما هذا الذي ترتديه هل أصبحت درويشًا؟! ضحك نادر كثيرًا وهو يتجه ناحية البارِ؛ ليجلسَ على كرسيه العالي وأسندَ يده إلى رُخامتِه القرمزيةِ ورَاح يخبِّط بيده مع ارتفاعِ ضحكاته، ومن خلفه إيهاب وصديقه ينظران، التفت إليهم وقال رد عليه يا سمير فهذا الكافر لا يعرفُ قدرَ شيخك - يستمر في الضحكِ بهستيريا - مَن فيكم سيحظى بصبِ الكأسِ لي ليتحولَ في فمي عسلًا وفي بطني لبنًا؟ ضحك إيهاب ونظرَ إلى سمير



وقال: حالة «مانياهلوسيناتوريا» واضحةً قم صُب لصديقك حتى يعودَ له صوابه، قام سمير وأمسك بإحدى زجاجاتِ النبيذِ ورفعها إلى فمه وشربَ منها قليلًا ثُمَّ صبَّ ثلاثَ كؤوسٍ ناول إحداها إلى نادر الذي أخذها وقال: تختبرُ شرابَ شيخك يا فاسق وهل فمك كفمي؟ ألم يقل لك إن الشيخَ كان يزني بالدنيا - ويستمر في الضحكِ بلا انقطاعٍ- قال إيهاب وهو يرفعُ خصلات شعره الفضيةِ التي اعتادت أن تُغافلَ الشعرَ الأسودَ وتطفو على سطحه وهو يقول لابد أن أفهمَ ما الأمر؟ نظرَ إليه نادر وقال: لا عليك يا صديقي فقط كنّا في حضرة ترنحنا فيها سكرًا بلا خمرٍ سمعنا فيها أن الزناةَ وشاربي الخمرِ أولياء، فجئناك تقلدنا الولايةَ وها أنا أراني ممسكًا بزمامها بين يدي - يشيرُ للكأسِ- اترك زمام الولاية يا سمير فهي لا تصلح لك بل لشيخك، قال مستهزئًا: لا تقلق يا شيخ فكأسي أقل من كأسك، فقال حسنًا ما دام الأمر هكذا، قال إيهاب: إلى متى تظلان تنفقان عمركما في الهباءِ بين إيمانٍ وشكٍ؟ هل تظنان أنني أدعوكما إلى كفرٍ؟ لا بل إلى إيمانٍ ولكن من نوعٍ آخرٍ، أدعوكما للإيمانِ بأنفسكما للإيمان بقدرةِ الطبيعةِ على خلقِ كلِ ما حولكما من إبداعٍ، أدعوكما للتحررِ من العبوديةِ فقاطعه نادر قائلًا: نعم... نعم تُريدنا أهلَ حقيقةٍ وأخذَ يضحكُ، قال إيهاب: وإن كنت لا أفهم معنى ضحكك ولكني أقولُ لك: نعم أدعوك لأن تكون من أهل الحقيقةِ، قاطعه ثانيةً والعلمُ الروحاني وتركُ الماديات، قال إيهاب: لا، بل أنا أدعوك لتمامِ الإيمان بالمادةِ التي هي حقيقةُ كلَّ شيءٍ، أعطني سببًا واحدًا لأن تظلُ مسلمًا بل أعطني سببًا واحدًا لما تلبسه الآن، فنظر إليه نادر بحنقٍ



وقال: بل أعطينى أنتَ سببًا واحدًا لكَي لا تكون كابن عربي؟ تزني وتسكرُ ولا تُصلي؟ هناك مُتسعٌ لكلِ هذا عندهم فلماذا تكون ملحدًا ما دام يُمكنكُ أن تكونَ صاحبَ طريقةٍ؟ قال إيهابُ: ولكني لا أؤمنُ بالله، قال نادر وهذا أيضًا غير واضحٍ ولا مفهومٍ عند ابن عربي، أنصحكَ بأن تطّلع على كلامه فربَّما تصيرُ تابعًا وأراك عن قريبٍ ترتدي الجلابيةَ الخضراءَ وتُزينَ المسبحةُ يدك ولكن تظلُّ مسبحتي هي الأصلُ انظر - ألقى إليه بمسبحته ذاتِ الخيطِ الأخضرِ - رَاح إيهاب يُقلِّبها في يده ويقول: يا لك من أحمق أتحتفظون ببقايا الأشجارِ في جيوبكم؟!

أصبحت القاعدةُ المطردةُ عند نادر أنه كلَّما أقتربَ من صحبته انخلع الإيمانُ من قلبه بنفسِ مقدارِ قربه منهم، تركَ الصيامَ بل والصلاةَ أيضًا إلا في حضرةِ الناسِ، كان في أوَّلِ الأمر يتكلَّفُ البحثَ في كلامِ ابن عربي وأبي اليزيد البسطامي عمَّا يُثبّتَه على عصيانه، ثُمَّ صارَ الأمرُ عنده سيّان لا يحتاجُ مطالعةً فلم يجدُ في طريقه مَن يُنكرُ عليه هذا، خصوصًا أنه أشاعَ صلاته بين الناسِ وذاع صيته كمعالجٍ روحاني، بدأ يترددُ اسمه بين أوساطِ مشايخِ الطرقِ وبسطاءِ الناسِ؛ حتى صارَ يُطُلبُ كثيرًا وخصوصًا أنه لا يتقاضى أجرًا ماديًا عن علاجِ حالاته وكان يكتفي في أول الأمرِ بالاستمتاع بما يراه من حظوةٍ وسطوةٍ في عيون مرضاه وأهلهم، بل إن حبه للشِّعرِ والكلامِ جعله يتعلقُ كثيرًا بكلماتِ جلال الدين الرومي، وامتد الأمرُ إلى شيخِ جلال الدين « شمس الدين التبريزي» ووجد عندهم ما أراحه للانغماس في الملذاتِ، فكان كلما جاءَ موعدُ صلاةٍ تذَّكَّرَ ما قاله الأفلاكي عن الجلالِ حيثُ قال:



كان مريدوا مولانا يعزفون على الربابةِ في حضرته، وكان يستمعُ إلى نغماتِ الربابةِ في نشوةٍ عظيمةٍ، وبينما هم كذلك إذ دخلَ عليه أحدُ أعزائه قائلًا: بدأ المؤذن في أذان الظهرِ، ففكر مولانا هُنيهةً ثُمَّ قالَ: لا لا، فكما أن ذاك الصوتِ يدعو إلى الحقِ، فكذلك هذا الصوت - يعني الربابة - يدعو للحقِّ أيضًا، ذاك يدعو ظاهرَ الإنسانِ والمُشاهدَ منه لوظيفته، أما صوت الربابة فيدعو باطنَه والخفي منه إلى محبةِ الحقِ ومعرفته!!

ولكي يحتفظ نادر بمجانيةِ علاجه رأى أن يبيعَ للمرضى لوازمَ علاجه من بخورٍ وماءٍ مباركٍ وعطورٍ وما يحتاج إليه في صنع الأحجبةِ كجلدِ النمرِ التعيسِ، أو منقارِ الصقرِ الكئيبِ وغيرها من الأمورِ التي كان يُقنِعُ مرضاه بضرورةِ إحضارها حتى يتمَّ أمرهم، ومن العجيبِ أن كثيرًا من هؤلاء المرضى كان يتماثلُ للشفاءِ بعد جلساتٍ قليلةٍ تحت يد الشيخ نادر؛ مما قوّى شوكته وأذاعَ صيته، لم يكن معتز بمعزلٍ عمّا طرأ على حياةِ نادر بل كان ينظرُ إلى التسارُعِ الذي يزدادُ يومًا بعد يومٍ، وكثيرًا ما استفاد من هذا التغييرِ فحظوةُ الشيخِ كانت سبيلًا لبلوغِ كثيرًا من أهدافهِ ومراميه، فكم يسهلُ على البُسطاءِ تصديقُ دعوةِ أيِّ داعٍ ما دام تُحيطه الهالةُ الدينيةُ وما أصعب أن يستسلموا للحقائقِ العلميةِ، فكان نادر أداةً جديدةً أضافها معتز لأدواتِ بحثه وتنقيبه، بل وحددَ هو بنفسه فيزيتا الشيخ ولم ينسَ حظَ نفسه بل أضافه إلى نفسِ التسعيرةِ، ولكن نادر كان بدأ ينصرفُ تدريجيًا عن البحثِ والتنقيبِ وفضل أن يصبَّ جُلَّ اهتمامه في العلاجِ الروحاني لكثرةِ جمهوره وسهولةِ قيادتهم بل وردعهم، فقد استطاع في مدةٍ بسيطةٍ لا تتجاوز العامَ أن يضعَ قواعدًا وطقوسًا



جديدةً للعلاجِ وكان ذلك من أيسر ما يُمكنُ، فمرضاه لم يكُن أغلبهم سوى مرضى نفسيين أصابهم الاكتئاب وضربَ اليأسُ جذرَ حياتهم العائمة، ففي بيتِ الأستاذ مُحمد حشمت كانت تجلسُ في إحدى الغرفِ واحدةٌ من هؤلاء البناتِ، التي احتلَّ اليأسُ زهرةَ شبابهن، فاعتصر كلَّ أملٍ داخلها حتى ازهقه، وأبدَل بالاكتئاب كلَ لونٍ للسعادةِ ولم يقنعُ حتى خيَّم الصمتُ على ربوعِ حياتها، جلست ياسمين بجوارِ أمها وخالتها وبعضٍ من نساءِ العائلةِ التي تجمَّعن بعد حضورِ الشيخِ نادر، فأخبروه أنها تُعاني من الصمتِ الدائمِ والشرودِ وأنَّها تنتابها حالةٌ من البكاءِ المستمرِ كلما قرأ أحدٌ القرآنَ بالقربِ منها، غير أنّها فقدت كثيرًا من وزنها بسببِ عدم إقبالها على الطعامِ وانخفاضِ شهيتها عمّا كان في السابقِ وكثيرًا ما تعتريها نوباتٌ من الفزعِ أثناءَ الليلِ فتوقظُ كلَّ مَن في البيتِ على صوتِ صراخها، وأن واحدًا من الجيرانِ أخبرهم أنها قد تكونُ مصابةً بمسٍ شيطاني، ولذلك توجَّهوا إلى المشايخِ لعلاجها، طلبَ نادرُ أن يأتوا بها وأجلسها أمامه ورَاحَ يتفرسُ في ملامحها لدقائقٍ وهو صامتٌ، لم يكن في ملامحها أي شيءٍ غريبٍ أو مثيرٍ للانتباه، فبدأ بالحديثِ معها عمّا تشتكيه ورَاح يطرحُ عليها كثيرًا من الأعراضِ لتخبرَه إن كانت تُعاني منها أو من بعضها ولكنّ ياسمين التزمت الصمت من أولِ لحظة؛ طلب نادر أن يحضروا له فحمًا مشتعلًا وورقةَ غير مُسطرةٍ وقلم، وبدأ يكتبُ بشكلٍ متوازي اسمَ البنتِ واسم أمها على هيئةِ أحرفٍ مُقطَّعةٍ بعد أن أضافَ لها بعضَ الأحرفِ المُقطعةِ من أوائلِ السورِ، والتزم الصمتَ وهو ينظرُ إلى ورقته ويقرأ بهمهةٍ، حتى احضروا له الفحمَ المشتعلَ



الذي أمسكه سمير وانتحى به جانبًا منتظرًا إشارةَ الشيخِ له بإطلاق البخورِ فجلسَ القرفصاءَ مُمسكًا بيده قطعةً من الكارتون كان أحضرها ضمنَ عدة الشيخ، ورَاح يُهوِّي على الفحمِ حتى يُحافظَ عليه متوهجًا، كان يُشبه إلى حدٍ كبيرٍ صبي القهوةِ الذي يُلازمُ الشيشةَ فلا تُغادرُ عينُه الأحجارَ المتراصةَ أعلاها، بدأ نادر ينقلُ نظرَه بين الورقةِ والبنتِ، وعلامات الأسى والحزن تزدادُ في وجهه كالذي يقرأ في الأقدارِ ما لا يَسرُّ، طلبَ كوبًا من الماءِ وأخرجَ ريشةً خشبيةً ومحبرةً، كان أعدَّ حبرَها على طريقةٍ مخصوصةٍ من مزجِ منقوعِ الزعفرانِ وقليلٍ من دم الغزالِ وماء الوردِ ونقطةٍ من زيتِ المسكِ الأبيضِ، كان يُسمّيها- الحبرَ الروحاني المباركَ - وبدأ يكتبُ حروفًا على ورقٍ، ويُلقيه داخلَ الأكوابِ ثُمّ قطَّع ورقتين بمساحةٍ متساويةٍ، فكتب في الأولى ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الشورى] وفي الأخرى ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم]، وفتح يدَ الفتاةِ ووضعَ في كلِّ يدٍ ورقةً وأمرَها بأن تقبض عليها، ثُمّ نظرَ إليها وابتسم وقال الآن ستشعرين بحرارةٍ في يدك ستزدادُ إذا كذبتي أو آثرتي الصمتَ، ثُمّ بللَ يدَه ببعضِ الماءِ من الكوبِ وبلل به جبهةَ الفتاةِ، وهو ينظر إلى سمير يأمره بإطلاقِ البخورِ ثُمّ عادَ بنظره إلى ياسمين، وقال لها الآن يُمكنك أن تتكلمي بسهولةٍ إن كان ما يمنعك جان ولستي تتصنعين الصمتَ، بدأت ياسمين ترتبُك وتحاولُ أن تتكلمَ ولكن كانت نبراتُها متلعثمةً، ونادر يُشجعها بنظراتِه التي رَاح ينقلها بينها وبين والدها الواقف بالقربِ منهم، كانت نظرةُ نادر لأبيها تملأها العظمةُ والغرورُ كالذي يبثُّ في ذاتِ نفسه الطمأنينة، لم يكن دورُ الشيخ نادر أن يُعالجَ الفتاةَ بل كان



دوره الحقيقي ينحصرُ في إقناع من حولِها بقدرتِه على العلاجِ، حتى وإن لم تُشفَ الحالةُ حتى وإن ماتت أثناء العلاجِ، بل حتى وإن مات الناسُ جميعًا، كلُّ ما عليه هو أن يُريهم شيئًا من كراماتِه ثُمَّ بعدها إن لم تُشفَ الحالةُ- وهو ما لم يحدث معه - يُمكن عزاءُ ذلك لأسبابٍ عدةٍ كإهمالِ المريضِ في تناول العلاجِ بانتظام أو أنّه شُفيَ بالفعلِ ولكن تلبّس به جان آخر إلى نهايةِ الأسبابِ الكثيرةِ الطويلةِ المانعةِ من العلاجِ، والتي يُسلّم بها كلُ مَن يتجه إلى العلاجِ الروحاني، ولكن ياسمين بدت مضطربةً ولكنّها نطقت بصوتِ لا يُشبه صوتَها وقالت: «اتركوها وإلا قتلتُها » فبادلها نادر الحديثَ قالَ: أنتَ تعلمُ أنَّك لا تستطيعُ أن تؤذيها في وجودي، وأنا لن أتكلم معك كثيرًا ولكني سأمهلك دقائقَ لتخرجَ وإلا فلا تلومنَّ إلا نفسك ثُمّ أطرق برأسه والفتاة تنظرُ، وبدأ يُتمتُم بكلماتٍ غير مفهومةٍ ثُمّ عاودَ النظرَ لها وقال: أقسمت عليك بالملكِ شعضوض وجنوده أن تخرجَ وإلا سلسلتك ورميت بك في بحرِ الكبريت الآن، صرخت ياسمين وأمسكت وجهها في محاولةٍ لتمزيقه ولكنَّ أمها وخالتها أحالا دون ذلك، فقام نادر واقفًا وأمسك برأسها وسلّط أصابعه على طرفيها وهو يقول يا أيّتها الروحانيةُ الحاضرةُ في مجلسي ويا أيّتها الأرواحُ الطيبةُ هلُموا إليّ من الجدرانِ، واخرجوا من الأرضِ وكونوا بالقربِ مني ولتمنحوها اللّمسةَ الشافيةَ بحقِ خدمتكم ليّ انطقوها باسم الجان الُمتلبسِ الهاربِ في الجسدِ أو شِلّوا أطرافها فتقعدُ أبدًا ولا تقوم، وعندها قالت ياسمين اسمه «أبو الريش» فنظر لأبيها مبتسمًا بثقةٍ، وقال له أخرج كلَّ من بالغرفةِ واتركوها معي وحدي، بدا الأب



متردِّدًا في أولِ الأمرِ، وما لبثّ قليلًا حتى أخلى الغرفةَ إلا من نادر وسمير وابنته ياسمين، وقال وهو يُغلقُ البابَ عليهم: ارفق بها يا شيخ الله يكرمك فهي ابنتي الوحيدة على الذكورِ، فأشار نادر بألا تخف، خرج الأبُ باستكانةٍ وأغلق البابَ وأسرعَ سمير بالوقوفِ خلفَ البابِ واستدار نادر للفتاةِ الجالسةِ خلفَه ومالَ على أذُنِها وقال لحداثةِ سنك لن أؤذِيكِ على محاولتك خداعي، والآن هيّا أفرغي يدَك من الأوراق وانتبهي لي واحكي قصتك كاملةً، وأعدك أن أساعدك ما لم تكذبي عليَّ وأعدك أيضًا ألا أُخبرَ أحدًا من أهلكِ بشيءٍ، حاولت ياسمين أن ترفعَ صوتها بنوعٍ من الغضبِ المكتومِ كأنَّها تعوي، ولكن نادر قال: إذن فلنفتح البابَ وأخبرهم أنّك تخدعينهم طوال الفترةِ السابقةِ فأمسكت ياسمين بيده في محاولةِ إيقافه وهي تبكي وقالت: قد وعدتني أن تساعدني ولا تُخبرُ أحدًا بأمري، قال: نعم، بلا شك أنا هنا لمصلحتك، رَاحت البنتُ تقول: لي جار اسمه حسن أحبه من الصغرِ ولكن أهلي يكرهونه جدًا، وكلما حاول أن يتقدّمَ لي رفضه أبي؛ لأنه يُريدُ أن يزوجني من ابن أخيه الموظفِ الحكومي، وحتى ييأسَ حبيبي من الارتباط بي أعلن خطبتي على ابن أخيه، ومن يومها وانقلب حال حبيبي فأهمل عمله حتى فصلوه وصارت أحواله تسوء كل يومٍ حتى أني أشعرَ أنني سأكون سببًا في القضاءِ عليه، كان نادر يستمعُ إليها وهو يهزُّ رأسه وريثما أنهت حديثَّها حتى قال سوف أُحدد لعلاجك ثلاثَ جلساتٍ،على أن تكوني شُفيتي تمامًا في الجلسةِ الثالثةِ فلا تعودي أبدًا لما كنتي تفعلين، وأعطيني الآن هاتف حبيبك حسن وأنا سوف أنسقُ معه ومع والدتك على



طريقتي، ولا تقلقي أنا وعدتك بأن أحل مشكلتك هل تعدينَنِي أن تساعديني في ذلك، فابتسمت رغم دموعها وقالت: أعدك، قال اتفقنا هيا يا سمير ضع كثيرًا من البخور، وأنتي عودي إلى ما كنتي عليه وراقبى كلماتي واظهري من الطاعة لي ما يُمكنني من مساعدتك، ثُمّ توجَّه إلى البابِ وطلب أن يفسحوا مكانًا أخر ليستكملوا فيه الجلسةِ ولم يجد الأب المحتار إلا صالةِ منزله فنقل فيها ابنته، وقام سمير بنقلِ المِبخرةِ وباقي الأدوات، وجلست ياسمين على الكرسي تتصنَّعُ فقدانَ التوازن والوعي فأمسك نادر بيدها ورَاح يُتمتمُ ويقولُ كمن يُملي على طالبٍ ما عليه فعله، أيتها الروحانية أميلوها ناحية الأمامِ فمالت ياسمين إلى الأمام حتى كادت تقعُ من على الكرسي لولا مُبادرة أمها نحوها، فطلب نادر مصحفًا وراح يقرأ منه لمدةِ نصف الساعةِ والفتاة تتململُ؛ فتارةً تبكي وتارةً تصرخُ وتارةً تلتزم الهدوءَ والصمتَ حتى أنهى نادر جلسته، وأمسك بالورقةِ والقلمِ وبدأ يدوِّن أسماء لبخورٍ لم تعرفه البشريةُ من قبلِ وأخبر أبيها أن عليه إحضار هذا البخور بعد يومين على الأكثر وإلا ساءت الحالةِ عن ذي قبل، فالجن كان ساكنًا ونادر حركه فلابد أن يسرعَ بإخراجه وإلا انتقم منها وربما قتلها، الأمر الذي أزعج الأب جدًا بل وأخيها الأكبر، الذي كان يسمع لِما يقولُ نادر وهبَّ قائلًا: كل ما تحتاج إليه يا شيخ نحضره لك بإذن الله فقط دُلَّنا على مكانِ هذه الأشياءِ فطوَّح نظرَه إلى سمير وقال هذا يخبركم بما عليكم فعله، اقترب سمير وقال للأب المكلومِ- بعد أن تناول منه الورقةَ وتظَّاهر بقراءتها - هذا البخور سوف يُتعبكُ جدًا لتستطيعَ إحضاره فهو لا يُباعُ إلا عند عطارٍ واحدٍ خارج المحافظةِ،



وإذا ذهبتَ له بنفسك لن يعطيك، فقال الأب والاخ في صوتٍ واحدٍ: وما العمل، فقال نادر: ولماذا لا تكسبُ أنتَ فيهم ثوابًا وتُسافرُ تحضره؟ فالرجل يعرفُك وسوف يبيعُك إيّاه ثُمّ عدَّل نبرته كالمشفقِ البنتُ حالتُها صعبةٌ جدًا أتمنى لو جعلت لها من وقتك نصيبًا وسافرت واحضرت المطلوبَ أظنه سيكون من أفضلِ أعمالك الصالحةِ، ثُمّ استدارَ تاركًا سمير لتوسلاتِ الأب والأخ وهو يتعللُ بعدم وجود وقت وأنه لابد أن يفعل كذا وكذا ولكن في نهايةِ الأمرِ استسلم لرغبتهم وأخذ مبلغَ خمسة آلاف جنيهٍ ودسَّها في جيبه متمنيًا الشفاءَ لياسمين وطالبًا الدعاء منهم.

كان مما يُحيِّرُ سمير في هذه الجلسة كيف عرفَ نادر حقيقةَ أمرها؟ وهو ما كشفه له بقوله لا تعجبُ فهذه الفتاة كانت أغبى من أن تقنعني، فصارت تُسايرُني إلى أقصى حدٍ بهدف إدخالِ زعمها عليَّ، وهذا ما جعلني أنصبُ لها فخًا ووقعت هي فيه، ولكن تعلمُ أكثرَ ما خشيته ألا تعترفُ فكانت ستجعلني في موقفٍ لا أحبه، فأنت تعلم لابد أن تَحُلَّ بركتي على أيِّ مكانٍ تطأه قدمي، وبعد أن أخذ منه المال أعادَ إليه منه مبلغَ ألف جنيهٍ وقال هذا أجرك ولكن دورَك لم ينتهِ؛ أريدك أن تقوم صباحًا وتأخذ جولة في إحدى الأماكنِ الخاليةِ كالمدنِ الجديدةِ، وتظلُّ تنظرُ إلى الأرضِ وتجمعُ لنّا كلَّ أنواعِ الحصى التي تجدها مختلفةً سواء في اللونِ أو الشكلِ أو غيرِ ذلك، وسأفعل مثلُك ولكن في مكانٍ أخر بعد أن أشتري بعضَ البخورِ والزجاجاتِ الفارغةِ فأنا أنوي أن أطوِّرَ عملنا وأوسعه، بل وابتكر فيه حتى يتسنَّى لنا اختصارَ العمرِ فما حققه الدجالون في سنواتٍ أريد أن أحصله في شهورٍ، ثم قال:



يا سمير حدثني عمّا يدور في عقلك الآن وأنتَ تُحصي هذه الأموالَ، قال أشعرُ بالفراغِ وأشعرُ أن نهايتنا ستكون سوداءَ أنا حقًا مشفقٌ جدًا على هذا الرجلِ الذي اقتطع من قوتِه هذا المبلغ فأعطاه لنا هل رأيت كيف كان يُلح عليَّ؟ وهل رأيت فرحته عندما قبلت النصبَ عليه وقبض أمواله؟! فقال نادر شفقتك عليه هي سرٌ من أسرارِ عدم لياقتك لأن تكون على رأسِ هذا العمل، فستظل صبيًا يا صديقي... فالتمهيدُ لقبضِ الأموالِ بغيرِ حقٍ يحتاجُ إلى نوعٍ معينٍ من القلوبِ أحسبُ أن قلبَك يُخالِفُها.... يحتاجُ إلى قلوبٍ لا تعرفُ هذه المشاعرَ الإنسانيةَ التي لا طائل من ورائها إلا أن تنضمَّ لهذا القطيعِ الذي يأتي بقوته وقوتِ أولاده ليضعه بين أيدينا... أنت بذرة مغفل إن تُركتَ ستُثمرُ ذاتَ يومٍ، ولكن تعلم أنا كلمّا اجتاحتني إحدى هذه المشاعر التافهة أو استبدت بي أنظرُ إليها في استياءٍ وأقول لها ألم أرمِ بكِ في مزبلةِ النسيانِ منذُ سنين؟ ماذا جاء بكِ؟ ومَن أخرجك منها؟! هكذا لابد أن تتعاملَ مع هذه المشاعرَ التي تُخالجُ نفسَك الآن، فالطريقُ الذي نمضي فيه موحشٌ... وعلى قدر ضراوتنا سيُكتبُ لنا البقاءُ فيه، وانظر كم من رجلٍ ادّعى ما أدّعيه واستطعت أن أقذفُ به تمامًا إلى خارجِ حلبةِ الصراعِ! لا يصحُ أن تحتفظَ بهذا العطفِ وتُسيطرُ عليه بل لابد أن تتخلصَ منه وإلى الأبدِ.

صارت عادةً أسبوعيةً عند نادر أن يذهبَ إلى العطارين ويتأملُ ما عندهم لا من بخورٍ فقط بل أي شيءٍ... أي شيءٍ يستنبطُ منه إمكانية تطويعه في عمله حتى امتدَّ إلى مطالعةِ الأعشابِ الطبيةِ، بل واقتني الكثيرَ منها كحشيشةِ الملاكِ وشوكِ



الحمارِ ورجلِ الأسدِ والسماقِ وإكليل الجبلِ وورقِ الغارِ، وكذلك اشترى أنواعًا عدةً من البُذورِ غريبةِ الشكلِ أو اللونِ بل أنه انتهزَ فرصةَ خلو المنزلِ من أهله؛ واشترى قطةً سوداءَ اللونِ وقامَ بذبحها وسلّخَ فروتها ورَاح يُقسّمها إلى أجزاءٍ، فخلَّعَ أسنانَها وكذا العينَ وبعضَ العظمِ والأرجلِ، وصعدَ بها إلى سطحِ المنزلِ ونشرها في مواجهةِ الشمسِ بعد أن غمرَها بالملحِ الخشنِ، وتركها فترةً طويلةً حتى تخشّبت وصارت إحدى أدواته المستعملةِ في العلاجِ!

لم يكُن يتركُ أي شيءٍ غريبٍ في شكله أو ملمسه أو لونه يمرّ عليه إلا ويقتنيه، حتى كراتِ البلي الزجاجيةِ والصينيةِ احتفظ بها في دولابه الذي حرَّج على أهله لَمسِه أو محاولةَ ترتيبه وتنظيفه، ونمَت عنده ملكةُ تزييفِ الأشياءِ حتى وصلت إلى أوجِّها حين أقنع كثيرًا من الناسِ أنه يحبسُ جنيًّا مُعاندًا في خاتمه، بل ويدعوهم للنظرِ في فصِّه وكثيرًا منهم رأى الجنَ حقيقةً وهو يتوسَّلُ الخروجَ أو وهو نائمٌ أو في وضعٍ مزْرٍ داخلَ فصِّ خاتمه!

ومع كثرةِ الحالاتِ التي تعاملَ معها ونجحَ في شفائها تمامًا تكونت عنده قناعةٌ بعدمِ وجودِ الجنِ من الأساسِ وأنّه حتى وإن كان موجودًا فهو لا يتعرضُ للجسدِ بالاقتحامِ أو الإقامةِ فيه، فما من حالةٍ عالجها إلا وكان الوهمُ دوائها الشافي، بل إن منهم امتثلَ للشفاءِ خوفًا من بطشِ الشيخِ الذي كان يتوعَّدَهم في حالةِ استمرارهم بأمراضهم أن يزيدَ عليهم فيُسكنُ قبائلَ الجنِ أجسادَهم وتحت سطوته الروحية كان يستلمُ الواحدُ منهم ويتماثلُ للشفاءِ رغم أنفه، كلُ ذلك زادَ من قناعتِه بخرافةِ الجنِ



وأنه لا يعدو أن يكونَ أسطورةً نسجها أحدُ كُتّابِ الرواياتِ، حتى استدعاه رجلٌ يعمل فراشًا في مدرسةٍ ثانويةٍ ليعالجَ ابنته التي يهربُ منها العرسانُ، كانت حالةٌ فريدة لم يرها أو يسمعْ بها من قبل، فقد أخبروه أن هذه الفتاةَ لا تُعاني من أيِّ شيءٍ وتعيشُ بشكلٍ طبيعيٍ جدًا، ولكن إذا ما تقدَّم أحدُهم لِخطبتها وفي أثناءِ جلسةِ الاتفاقِ تتزين هذه الفتاة دون تدخل منها زينة كاملة على هيئةِ راقصةٍ ممّا يُثيرُ فزعَ الناسِ الذين نظروها من دقائق على غيرِ هذه الهيئةِ، ذهبَ نادر وهو يعلمُ أن في الأمرِ مكرًا وعليه أن يكشفه ومن ثم يبدأ في البناءِ عليه، فأخذ صبيَّه وعدَته وتوجَّه إليهم في جمعٍ من المعالجين كان حمدي واحدًا منهم، كان غرضُه من هذا الجمعِ هو توطيد سطوتِه بينهم، وإذاعة اسمه أكثرَ فأكثر، فالرجلُ عندما حضر إلى نادر كانت المقابلةِ على مقهى العمالِ ووسط حضور حمدي وآخرين، وقد أثّارَ الرجلُ بكلماتِه دهشتهم جميعًا وهو ما قرأه نادر من اللحظةِ الأولى، وبعلمه المُسبق أن الأمرَ لا يعدوا كونه حيلةً من الفتاةِ؛ رأى أن يصحبهم في رحلةِ علاجها والتي وعدَ ألا تتخطى جلسةً واحدةً، كان اتفقَ قبلها مع صبيه على أن يستجمعَ كلَّ تركيزه فلا تغيبُ الفتاةَ عن عينه لحظةً واحدةً، حتى أنه قال له: إيَّاك أن أضبطك ترمشُ فربَّما انتهزت الفتاةُ هذه الثواني وغافلتنا بِما نكره.... فالحذر الحذر... هذه فتاةٌ أُرسِلَت لنّا لنُثبتَ للناسِ جميعًا أننّا أفضلُ مَن عملَ في هذه الصنعةِ، ويُمكننا بعدها إن أردنا أن نؤسس طريقةً وقد أُسميها الطريقة «النادرية الخلوتية» فاحذر يا سمير أن تخدعني الفتاةُ كما خدعت أهلها، وانطلقلوا جميعًا إلى مكانِ الفتاةِ في إحدى الأزقةِ الشعبيةِ، كان منزلًا



متواضعًا من حُجرتين وصالة وقليلٍ من الأثاث القديمِ المتهالكِ، جلسَ المعالجون والأب في الصالةِ الصغيرةِ التي لم تسعهم جميعًا فخرجَ بعض منهم إلى السُّلمِ ودخلَ نادر وسمير مع الفتاةِ وأمها إلى إحدى غرفِ المنزلِ.

جلست إسراء على السريرِ بعد أن أمرها نادر بالاستلقاء الكاملِ وغطّاها وأدخل يدها داخلَ الغطاءِ الذي رفعه فصارَ يلُفّها فيه كأنه يُكفنها داخله، كانت بنتُ الخامسةِ والعشرين ربيعًا مبتسمةً ومبتهجةً لِما سيأتي فخلاصُها قد حانَ وقته، كانت فتاةٌ متوسطةُ الطويلِ نحيفةُ الجسدِ وخُصلات شعرها البني التي تنحدرُ من خلفِ الحجابِ كانت تنمُّ عن شعرٍ حريري واتساع الهالات السوداءِ تحت عيونها كان يُخبرُ بمعاناتها، جذّب نادر كرسيًا وجلسَ في مواجهتها والأم بجواره وانتصب سمير في موقعٍ استراتيجي في زاويةِ الغرفةِ وثبّتَ عينيه على الفتاةِ المقيدةِ بالغطاءِ لا تُبارحُها، أمسك نادر بزجاجةٍ من الماءِ وأخذَ يُهمهمُ عليها ويُتمتمُ ثُمّ رفعَ صوتَه بالقرآنِ داخلَ الزجاجةِ حتى انتهى من قرأته فبدأ يصبها على وجه الفتاةِ وهو يمسحُ بمنديلٍ ورقيٍّ وجهها بعنايةٍ، ثُمّ تناولَ منديلًا أخر وبدأ يُنشِّفُ وجهها تمامًا من الماءِ ثُمَّ أمسَك بالمصحفِ ورَاح يقرأ عليها من سورٍ عدةٍ متفرقةٍ حتى أمضى ساعةً كاملةً في القراءةِ ولم يحدثُ شيءٌ إلا شعور الفتاةِ بمغصٍ وصداعٍ، أكملَ قراءته من سورةِ مريم حتى وصلَ إلى قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ



نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ [مريم: ٦٨-٧٥] فسكت وطلبَ ماءً ليشربَ وأرادَ أن يأخذَ هُدنةً يستريحُ فيها، رفعَ زجاجةَ الماءِ إلى فمه يحاولُ أن يُهدِّئَ من روعِ حنجرته التي أضناها كثرةُ القراءة، ولكن أوقّفه ابتسامة أمها وهي تُشيرُ بعينيها ناحيةَ الفتاةِ، حوَّل نادر نظرَه مباشرةً إلى سمير الذي كان يقفُ مشدوهًا مصوبًا كلتا عينيه على الفتاة، نظرَ إليها نادر فوجدها وقد رسمت شفاهها بــ (Lip Liner) وكذا مُلمع الشفاة الــ (Lip Gloss) واختفت الهالاتُ السوداءُ تحتَ عيونها بقليلٍ من الــ (concealer) الذي وُضِعَ بعنايةٍ وغطى الــ (foundation) - كريم الأساسِ - كاملَ وجهها حتى صارت كالمرأةِ البلاستيكية وآثار الـــ (Eyeliner)على عيونها باللونِ الأخضرِ الزاهي والذهبي والأزرقِ والـــ (Blusher) على خدودها التي لُوِّنَت بالأحمرِ الفاقعِ والـــ (Glitter) اللامعِ، فكانت كفتاةِ ليلٍ خارجةٌ للتوِّ من إحدى الكباريهاتِ، تزينت الفتاةُ بالكاملِ على هيئةِ راقصةٍ لعوبٍ، كانت آثار الصدمةِ ستظهرُ على وجه نادر لولا أنّه أدارَ ظهره للأم وقام يتفحَّصُ وجه الفتاةِ، أمسَكَ منديلًا ورقيًا ورَاح يمسحُ عن وجهها المكياج وظل هكذا يُلطخُ منديلًا وراء الأخرِ بآثارِ المكياج من على وجهها ولكن في النهايةِ وبعد أن استعملَ خمسةَ مناديلٍ ظلت الفتاة على هيئتها



كراقصةٍ مكفنةٍ على سريرٍ، حاول أن يقرأ من عيونِ سمير أي شيءٍ ولكن كانت الإجابةُ تأتيه بالسلبِ، فسمير لم تُفارقْ الفتاةُ عينهُ وما برح يُراقبها وما احتاج الأمرُ إلا إلى طرفةِ عينٍ حتى تتهيَّأ الفتاةُ على هذه الحالة، ظلَّ نادر واقفًا وأمسَك برأسِ الفتاةِ وعاودَ القراءةَ من جديدٍ، فبدأت في التشنُجِ وبدأ يرتسمُ على وجهها صورًا لأشخاصٍ يرتدون زيًّا أسودَ وطاقيةً سوداء وشواربهم تحتلُّ مساحةً واسعةً من الوجه، كأن الأمرُ برمته مُفزعًا فهذه المرة نادر يرى بعينه أكثرَ من ثلاثِ رجالٍ يتناوبون بصورتهم على وجه الفتاةِ، بل أن عيونها صارت بيضاءَ تمامًا واختفت منها الحدقةُ فوَضَعَ نادر يده على عينها يغلقها وهو يقرأ، لأوّلِ مرةٍ يشعرُ بالخوفِ والقلقِ... خوف من أن تهجمَ عليه الفتاةُ فتسلَّبه كلَّ هيبته في حضورِ هؤلاء الذين استدعاهم ليشاهدوا مجدَه، رأى أن يحاولَ إنهاءَ الجلسةِ ولكن الفتاة كانت مُتهيجةً بصورةٍ يصعبُ عليه أن يتركها فربَّما هاجمته فقد كان يُقيدها وصديقه بيدهم إلى السرير، ولما شعرَ بزيادةِ مقاومةِ الفتاةِ رَاح يتلفتُ حوله بحثًا عن عونٍ من أحدِ الحاضرين ليُقيدها، ولكنَّه وجدَّ أبيها واقفًا على بابِ الغرفةِ يبكي وفي يده سيجارةً منتفخةً، فأوقف نادر قراءته وقد وجد طوقَ النجاةِ فقال للأب: تعال تقدّم ما هذا الذي في يدك؟ فرد الأب بأسى: إنها سيجارة - بانجو - علَّها تنسيني ما حلَّ بابنتي الوحيدةِ فانفعل نادر وغادر الغرفة التي ملأها دخانُ بخوره وخرج إلى الصالةِ غضبانًا، وما أن رأوه حتى قاموا جميعًا يسألونه ما الأمر يا شيخ، قال: سامح الله من أحضرنا إلى هنا الرجلُ يقفُ طوال الجلسةِ وهو يُدخِّنُ البانجو، علَّت وجوه الجميع



علامات الاشمئزاز، حتى مَن كان في الخارجِ ولم يسمع ارتسمت على وجهه نفسَ الملامحِ المشمئزةِ كأنَّهم أوركسترا الجوق السنفوني!

هربَ نادر ومن كانوا معه ولكن هروبه كان بعد أن انهار داخله اعتقاده السابق الجازم بعدم وجود الجانِ أو تلبُّسهم بالجسدِ، فرأى أنه بحاجةٍ لأن يُعيدَ حساباته ويرجع إلى الكتبِ التي أهملها من فترةٍ بعدما شعرَ أن عملَ المعالجِ ما هو إلا مجرد وقوف على مسرحٍ يُقدمُ كلُ ممثلٍ ما عنده من مهاراتٍ فكريةٍ أو غنائيةٍ أو حتى بهلوانيةٍ والجمهور يرى ويقبلُ كلَّ شيءٍ ولا يوجدُ لجنة تعتلى منصةً يُنتظرُ منها تقييمه، بل الأمر يتسعُ للجميعِ فلماذا إذن العلم أو الكتب أو المراجع؟ ولكن هذه الفكرة قد انهارت أمام أيشادو إسراء والذي بقى مع باقي عائلة المكياج على المنديل في دولاب أدواته، ولم يكن هذا الموقف ليُثنيه عن عزمه في تكملةِ مشواره وطريقه، بل كان دافعًا لمعاودةِ تفحص الكتبِ والمراجعِ، وبعد فترةٍ عكفَ فيها على البحثِ والقراءةِ أصبحَ في حيرةٍ من أمره فلم يَعُد يعرفُ كيف يُفرِّقُ بين ما يُطرح على أنه علاج روحاني وبين ما يُطرحُ على أنه سحر، فالمسافةُ بين الاثنينِ كانت مُتقاربةً إلى حدٍ بعيدٍ أو تكاد معدومة، الهالة المحيطة للعمل... أسماء البخور... الأعداد والأيام وغيرها الكثير من أوجه التشابه، فكما أن للساحرِ رياضات وتدريبات، فكذلك لأصحابِ الطريقةِ رياضات واجتهادات وكما أن للساحرِ تعاويذ وطلسمات وتمتمات، فكذلك لأصحاب الطريقةِ حروف وأوفاق وأوراد كل واحد منهما ينال بهذه الأشياء خرقَ العادةِ الذي يريده، حتى كتاب «منبع أصول الحكمةِ» الذي



غافلَ شيخَه طاهر وسرقه منه في إحدى الزياراتِ كان مشهورًا أنه كتابٌ روحاني ومؤلفه شيخٌ كبيرٌ له باعٌ في العلمِ والزهدِ، وهو عند أصحابِ الطريقةِ شيخٌ فاضلٌ وكتابه إمامٌ عندهم في بابه، ولكن بعد تعلم نادرعلمَ الحرفِ والتكسيرِ والأوفاقِ وحسابِ الجُملِ واضمارات الأحرفِ، وتعلَّم التفرقةَ بين الكواكبِ وأيامها وبين منازلها وسعيدها ونحسها تأكَّدَ أن العلمَ اللادوني والعلم الروحاني بل وكتاب منبع أصول الحكمةِ ما هو إلا سحر محض، فقد وجد في الكتابِ وغيره من مؤلفاتِ نفس الشيخ طرقًا لعملِ سحرِ الجلبِ والتفرقةِ بين الأزواج، بل والجنون ولكن ما كان يُثيرُ انتباهه أنه بعد أن يذكرَ هذا الدَّجَّال في كتابه طريقة «الجلب والتفرقه والجنون» يقول: اتقِ الله ولا تفعله إلا لمستحقه! كان كثيرًا ما يتأملُ هذه العبارة، فيتساءل يا ترُى من هذا الذي يستحقُ أن يسلُبَ منه عقلَه أو يُجلبُ فيصير كالخرقةِ في يد جالبه أو أن يُفرِّقَ بينه وبين زوجه؟ لم يجد تفسيرًا لذلك إلا أن بين يديه كتابٍ سحري من الطراز الأول، وهذا الأمر كان يطرحُ في عقله أسئلةً عديدةً ومتفرقةً، فهل أصحاب الطريقة هؤلاء ما هم إلا حفنة من السحرةِ سكنوا المساجدَ؟ وجود جنٍّ وسحرٍ يعنى بلا شكٍ وجود خالق، حتى أنه صار يسألُ نفسَه هل أنا حقًا مسلمٌ أم كافرٌ... هل أنا مُلحدٌ أم مجرد دجالٍ يسعى لكسبِ الشهرةِ والمالِ؟ وبدأ لأولِ مرةٍ يسألُ نفسَه عن النهايةِ وهل عليه أن يوَلِّيها رعايةً خاصةً؟ قطع أسئلته بتجربةٍ وجدها في إحدى كتبِ الشيخ نفسه لتحضيرِ حكيمٍ يوناني من الجن اسمه « طهشان » يبلغُ من العمرِ أيامَ كاتبِ الكتابِ ألفَ عامٍ أو يزيدُ، وعند احضاره يجلسُ معك مدةً معينةً



من الزمنِ تسأله فيجيبُك، عزم نادر على جلبِ هذا الحكيمَ ليسأله ويحاوره فيصلُ إلى بعضِ مُراده، أحضر شمعَ العسلِ كما كان مكتوبًا وبدأ في صُنعِ شمعةً بمواصفاتٍ خاصةٍ، ثُمَّ جلسَ في غرفته كالُمعتادِ ووضعَ أمامه الشمعة بعد أن أشعلها ورَاح يُرددُ عزيمته: يا خدام هذه الدعوة الروحانيين...أقسمت عليكم بهذه الدعوةِ والأسماءِ والسورِ بحقِ أرقوش، كلهوش، بططهوش، كمطهلوش، بهوش، قانوش، أقسمت عليكم يا روقيائيل الملكُ الموكلُ بفلكِ الشمس أن تحضروا طهشان طوعًا أو كرهًا إلى مجلسي هذا، ورَاح يُعيدُ القسمَ كمَا كانت تُشيرُ التعليمات، فُتحَت نافذةُ غرفته بشدةٍ حتى كاد زجاجها أن يكسرَ، فاستبشر نادر بقربِ قدومِ الحكيم، ثُمّ بدأ لهيبُ الشمعةِ يزدادُ طولًا وعرضًا ثُمَّ بدأ نادر يفقدُ كثيرًا من وعيه فكأنه يرى الدنيا من خلفِ زجاجٍ وماءٍ، ظلَّ هكذا فترةً ولكن لم يحضر أحد!

أنهى جِلسته وجمع أدواتَه ورمى بها في الدولاب واستلقى على سريره؛ يُقلِّبُ في رأسه كثيرًا من الأحداثِ ويحاولُ أن يفُكَّ تشابكها، حقًا فقدَ المالِ بريقه في عينيه بعد أن تحصَّلَ على الكثيرِ منه، استطاع أن يجمعَ في فترةٍ وجيزةٍ مبلغًا من المالِ لم يكن ليجمعه لو عمل لمدةِ عشرِ سنواتٍ، كلُّ الأشياءِ فَقَدَت مُتعتَها ورونقها وصار الضبابُ يحيطُ بالأشياءِ، وبدأت نفسُه تثورُ على حياته التي لا يعلمُ لِما يحياها، فلا المال أسعده ولا الشهرة ونظرة الناس إليه جلبت له الطُمأنينةَ النفسيةَ، لم يكن يُصلِّي ولا يفعلُ ما يدلُّ على إسلامه، وكذلك لم يكن يعتقدُ بأن الكونَ جاءَ وحدَه بغيرِ خالقٍ، كانت حياتُه كقصصٍ متجاورةٍ وقطعٍ من نوتةٍ موسيقيةٍ غير مؤتلفةٍ، فخواءُ



صدره من الراحةِ والطمأنية بل وسقوط نظرةِ الاحترامِ لأىّ شيءٍ مهمٍ علا أو كبُرَ مكانه، كان يقولُ لنفسه أنا الذي يرقى الطاعنون في السن بعد أن يقبِّلوا يدي في تحيةِ الاستقبال، وأنا الذي يصنعُ الأحجبةَ لبعضِ المسئولين وأهلِ الفنِ، وأنا الذي يأتمرُ كثيرًا من أهلِ الطريقة بأمري، وفي الأخير أنا الذي قتل القطةَ ونشر أجزاءها في حرِ الشمسِ، وأنا الذي عبأ الماءَ من الصنبورِ وباعه ماءً مباركًا، وأنا الذي أصبغ على الأشياءِ قدسيةً ليست لها، وأنا الذي غير أسماءَ الأعشابِ الطبيةِ لأسماءٍ أخرى لم تعرفها البشرية ولم ينزل الله بها من سُلطانٍ، وأنا الذي ترك دراسته من أعوامٍ فلم يحصلْ على شهادته الجامعية ليجلسَ بعدها على رأسِ حاملي الشهادات فيُشفي هذه الرؤوس من بعض ما فيها، أنا الذي أضاف للعلمِ الروحاني كما أضاف واخترع من جاء قبلي، ورُغم كل ذلك أنا لا شيء... أنا لا شيء لأنني سمحتُ لطاهرٍ أن يُطفئ صراعَ الخيرِ والشرِّ داخلي.... واذا ما انطفأ الصراعُ بين الخيرِ والشرِّ وحدَثَ تصالحٌ بينهما كانت الكارثةُ، تتحوَّلُ الروحُ لشيءٍ لا يُشبهُ الأرواح، لذلك لابد أن ترعى صراعَ الخيرِ والشرِ داخلك لابد ألا تُصالحَ بينهم حتى لا تكون أنت فريسة لهذا التصالح، لابد أن تقضي على أي تعايش بينهما داخلَ نفسك بل اترك الشرَ يُحاولُ أن يستحوذَ عليك، ودع الخيرَ يهبَّ كما يهبُّ في ثورته فيحاولُ القضاءَ على الشرِ وينتزعُ جذورَه، فهي معركةٌ تضمنُ لك استمرارَ حياتِك، بل وتضمنُ لك أنَّك قد تكونُ في يومٍ من الأيامِ رجلٌ صالحٌ، جميلٌ هذا الشعورُ بالتناقضِ الذي ينشأ داخلك حينما تُقبلُ على طاعةٍ وأنتَ رجلٌ عُرِفَ بالمعصيةِ، نعم... رائعةٌ هي تلك المعركةُ المحتدمةُ



داخلك التي تجعلُ نفسَك تَسبُّك بأقذعِ الألفاظِ فتقولُ لك: كيف تكونُ رجلَ البرِّ وأنت رجلٌ فاسقٌ؟! كيف تدّعي الشرفَ وأنت تسرقُ في الخفاءِ؟! أما إذا استكانت روحَك لمصالحةٍ يتعايشُ فيها الخيرُ والشرُّ داخلَك فأنت على شفا الهلاكِ، فستكون رجلا يستوعبُ كلَّ المتناقضاتِ دونَ الشعورِ بالغرابةِ، فستكونُ حينَها إبليس النهارِ قديسَ الليلِ، وحينها أيضًا لن تكونَ قديسًا ولن تكونَ إبليسًا، ولكن ستكونُ مجردَ تافهٍ أوقعه التصالحُ بين الخِير والشرِّ في نفسه إلى حفرةٍ في أسفلِ دركاتِ الجحيمِ، اعمل على تأصيلِ روحِ المعركةِ، اعمل على أن يتناثرَ الشررُ بين هذا الإبليس الذي يسكنك وذلك الشيخ البارِ، دعهم يتحاورون ويتجادلون، وإيّاك أن تُحاولَ أن تُقرِّبَ وجهات النظرِ بينهم، فيسمحُ الشيخُ لك بدخولِ الحاناتِ أملًا في توبتك بعد ذلك، أو أن يهدأ إبليس فلا يخشى عليك الضيعةَ حين تكونُ بين صفوفِ المصلين لأنك على موعدٍ بالليلِ للزنا، إيَّاك أن تجعلَ صلحًا مثل ذلك يتمُ داخلك، بل اعمل على تطايرِ الشررِ وإثخانِ الجراحِ ونشوبِ المعركةِ، ولكن كيف لي أن أُعيدَ حربًا كهذه داخلي بعد أن استكانَ الخيرُ للشرِّ وصاحبه؟ أظنُّ ينقُصني أن أنظرَ إلى الأمورِ بشكلٍ أوضحٍ، هل أنا مسلمٌ أم لا؟ هل أنا أعتقدُ في وجودِ الله أم لا؟ وإن كنت أعتقدُ فلماذا هذه الجرأة والخفة في حِقِّ الله؟

ظلَّ نادر على هذه التساؤلاتِ مما أحوجه للذهابِ إلى إيهاب في اليومِ التالي، فإيهاب بسعةِ صدره ومرونته كان يجعلُ للحديثِ متعةً يفتقدُها نادر في غيره، قال له نادر: تدري ما سر هؤلاء المشايخ الذين كانوا يزرعون بيتَ والدك ذهابًا وإيابًا على



غرفةِ أختك المكتئبةِ؟ قال إيهاب بأسى: نعم أعلمُ أنهم فرسانُ مشايخِ المسلمين، سدنةُ الدينِ ورهبانه، قال نادر: لا بل هم صورٌ لمسوخٍ مشوهةٍ يجلس أمامَك الآن واحدٌ منها، هل تراني مسلمًا يا إيهاب؟ قال: أنت شهدت على نفسك بذلك، أنا لا أحكمُ على أحدٍ... أنتَ اخترتَ أن تكونَ مسلمًا وهذا شأنك، قال نادر: لا، فالحكم على الشيءِ فرعٌ عن تصوُّرِه، وتصوُّرك عن الإسلامِ تصورٌ خاطئ لأنك تظنُ مثلًا أني واحدٌ منهم وأني أمثله، وكذا هولاء المسوخ الذين تولوا علاجَ أختك، سأقول لك أمرًا كثيرًا ما داريته عنك حتى لا تنفرُ مني، أنا الآن يا إيهاب لستُ كالسابقِ لست أنا نادرُ الذي قابلك من خمسِ سنواتٍ، أنا اليومَ شيخٌ له اسمه وروحانى يخشَى كثيرٌ من الناسِ غضبتَه فيمسخهم قرودًا وخنازيرًا، أُعالج مئاتً من الحالاتِ والمرضى ويمكن أن أصحّبك إلى إحدى الجلساتِ وقتَما شئت؛ لترى بنفسِك الحفاوةَ التي يستقبلنى بها هؤلاء المخدوعون، أنا اليومَ لستُ فقيرًا كذي قبل، ولستُ ذلك الشابَ الذي قد يُعيرُك اهتمامًا إذا ما رآك واقفًا تُوزعُ أموالًا على بعضِ الحمقى من حولك، أنا الآن نصَّابٌ محترفٌ يا إيهاب لا أصلحُ لأن تجعلني ومن هم على شاكلتي مرآةً ترى منها الدينَ وتحكمُ عليه، فأنا مثلُك تمامًا لا أدري عن هذا الدينِ شيئًا بل ولا أفعلُ شيئًا ممَّا يفرضه فكيف يُمكنُك أن تحكمَ علي الدينِ من خلالي؟ قال إيهابُ: ومَن قال: إنِّى أحكمُ على الدينِ من خلالك أنا رجلٌ جربت الدينَ بنفسي وما وجدته إلا بضع قيودٍ وضعَها رجلٌ وصارَ الناسُ عليها بغيرِ تروٍّ أو إمعانِ نظر، قال نادر: ولكن هل ترى أن تجريبَ الدينِ يُمكنُ أن يكونَ بغيرِ قائدٍ؟



ولِمَ أرسلَ اللهُ الرسلَ كان يمكنُ أن يلقي بكتابه إلى الناسِ من غيرِ رجلٍ يُعلمَهم؟ نظر إليه إيهاب متفحصًا وقال: ولكن الأمرَ بالنسبةِ لي مختلفٌ فأنا لا أؤمن بهذا الإله أصلًا، قال نادر: ولكني لا أصدقُك، فأنا موقفي حرجٌ أكثر منك فأنا رجلٌ ذو هيبةٍ في نفوسِ الناسِ بل أني أعالجهم بالوهمِ والدجلِ، ورغم ذلك أشعرُ بالإله ساخطًا عليَّ... أشعرُ أنه ينظرُ إليَّ من فوقِ سماواته، ويمهلُنى لوقتٍ معينٍ حتى يأخذني، أنا لا أفعلُ شيئًا يجعلني أقولُ بأنني من المسلمين ولكن أبدًا لم أستطع أن أتخلصَ من هذه المشاعرِ التي توجِّهُني لوجودِ إله، في يومٍ دعاني رجلٌ لعلاجِ امرأة من كندا تُدعى مارجريت، استقبلتني هذه المرأةُ في فيلا في منطقةِ المعادي كانت ترتدي ثيابًا بيضاءَ وتجلس كالأميرات، ولَمَّا دخلتُ عليها وجدتُّها تنظرُ إليَّ بإجلالٍ واحترامٍ، وطلبت أن اقتربَ منها وبينما جلست أنا ظلّت هي واقفةً تتأملُ فيَّ ثُمّ قالت بِلُغتها الإنجليزية ما ترجمه الرجل « ما اسم هذا الولي الصالح فأنا أرى وكأنَّ هالةً من الضوء الأبيضِ الباهرِ تحيطه» ترى أي هالةٍ هذه التي رأتها تَلُفني هذه المرأة العجوز؟! قال إيهاب: رُبَّما انعكاس لون ملابسها عليك، قال نادر: هذه المرأة تحصّلت منها على عشرةِ آلاف من الجنيهاتِ على مدارِ يومين حتى أرجعَ لها حبيبَها الشاب الذي هجرها من فترةٍ وجاءت إلى مصرِ تبحثُ عنه في أبخرةِ الدجالين وأحجبتهم، كنتُ أبيعُ لها رؤيته في الحلمِ بألفين من الجنيهات!

قال إيهاب: وكيف استطعت أن تجعله يزورها في أحلامها بينما هي نائمة؟! فرد نادر باقتضاب: ... لا أعلم، أنا لم آتِ إليك اليومَ لأهديك إلى الإيمانِ ولكني جئتُ



أُكلم نصفي الثاني، نصفي الواضح... نصفي الكافر، أنت على كفرك هذا غير مستريحٍ وأنا أشعرُ بك، بل إن زياراتي لك خلال الخمسةِ أعوامٍ كانت تدلّني دلالةً أكيدةً على أنك تهرب من شيءٍ وأنا أظن أنه الإله، رغم أني أعرفك منذُ هذه السنواتِ إلا أنك لم تفوت زيارةً لي معك لم تتكلم فيها عن الإله وعن عدمِ وجوده، هل لو لم يكن موجودًا وتدّلك عليه مشاعرك بقوةٍ أكنت جعلته محورَ كلامك في كلِّ زيارةٍ لي معك؟ قال إيهاب: تُرهَات... خُزعبلات عقلك هي التي توحى لك بذلك، وعلى كلٍ أين إجابة أسئلتي التي طرحتها عليك منذُ سنواتٍ؟ هل وجدت من يُجيبُ عليها؟ قال نادر: لا... ربّما مات من هو أهلٌ لذلك، قال إيهاب: وأين ما تعهدُ به إلهك من حفظٍ للدين؟! قال نادر: لا أعرف وكما قلتُ لك أنا لم آتِ إليك لأهديك إلى الإيمان ولكن لأحدث نفسي فيك، وكم تُشبه أهلَ الطريقةِ يا إيهاب كأنك الوجه الأخر لهم، هم يتشوقون لأيِّ كذبةٍ مثلك تمامًا، وكلاكما ينتظر أيَّ كذبةٍ ليؤكدَ ما يعتقد، قل لي يا إيهاب بما إنك مؤمنٌ بقانونِ الانتخابِ، ما الفرق بيننا وبين الحيوانات؟ بل وما الفرق بيننا وبين الطفيلياتِ المعويةِ والفيروساتِ وديدانِ الأرض؟ أليس هذا هو الأصل الذي انتُخِبنّا منه؟ إذن لا فرق بيننا وبينها إلا ملايين السنين؟! بالانتخابِ الطبيعي يا إيهاب فإن مكانك الصحيحَ هو الموت، فأنت رجلٌ عاجزٌ قعيدٌ لا بد أن تؤكلَ، لا يسعك مجتمعُ الملحدين أبدًا، ثم أنك تنعتُ أخلاقَ الإسلام بكلِ الشرِّ فهل تأملت أن الأخلاقَ لا وجود لها إلا في وجودِ إله؟ قاطعه إيهاب قائلًا: لا تخرِّفُ الأخلاق موجودة قبل وجودِ الأديان وستظل موجودةً بعد



انتهاء الأديان، قال نادر: لا... الأخلاقُ ثغرةٌ في النظامِ الطبيعي لأنها تحدٍّ للطبيعةِ وتشاكسُ معها... الأخلاقُ تعني في صورتها النهائيةِ الرائقةِ الحيـاةَ ضد الطبيعةِ.. ضد المادةِ.. ضد العقلِ.. ضد المصلحةِ الشخصيةِ فالأخلاقُ غيرُ مربحةٌ عمليًا، فماذا أستفيد إن قلت الصدقَ؟ سوف أخسرُ كلَّ ما بنيته بل سأنعم بفضيحةٍ تلاحقني، وأنقلبُ من روحاني مُهابٍ إلى مجردِ دجَّالٍ كذَّبٍ على الناسِ واستباح أموالهم، الأخلاقُ تمثلُ أعظم انتكاسةً في مفهومِ الانتخاب الطبيعي والبقاء للأنسب، قرأتُ مرةً كلامَ لفولتير يقول: « لو لم يكن هناك إله لخانتني زوجتي وسرقني خادمي» فحتى أخوانَك الملاحدة يؤمنون أن الأخلاق لا وجود لها إلا بوجودِ إله، قال إيهاب أنا سعيدٌ جدًا لهذه المرحلة التي تمرُّ بها فهي المرحلةُ التي تسبقُ الإلحاد مباشرةً، إن يعملُ ذهنُك في الكونِ فيُقلبه ويتفحص أجزاءه وما يلبثُ حتى ينقلَب مُلحدًا، قال نادر: ولكنني أعمل بعملِ الملحدين فعلًا حتى وإن كان بغيرِ اعتقادٍ فأنا الآن أُقلّب الإلحادَ في ذهني لا الكون كما تظنُّ، أنا الآن ليس لدي الرغبةُ في الاستماعِ لهؤلاء المحبين للحياةِ أو الراغبين في العيشِ فيها، أشعرُ أن الدنيا تُطبقُ عليَّ من كلِ جانبٍ، أنا في منتصفِ الطريقِ تمامًا لا أنا إلى إيمانٍ ولا إلى كفرٍ، ورجالُ الدعوتين هم سببُ عذابي، فأهلُ الطريقةِ بضعةِ حمقى ودجالين يستعملون السحرَ المُحرمَ ثُمّ يصدِّرونه للناسِ على أنها كرامات، ومُلحدٌ كلما طرحت عليه سؤالًا سقطَ، أنا أريدُ منك إجابة تُشفيني عن الأخلاق وعن الخيرِ بمنظورٍ مادي، فالأخلاقُ تُمثلُ ظهورَ مبدءٍ جديدٍ مناقضٍ لمبدأ المصلحةِ والمنفعةِ المعروف عند الحيوانِ، ما القاعدة التي ستنطلقُ



منها لتُقنعَ الناسَ بقيمةِ الأخلاقِ من منظورٍ ماديٍّ يا إيهاب؟ كيف ستتعاملُ مع المُلحدِ المُعاقِ في مُجتمعك الإلحادي هل ستدفّعه للانتحار.. وبذلك تكونُ قد خدمتَ الانتخاب الطبيعي أم ستُعارض النظريةَ؟ كيف تُسلي الملحدَ المعاقَ عن إعاقته؟ كيف تُسلي الكادحين والمعوزين في هذا العالمِ؟ هل ستقوم بتعقيمِ المعاقين ذهنيًا بحيثُ لا ينجبون أم ستُعاندُ الإنتخاب الطبيعي؟ هل سيكون هناك زواج داخل المجتمعِ الإلحادي أم كما قالت (سيمون دي بوفوار): أن الزواجَ وتكوينَ أُسرةٍ خديعةٍ كبرى؟ هل ستمنعُ الممارساتِ الجنسيةَ الشاذةَ داخلِ المجتمع الإلحادي وما هي المبررات المادية لذلك المنع؟ ثم قال ضاحكًا: كيف لو ظهرَ داخلَ المجتمع الإلحادي أمثالُ جيمس هل **James J. Hill** الذي كان يقولُ: (إن الثروات تُحدَّد طبقًا لقانونِ البقاءِ للأقوى) هل لديك مبررٌ ماديٌ لكبحِ جماحه؟ وكيف تتعاملُ مع أمثالِ أندرو كارنيجي**Andrew Carnegie**- أحد أصحابِ رؤوسِ الأموالِ بأمريكا- والذي قالَ: (لقد وجدتُ حقيقةَ التطورِ) استيلاء الأقوياء على مُقدراتِ الأممِ هي حقيقةُ التطورِ وحقيقةُ الإنتخاب الطبيعي، أنا سمعتُ قولَ تايل **Tille** (من الخطأ الشديدِ مجرد محاولةِ منع الفقرِ أو الإفلاسِ أو مساعدةِ الضعفاءِ أو محدودي الإنتاجِ.. مجردُ مساعدةِ هؤلاء خطأٌ جوهري في النظريةِ الدروينيةِ لأنه يتعارضُ أساسًا مع الإنتخابِ الطبيعي **natural selection** وهو جوهرُ الداروينية)، يا إيهاب، صدقني كلكُّم كذّبةٌ وكلكُم مدَّعٍ، أنتم لا تؤمنون بما تدَّعون، لا هُم أهلُ حقٍ بحقٍ ولا أنتَ أهلُ باطلٍ، أنتم فريقٌ واحدٌ من الجهلةِ، قال إيهاب



نحن جهلةٌ وأفَّاقون... وأنت؟ قال نادر: أنا صنيعتكم.... أنا الألعوبةُ بين أيديكم... أنا الذي خافَ فرَاح يبحثُ في طرقكم عن مخرجٍ له، فأورثتموه فقرًا لا ينضبُ، كنتُ قبلكم أكره الحياةَ ولكن كان بإمكاني العيشَ فيها، أما أنا اليومَ أكره الحياةَ ولا أستطيعُ العيشَ فيها، إذا لم يكن الله موجودًا، فالناسُ بجلاءٌ وبلا أمل غيرِ متساوين وتأسيسًا على الدين فقط يستطيعُ الضعفاءُ المطالبةَ بالعدلِ، لقد قابلتُ طبيبًا ذاتَ يومٍ فَقَدَ في لحظةٍ واحدةٍ ومن غيرِ ترتيبِ كلَّ شيءٍ في حياته.. بنته... وزوجته... وعمله... بل وعقله وصارَ كالموتى، هل إلحادُك عنده من العدلِ ما يفي هذا الرجل حقه؟ وأيُّ معنى للحياةِ إن لم يكن في نهايةِ الأمرِ محكمةٌ تُصلحُ كلَّ فوضى أنشأناها، وترُد لكلِ مظلومٍ حقَه؟ أنا لم أعد أريدُ المالَ ولا الحياةَ.

قام نادر وغادر شقةَ إيهاب وهو يحملُ في صدره كلَّ أسي، لا يجدُ مكانًا يذهبُ إليه فقد شعرَ بضيقِ الدنيا عليه من كلِّ جانبٍ، وما لبثَّ حتى اتصلَ على صديقه سمير وقابله، أخذه إلى حديقةٍ عموميةٍ ثُمَّ افترش الأرضَ نائمًا وهو ينظرُ إلى السماءِ، قال سمير ما لك يا شيخ نادر أراكَ محتارًا ما الأمر؟ قال نادر من غيرِ أن يحولَ وجهه عن السماءِ: قل لي يا سمير ألست مؤمنًا بوجودِ الله؟ قال له: بلى، قال: فلماذا يتركنُي اللهُ حتى الآن ولا يُعاقبني؟ قال سمير: لا أعرفُ، قال نادر: قم بنّا فلنذهب لأهلِ الطريقةِ أنا أريدُ أن أتحدثَ معهم فقد أقفُ على أرضٍ صُلبةٍ.

ذهبا إلى زاويةِ الشيخِ الأكبر ابن عربي والتقى هناك بالشيخ الكبير، لم يكن الشيخ حينها يجلسُ مُنفردًا بل كان جالسًا بين يديه الشيخ أحمد وقد علا الحزنُ



وجهه، اقترب نادر وصاحبه منهما وبعد أن ألقى التحيةَ قال له الشيخُ الأكبر: «ها أنت قد جئت في وقتك المناسبِ الشيخ أحمد رجل روحاني، ويده بيضاء علينا وعلى أهلِ طريقتنا وسبحان الله الذي قدَّر له الابتلاء في ابنته؛ فصارت تنتفضُ من عدِة ليالٍ كلما همَّت بالنومِ» ثُمّ نظر إلى الشيخِ أحمد وقال الشيخ نادر الذي حدّثتك عنه وهذا سمير تلميذه وروحاني مُرتقب، كان المللُ يملأ ملامحَ نادر وكلماته، قال له: أنا أريد أن نجلسَ سويًا أودُّ أن أتحدث معك فقال له: لا بأس وإن كنت أريد أن أثقلَ عليك أولًا بأن تتبنى حالة ابنة الشيخ أحمد فلا يُعقلُ أن نداوي الناسَ ونترك بيوتنا هكذا!، قال بمللٍ هل الابنة موجودة هنا؟ ردَّ الشيخُ أحمد: لا ولكن يُمكنك زيارتنا ورؤيتها وقتما شئت، كان الخمولُ يُخيمُ على عقلِ نادر أكثر من أي وقتٍ مضى ولم يكن في حالةٍ تؤهله لارتداء عباءة التقوى والعلم الروحاني، كان يحاولُ أن يُنهي أمرَ الفتاةِ سريعًا لينفردَ بالشيخِ الكبيرِ فحدد له موعدًا بعد خمسةِ أيامٍ على مضضٍ كي ينصرفَ، تركه وسمير مع الشيخِ الأكبر الذي قال لنادر ما لي أراك على حالةٍ غير جيدة؟! قال: يا شيخ أجدُ قلبي مرهقًا كعقلي تمامًا، أشعرُ بالفوضى تعمُّ نفسي، قال له: إذن عليك بالزيارةِ لابد أنك مقصرٌ في حقِ أولياءِ الله بزيارتك فأرسلوا في طلبك؛ عليك بمقامِ سيدى البدوي فما قصده أحدٌ وعادَ خائبًا اذهب إليه وخذ من فضلِ الله معك ما تستطيع، واجلس هُناك واذبح ووزع من فضلِ الله على أهل الله ستجد في قلبك الراحةَ والطمأنينةَ التي تبغي، فهم الأقطاب والأبدال ولولاهم ما نزل الرزقُ من السماءِ والراحةُ رزقٌ والطمأنينةُ رزقٌ، نظرَ له وقال:



وماذا عن الشكِّ في الله يا شيخ؟ نظر له وضحك ثُمّ قال: يا رجل وهل تشكُّ في الله بعد كل ما أُعطيت من الخير؟! لولا أنني أعرفك لقلت إنه من الشيطانِ ولكني أعرفُ أن مثلك لا يستطيعُ الشيطانُ أن يقتربَ منه فوالله لم يقربنى الشيطانُ مُنذُ ثلاثين سنةً، اذهب للبدوي وهو يُريحُك من كلِّ ما بك استمع لنصيحتي وافعل، كان نادر يُقلّب الفكرةَ في رأسه هل يُمكنُ أن تُرسي زيارة - لضريحِ رجلٍ مات مُنذُ سنين - معتقدًا لم يستقر في قلبه مُنذُ سنين؟ وما عساه يفعلُ ذلك الميتُ وقد أكلَ الدودُ جثته؟! قال الشيخُ: ولكن عليك أن تذهبَ لابنة الشيخِ أحمد قبل أن تسافرَ إلى طنطا فالأمر عنده لا يحتملُ تأخيرًا... يا نادر لا تُحاسب الشيخَ أحمد ولا تأخذ منه أي أموالٍ اجعلها لله عسى أن يفكَ كربك، قال: نعم، لا تقلق يا شيخ يكفي أنك توصيني به بنفسك.

لم يتشجع نادر في أن يدخلَ في حوارٍ مع هذا الشيخ الدرويش، وتقهقرت في رأسه كلَّ أفكارِ المواجهةِ فكان ينوي أن يُمسكَ به من تلابيبه فيقولُ له: يا شيخ أنت نصابٌ وأنا مثلك وهذه الزاوية ليست بيتًا من بيوتِ الله، كان ينوي أن يكشفَ في وجهه كلَّ كراماته وألاعيبه ولكنّه لم يفعل ولم يكن الشيخ يتركه ليفعل، أخذ سمير ورجع إلى بيته وكلُ حيرةٌ تضربُ رأسه، يشعرُ أن شيئًا ينقصه بل ينقص روحه الآثمة والتي تزدادُ إثمًا يومًا بعد يومٍ.

مكثَّ في غرفته أربعة أيامٍ لا يغادرها إلا لحاجةٍ مُلحةٍ، وفي مساءِ اليومِ الرابعِ خرجَ من غرفته وصعد إلى سطحِ البيتِ إلى حيثُ المكانِ الذي نشر فيه أجزاءَ القطةِ المقتولة، تصارعت أحداث حياته أمام عينه فتذّكر الدكتورَ محمد وابنته وتذكر أولَ



لقاءٍ جمع بينه وبين طاهر، وتذّكر كم كان ساذجًا وهو يبحثُ عن الكنوزِ في أرض عبد الواحد، كما تذّكر دراسته وكيف تركها إلى غيرِ عودةٍ، كان كلما صرفَ نظره في مكانٍ بُعِثَت له الذكريات من غياهبها، نزلَ إلى المنزلِ وأحضرَ مبلغًا من المالِ كان يحتفظُ به تحتَ مرتبةِ سريره وعاد إلى السطحِ مرة أخرى، وصعد السورَ وأخرجَ منه قدميه وصار ينظرُ إلى الشارعِ الخالي من المارةِ، ثم أمسك الورقةَ الأولى من فئةِ المائةِ جنيهٍ وراح يضعها على أنفه يشمها، فتح عينه وبدأ في تمزيقها ثُمَّ رماها في الشارعِ وتناولَ الأخرى وأخذَ يقولُ هذه الأوراق التي احتَلتْ على أصحابها فحرمتهم منها لم تستطع أن تُحققَ لي أي نوعٍ من السعادة، كان يمكنُ لو تركتها لهم أن يشعروا بالسعادة، ولكنني سلبتهم سعادةً وأعطيتهم غيرها، كأننا تبادلنا احتياجتنا، ولكنني لا أجدُ مَن يُبادلنا المالَ بالسعادةِ كما فعلت معهم، رمى بآخرِ ورقةٍ معه ثم صار ينفضُ يده كمن يُزيلُ بقايا ترابٍ ونظر للسماءِ وهو يقولُ: هل تراني؟ هل تعرفُ ما فعلت في أرضك وتحت سمائك؟ هل أنت موجودٌ؟ ولماذا إذن تركتنى أفعلُ ما أفعلُ؟ ولماذا تترك هذه الحروبَ والمجاعات؟! بل ولماذا خلقت الشرَّ؟!

نهض واقفًا فوقَ السورِ وبدى له أن يرمي بنفسه أغمض عينيه وقال: اكتفيت من هذه الحياةِ وأتشوقُ لرؤيةِ حياة أخرى، حياة لا يمنعني عن الوصول إليها إلا أن أقذفَ بجسدي من فوقَ هذا السور فأظل أعُانقُ الهواءَ حتى أرتطم بأرض الحياةِ الجديدةِ، فتح عينيه ونظر إلى ملابسه، أظنُ أن هذه الثياب لا تليقُ بالحياةِ الجديدةِ؛ عليَّ أن أبدلها بأخرى فما دمت لا أعلم ماهيةَ الرحلةِ فعليَّ أن أستعدَ لأن أكونَ في



أبهى صورةٍ، نزل مرةً أخرى ودخل إلى غرفته وفتحَ دولابَ ملابسه وبدأ يُقلبُ نظرَه فيه محاولًا أن يختارَ زيًّا يليقُ بالانتحار، أغلقَ الدولابَ سريعًا وأحضرَ ورقةً وقلمًا وخطَّ فيها « بعد بضع دقائقٍ من الآن سأكون فارقت حياتكم وأخر رسالة أحب أن أقولها لكم: إنني لم أكن يومًا شيخًا بل ولم أكن مسلمًا ولست أولَ مَن يكذبُ عليكم ويستخفُ بعقولكم يا حفنة اللصوصِ» طوى الورقةَ وكتبَ على وجهها الأخر تُقرأ على كلِّ مَن يهمه الأمرَ!

صعدَّ مرةً أخرى إلى السطحِ من غيرِ أن يُبدلَ ملابسه واعتلى السورَ ونظرَ إلى السماءِ يُخاطبُها «أنا اليومَ أختارُ الموتَ.. أختاره بإرادتي فأنا اعتدتُ الكذبَ على الناسِ وليس على نفسي وأنا اليومَ لا أطيقُ العيشَ في حيزِ هذا الكونِ الضيقِ، أنا اليومَ اختارُ الموتَ بعدَ كلِّ ما وصلت له من مالٍ وشهرةٍ يتمناها كثيرٌ من الناسِ، أنا اليومَ أموتُ وأتركُ العالمَ » أغمضَ عينيه وبدأ في ترك جسده يستسلمُ للهواءِ الباردِ يضربه وهو يتجه بكُليته نحو الشارعِ.. نحو السقوطِ.. تراَى له في خياله رجلًا كبيرَ السنِ ذا لحيةٍ بيضاء، والنور يشعُ من وجهه يُناديه ويأخذُ بيده ويُدخله إلى مسجدٍ فُرِش بموكيتٍ نظيفٍ فاخرٍ والناس منتصبون في الصلاة، فأدخله بينهم من غير أن يكلمه، حاول أن يُمسكَ به فاهتز جسده وكاد يسقطُ وهو يُمسكُ بالهواءِ فانتبه لنفسه سريعًا وقال: إلى أين أيّها الرجل الكبير؟! لا.. لا أسمع لهذه الإرهاصات والخيالات إنّها النفس الجبانة تخشى أن تموتَ فتصنعُ لي الأحاجى والألغاز لأتشبث بالدنيا، أنا لا أجد أنني أحتاج لمزيد بحث عن الحقيقةِ بل كما عشتُ كبيرًا سأموت



كبيرًا، اغمض عينه بعد أن ألقى نظرةً سريعةً حاويةً على الدنيا من حوله وهو يقول الآن أموت كبيرًا... أموت كبيرًا وما كاد يتهيأ لإلقاء نفسه حتى جاءه الصوتُ عاليًا يهزُّ كلَّ شيءٍ... كأن الصوت يُعنفه ويضربُ حجابَ قلبه، جاءه قويًا عاليًا خشنًا.. اللهُ أكبرْ، اللهُ أكبرْ ، اللهُ أكبرْ، اللهُ أكبرْ، أشهد أن لا إلهَ إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسولُ الله، أشهد أن محمدًا رسول الله

فتح عينه فزعًا وشعرَ بالخوفِ يجثمُ على صدره ويتملكه، نزلَ إلى غرفته والصوت لا يبارحه

حيٍّ على الصلاةِ، حي على الصلاةِ، حيِّ على الفلاحِ، حي على الفلاحِ

ألقى بجسده على السريرِ وأخذ يتقلبُ كمن ينام على الشوكِ، حتى شرعَ الناسُ في الصلاةِ وبعد أن قرأ الإمامُ سورةَ الفاتحةِ بدأ يقرأ ﴿ أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩ ﴾ [النجم: ٥٧-٦٢] تعالت ضحكاته حتى دخلَ في نوبةِ بكاءٍ أسلمته لإغماءٍ طويلٍ كأنه النوم.

وفي اليوم التالي حضر إليه سمير ورَاح يقول: يا شيخ نادر مالك تُغلقُ على نفسك كلَّ بابٍ يوصلُ إليك... أعمالنا توقَّفت، نظرَ إليه مُتفحصًا وقال لازلت لم تشبع يا سمير؟ قال له: وأنت هل شبعت؟! قال: لا لم أشبع بل إني أشعر أني أشرب الماءَ المالحَ كلَ يومٍ فأزداد عطشًا لا للمال فحسب بل للحقيقةِ، قال له: أي حقيقة؟! أنا أعرفُ حقيقةً واحدةً وهي أنك استطعت في سنواتٍ بسيطةٍ أن تصل لكلِ ما



كنت تصبو إليه هل تحنُّ اليومَ إلى عضاتِ الفقرِ المتاليةِ والتي لم نسلم منها إلا في السنواتِ الأخيرةِ؟ وهل تظنُ أن ما في حوذتنا من مالٍ اليومَ يكفيني لنكملَ حياتنا كما كنّا نحلمُ؟!! أنا أشعر أنّك تبتعدُ.. تبعدُ عن عملك وعن الناسِ الذين يودُّون لو أن يحظّوا بمجردِ نظرةٍ منك بل أراكَ حتى تبتعدَ عنّي.. ما لك يا نادر؟ كان نادر يستمع إليه بوجهٍ حزينٍ يملؤه التساؤلات فقال: أنا لا أعرف مالي؟ لا أعرف ماذا أريدُ؟ ولا إلى أين يجب أن اتجه؟ اليومَ فقط أستطيع أن أقولَ: إنني أخطأت تقديرَ كثيرٍ من الأمورِ، كثرة أي شيءٍ مُدعي للجنون.. المال.. الشهرة.. السيطرة النفسية.. أي شيءٍ يزيدُ عن مقدارِ نِصابه ويصلُ إلى التشبُّعِ لابد أن يتبعه انفجار.. انفجارٌ يُثيرُ الغبارَ ويحرِّكُ الماءَ الراكدَ، أنا أعذرك فأنت رغم مُرافقتك لي إلا أنك خارجُ الكواليسِ، خارج ذلك الكادر الذي أرى كلَّ أبعادِه وتفاصيله وأطلُّ منه على الناسِ وحدي، أنا لا أنام لا أجد مذاقًا للطعامِ أو الشّرابِ أراني متحمسًا لبلوغِ النهايةِ أي نهاية ولكن لابد أن أرى المرسى الأخيرَ، تعرفُ يا سمير ما معنى أن تحبَ شيئًا لا تعرّفه؟! بل وتشك فيه؟ نعم، أنا أحبُّ اللهَ جدًا.. أستشعرُ وجودَه في كلِّ شيءٍ أحيانًا كثيرة وأنا مُنهمك في إحدى جلساتِ العلاجِ وأنا أُمثلُ دوري بمنتهى الجديةِ أجده يرسلُ لي مَن يُحدثنى داخلَ رأسي فيقولُ لي ارجع يا نادر عمّا تفعلُ فأنا غيرُ راضٍ، حينها أودُّ لو قُمت فصفعت كلَّ واحدٍ من الجالسين قلمًا أو قلمين بل أحيانا أودُّ لو أقومُ فأخلعَ عباءتي وأصرخُ فيهم قوموا يا لصوص واغربوا عن وجهي، نظرَ إليه سمير وركَّزَ بصره في عينه وقال: مَن فينا اللص؟ أنت تُغالطُ نفسك، قاطعه



قائلًا: هم اللصوص هم مَن سرقوا عُمري وزهرةَ شبابي انظر إليَّ أو انظر لنفسك هل نحن أسوياء؟ وماذا يعني أن تضيعَ كلَّ هذه الأوقات في التمثيلِ؟ ماذا يعني أن يتقربَ مني رجلٌ بلغَ الستينَ فيسألني عن الغيبِ؟ وماذا يعني أن تتقربَ منّي امرأةٌ لأناولها ماءً مُباركًا يردُ الغائبَ ويحفظَ الزوجَ؟!! يا سمير نحنُ أفسدنا الحياةَ وهم سرقونا وسرقوا أعمارنا

صرخَ سميرُ وقال لا.. لا أنت لا زلت تُغالط نفسك ما لنا وكلَ هذا؟ نحنُ نُقدمُ لهم الحياةَ كما يَودُّوا أن يحيوها، وإن كانت مُشكلتك كلّها في الله فلك أن تقومَ الآن فتتوضأ وتُصلي وينتهي الأمر، ثُمّ ترتدي ملابسك لنعودَ لعملنا الذي توقفَ ولا أدري إلى متى سوفَ يظلُ متوقفًا هكذا؟!

حسنًا أنت لم تفهم حتى الآن، إلى أي شيءٍ أُصلي؟ وإلى أي مكانٍ اتجه؟ لا أرتاحُ أبدًا في المناطقِ الوسطى، إما إلى إيهاب وإما إلى طاهر.. لا حتى طاهرٍ يحتاجُ لأن يُغادرَ معي منطقته الوسطى، أنا أريدُ إيمانًا أو كُفرًا، حقًا أو باطلًا، الله أو الشيطان.

تنهَّدَ سمير وقال: حسنًا اكفر يا نادر ما يمنعُك؟ ضربَ نادر على صدرِه بقوةٍ وقال: هذا - يشير لقلبه - هذا يمنعني ولا أعرفُ لماذا؟!

في اليومِ التالي تهيأ نادر كعادته عندما يحينُ موعدَ جلسةٍ علاجيةٍ، وأخذَّ شنطةَ أدواته وسمير واتجه إلى بيتِ الشيخِ أحمد، لمَّا وصل أدخلوه إلى صالةٍ واسعةٍ بها كنبة كبيرة وحصيرة واحدة لا تكفي لتغطيةِ مساحةِ الأرضِ بالكاملِ، وبعدَ قليلٍ قدَّموا له صينيةِ الشاي وقام سمير فتناولها وطلبَ منهم إحضار أكواب ماء فارغة وعاد إلى



جوار صديقه، دخلت البنت وأمها وثلاثةَ من الرجالِ المُلتحين، حيًّا نادر الجميعَ من غيرِ أن يُغادرَ مكانه ثُمَّ طلبَ من الابنة أن تقتربَ لتجلسَ بجواره ورَاح يُطالعها، لم تكن ذاتَ جمالٍ يُذكر فلم يُدقِّقُ فيها كثيرًا ثُمَ رَاح يسألها وهي تُجيبُه أشار بيده إلى سمير فبدأ في قراءة سورِ الجنّ راحت ملامحُ البنت تتغيرُ وبدأت في البكاءِ فأخذَّها بيديه وأجلسها بين ذراعي أمها التي تجلسُ على الأرضِ وانتصب الأب واقفًا خلفَها والرجال الثلاثة اقتربوا على وَجَلٍ وبدأ نادر في رشِّ الماءِ المقروء على وجه الفتاةِ وهو يقرأ سورةَ المُلكِ والرجالُ يُردودن وراءه ويُصحِّحُون له قراءته!

نطقت الفتاةُ بصوتٍ غريبٍ وقالت: لا تُخرجني يا شيخ نادر، نظر لها نادر بانتشاءٍ وقالَ: أممم تعرفينني؟ قالت ومن لا يعرفُك أنا من الأمسِ أخشى هذا اللقاءَ.. هب لي هذا الجسدَ يا شيخ نادر فأنا لا أستطيعُ مغادرته، فقال: يُمكنُك أن تذهبَ وتسأل مرةً أُخرى عنِّي فليس مثلي من يُقالُ له هذا الكلام، سأمهلُك خمسَ دقائقٍ وبعدها سأعمل على حرقك، عندها تشنجت الابنةُ وراحت تثورُ وتخبِّط بيده وما أجلسها إلا معاونة الرجال الثلاثة، كانت تصرخ في وجهه سأقتلها الآن سأقتلها قبلَ أن أُغادر، تغير لون وجه أبيها وأمسك بذراعيها صارخًا لن تقدر على هذا، قالت الفتاة: أنا استأذنت موسى وأذن لي أن أقتلها... الآن أقتلها، صرخَ الأب وقال: مووووسى!! يهوديًا أنتَ إذن، أنتَ تريدُ الحرق بالسمسميةِ وبدأ في التمتمةِ بلغةٍ غريبةٍ فنَهرة نادر وقال لا.. لا تفعل ثُمَّ نظرَ إلى الفتاةِ وأكملَ قراءة حتى أتمَّ آيات سورة الملكِ فطلبَ أن يحضروا له مُصحفًا، وظلَّ يقرأ على الفتاةِ لمدةِ ساعة



متواصلةٍ حتى عادَ إلى وجهِ الفتاةِ استقراره وهدوءه وفتحت عينيها كمن يفيقُ من حلمٍ طويلٍ وضحكت وهي تنظرُ إليه، أنهى الشيخُ نادر جلستَه وتناولَ ورقةً وأخذَ يكتبُ فيها تعليماتٍ يجبُ على الفتاةِ أن تتبعها فَراح يكتبُ المواظبةَ على الصلاةِ المواظبةَ على أذكارِ الصباحِ والمساءِ حتى أنهى قائمةً طويلةً، كانت الأم قد بدأت حوارًا غاضبًا مع رجلٍ من الملتحين الثلاثةِ كانت تنهره وتقول له « انظر إليه في ساعةٍ واحدةٍ أنهى الأمرَ وأنتم أذقتوني في ثلاثةِ أشهرٍ كلَّ أنواعِ المُرِّ»، والرجل يُدافعُ عن نفسه فيقول« والله يا أم هناء نحن فعلنا كلَّ ما نقدرُ عليه لشفاءِ ابنتك و...» فقاطعه نادر موجهًا حديثَه لأم الفتاة وقال: يا أم هناء الرجال ليس عليهم عتاب هم فعلوا أقصى ما يملكون لابنتك والله يقدر ويختار احمدى الله على سلامة ابنتك وانتهي عن هذا الحديثِ، صمتت الأم والتزمت الهدوء فورًا، وبعد دقائقٍ بدءوا في تجهيزِ سفرة عامرة بأنواعِ اللحومِ للشيخ نادر والضيوف، والذي كان وجهه لايزال كئيبًا هادئًا يحاولُ أن يتفحصَ وجوه الرجالِ بشكلٍ غيرِ ملحوظٍ ويختلسُ النظراتَ إليهم، جلسَ الشيخُ أحمد بجواره يحاولُ أن يُدخِلَ المائدةُ كلُّها إلى فم نادر، ولكنّه فضل أن يلقي سؤالًا لأحد الرجالِ فقال: منذُ متى وأنتَ تعملُ في العلاجِ الروحاني يا شيخ سيف؟ قالَ: مُنذُ أن مَنَّ اللهُ عليَّ بحفظِ القرآن من سنتين وأنا أحاولُ أن أُساعدَ المحتاجين إلى العلاجِ ويعلمُ الله أنني ما ادخرت جهدًا في معالجةِ الأخت هناء ولكن كما قلت: الله يختارُ من عباده مَن يشاءُ، قال نادر موجهًا حديثه للشيخِ أحمد: عندى لك أخبارٌ جاءتني للتوِّ رُبَّما لن تروقك سأخبرك بها بعد أن تنهي



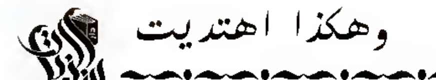
طعامك وقام نادر من مكانه مؤذنًا بانتهائه من الطعام.

جلسَ نادر والشيخ في جانبٍ من الحجرةِ يتهامسون فقال له الشيخ: أريدُ أن أفهمَ ما سبب هذا المس يا شيخ نادر ففاجئه وقال: السببَ أنتَ يا شيخ أحمد، قال أنا؟!!

قال نعم أنتَ ولابد أن أخبرك أنني جاءني أمرًا بأن أخبرك بأن تكفَّ تمامًا عن أخذ حالاتٍ للعلاجِ ولابد أن تتخلصَ من كلّ كتبِ العلاجِ التي في حوذتك، قال الشيخ: ولِمَ؟ قال: لا أعرف ولكن بيتك به كثيرٌ من الجنِّ الهاجعِ والناجعِ، فأنا أولُ ما دخلت إلى البيتِ هالني ما رأيتُ من تواجدهم وحضورهم المستمر بغيرِ سببٍ، أنت تُحضِّرُ الجانَّ يا شيخ أحمد ولا تُصرفه أظنُك أخطأت في أقسامِ الصرفِ أو ربَّما في حسابِ الأيامِ، وبكثيرٍ من الأسى قال: أنا من عامٍ لا أتقاضى أي أجرٍ عن العلاجِ يا شيخ نادر وكنت أفعلها لله ولكن ما دام الأمر هكذا فلا مانع أن أتوقف، فأنا رجلٌ كبيرٌ وأحتاجُ إلى الراحةِ وأنتَ تعلمُ أن أمورَ العلاجِ تحتاجُ إلى مجهودٍ كبيرٍ، قال: نعم، وتذّكَّرَ أن مصلحة ابنتك صارت متعلقةً بعدمِ عودتك إلى ممارسةِ العلاجِ.. هيا قم وأرني ما عندك من الكتبِ لأخبرك كيف تتصرفُ فيها.

قام الاثنان ونزلا إلى الطابقِ الثالثِ فالشيخ أحمد يمتلكُ البيتَ بالكاملِ وقد فرَّغ غرفةً في هذا الطابقِ لكتبه، بدأ نادر يفحصُ الكتبَ وينظرُ لها كمن يُناظرُ كَنزًا ثمينًا، كان يبحثُ عن أسماءٍ معينةٍ لكتبٍ تنقصه وبين إحدى الأرفف وجد ضالته المنشودةَ فالتقطها وطلبَ كيسًا بلاستيكيًا ودسَّ فيه الكتبَ التي اصطفاها لنفسه (منبع أصول الحكمةِ، شمس المعارفِ الكبرى، خمائر السرائرِ الإلهيةِ في بواهرِ آياتِ





الجواهرِ الفوثية، الدر المنظومِ وخلاصةِ السرِ المكتومِ، الأوفاق، سحر بارنوخ، الأصول والوصول في علم الرملِ، الولاية الإلهية والعلوم اللدنيّة، أحكام الحكيم في علم التنجيم، البيان في علم الكتشنة والفنجان، سحر الأنوار وجامع الأسرار، وكثير من كتب أبو معشر البلخي) كانت مكتبةُ الشيخ أحمد مكتبة سحرية من الطرازِ الأولِ! التفت نادر إلى الشيخ وقال: هل قرأت كلَّ هذه الكتب يا شيخ أحمد؟ فقال: قرأت أغلبها ولكنَّك ماهرٌ حقًّا فقد أخذت أنفَسها وأقيمها ثُم تناولَ منه كتابًا لأبي معشرِ البلخي وقال له: هذا الكتاب رائع في بابه سيفيدك جدًا في أعمالِ الجلبِ والتهييج، وهذا سيُعلمك أمورَ الكتشنة وقراءة الفنجانِ، وستجدُ في شمسِ المعارفِ استعمالات ضدّ الأعداءِ قد تُبهرَك.. ثُم تنَهَّدَ وقال: اعتنِ بهذه الكتبِ يا نادر فوالله ما كنت لأفرطُ فيها لغيرك وتذكَّرَ أن المقصودَ من هذه الكتبِ أن تعلم شرفَ أسماءِ الله تعالى وما أودع في بحرها من أنواعِ الجواهرِ الحكميات، وكيف التصريف بالأسماء والدعوات وما تابعها من حروف السورِ والآياتِ لتصلَ بها إلى الحضرةِ الربانيةِ من غيرِ تعبٍ، وتصل بها إلى رغائبِ الدنيا بلا نصبٍ فكأني أعطيك ثمرةَ فؤادي أو واحدًا من أولادي فاعتنِ بهم.

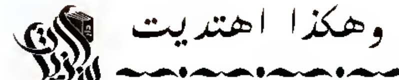
طمأنه نادر ثُمَّ قالَ له هل زرت بيتَ الله الحرام من قبل يا شيخ أحمد؟ قال: الحمد لله لقد حججت إلى البيتِ خمس مراتٍ واعتمرت كثيرًا، قال له: وهل ذهبت إلى سيدي البدوي؟ رفعَ الشيخُ يديه إلى أعلى وقال « شِالله يا سيد يا بدوي » وهل يوجد روحاني لا يشدُّ الرحالَ إلى هناك!! مقام السيد البدوي جعله اللهُ لمن لا



يستطيع أن يزورَ البيتَ الحرام ألا تعرف أن زيارته تعدلُ حجةً وعمرةً؟ حجة وعمرة؟!! قال نعم ولابد أن تتعلم مناقبَ هؤلاء الأولياء يا نادر، ألا تعرف أنَّه دعا الله بثلاثِ دعواتٍ،فأجاب الله دعوتين وأبطل الثالثة؛ دعا الله أن يشفِّعَهُ في كلِّ من زار قبره، فأجابَ الله ذلك، ودعا اللهَ أن يكتبَ حجةً وعمرةً لكلِّ مَن زارَ قبرَه، فأجابَ اللهُ ذلك، ودعا اللهَ أن يُدخله النَّارَ، فرفضَ اللهُ ذلك صرخَ نادر مندهشًا طلبَ أن يُدخله النَّارَ؟!! قال: نعم، ولماذا رفضَ اللهُ أن يُدّخلَه النَّارَ؟ قال: لأنه لو دخلها فتمرغ فيها تصيرُ حشيشًا أخضرًا، وحقٌّ على الله ألا يعذّب بها إلا الكافرين!! هذا مقامه عند الله لا تعجب يؤتي المُلكَ مَن يشاءُ، هزَّ نادر رأسَه ثُمَّ قالَ لابد أن تحرقَ هذه الكتبَ الباقيةَ في يومِ جمعةِ بعد أذان العصرِ مباشرةً، وقل أثناء الحرقِ لقد أذِنَ لكم الملك شعضوض على لسانِ الشيخ نادر بالانصراف من البيتِ ومغادرته، وعدم العودةِ إليه اخرجوا إلى الجبالِ والبحرِ والصحراءِ قولها ثلاث مراتٍ في أول الحرقِ بصوتٍ مسموعٍ، وإذا أنهيت حرقَ كتبك فقل مرةً واحدةً: الحمد لله رب العالمين، قال له: سمعًا وطاعةً يا شيخ نادر ثُمَّ أردفَ قائلًا: باقي حساب الجلسة سأعطيه للشيخِ الكبيرِ غدًا بإذن الله فهو أخبرني أنَّك لا تحبُ أن تأخذ المالَ بيدك!!

خرجَ من بيتِ الشيخِ أحمد ويكادُ عقله لا يستقر داخلَ رأسه، قالَ لصديقه: لابد أن نذهبَ إلى السيدِ البدوي يا سمير في خلالِ هذا الأسبوع، نظر له ضاحكًا وقال: بِما تُفكرُ يا شيخ هل أثَّر عليك كلامُ هؤلاء المخابيل؟! قال: لا بل لا بد أن أتفحَّص هذا المكانَ فأنا سأكون القطبَ الجديدَ يا سمير، علت ضحكاتُ سمير





وقال: إن شاءَ الله يا شيخُ نادر، إذن لابد أن تتزوجَ حتى نجدَ من يعتني بضريحك بعد موتك، نظرَ له بملامحِ جامدةٍ وقال يُمكنني الآن أن أقولَ: إنَّ إيهابَ كان مُحقًا لا يُمكنُ أن يكونَ لهذه الأرضِ خالقٌ بل هي موروثاتٍ باليةٍ كما يقولُ الرجلُ القعيدُ، لو كان للكونِ إله ما ترك هؤلاء أحياءً يومًا واحدًا وما تركني حتى الآن أعبثُ بهم كما عبث من جاء قبلي، لابد أن نبني مسجدًا يا سمير وأعدك أن يكونَ هذا هو مشروع العمر الذي سيدرُّ علينا دخلًا يكفينا ما بقي لنا من عُمرٍ، وبعد ذلك نُوَرِّثَه للأبناءِ والأحفادِ، فقط كل ما يلزمنا هو ضريح ولكن كيف يكون لي ضريحٌ وأنا لازلت حيًا؟! قال سمير الأمر بسيط ما المانع أن تموتَ وتعودَ للحياةِ مرةً أُخرى.. كرامات يا صديقي.

وعلى نهايةِ الأسبوعِ كان نادر وصديقه قد أعدّوا العُدّة للسفرِ إلى طنطا ولكن جاءته أخبارٌ بالقبضِ على معتز جاره القديم وأنه محجوزٌ في إحدى أقسامِ محافظةِ المنوفيةِ فغيَّر وجهته وسافرَ إلى المنوفيةِ مع صديقه وفي داخل القسمِ كان معتز يجلسُ مبهوت شاحب الوجه بعد أن فقدَ كثيرًا من وزنه، وفي المكانِ المخصصِ للزيارةِ داخلِ القسمِ ظهرَ له نادر كأنه نافذةُ النورِ التي طلت عليه في محبسه، جلس نادر يتفحصه وقال: مُنذُ متى وأنتَ محجوزٌ هنا؟ ولماذا لم تخبرني من أولِ يومِ؟ قال معتز - وهو يُجففُ عرقَه ويرفعُ نظارته على عينه -: لم أتمكن من الاتصالِ بأحدٍ أنا هنا من أسبوعِ يا نادر، ثُمَّ بكى وأخذ يقولُ: أرجوك يا نادر لا تتركني، قال له: تشجع ولا تقلق حتما سأخرجُ ولكن احكِ لي كيف تمَّ القبض عليك؟ تلفَّت حوله وقال: كُنا



في أرضِ الريِّسِ محروس بعد أن استدعانا لنثمِّنَ له بعضَ قطعِ الآثارِ عنده، وبعد أن اتفقنا أخذنا منه ثلاثة تماثيلٍ كعيناتٍ ورافقنا اتنين من أخوته، ولكن في الطريق استوقفتنا لجنةٌ اشتبهت بنا وبفحصِ السيارةِ عثروا على التماثيل الثلاثةِ فاقتادونا إلى هنا من أسبوعٍ ومن يومها لم يحقق معنا أحدٌ، ولكنهم استدعوني وأحدَ إخوته في مساءِ الأمسِ من الحجزِ وجعلونا نوقِّع على محاضرِ بيضاء، نظر له نادر وابتسم وقال: إذن لا تقلق سيكونُ كلُّ شيءٍ على ما يُرام لا تخف.

خرجَ نادر وأجرى بعضَ الاتصالاتِ مع مسئولين كبار - أسعدهم الحظُ وتماثلوا للشفاءِ على يده - ثُمَّ طلبَ مقابلة مأمور القسمِ والذي طمأنه بدوره أنه جاءه اتصال طُلب منه مُتابعة الأمر بنفسه، ثُمَّ طلبَ منه الدعاءَ والمباركة!

لم يطق نادر المكوثَ في حجرةِ الفندقِ أكثر من نصفِ ساعةٍ دخَّن فيها بعضَ السجائرِ واحتسى الشاي هو وصديقه وعزم على النزول إلى مسجدِ السيدِ البدوي، كان يشعرُ أنه بحاجةٍ إلى جو روحاني خالص يعينه على التفكير والتأمل وها هو قد وصلَ إلى طنطا وبينه وبين مسجدِ البدوي بضعِ دقائقٍ ليحظى بمقابلةِ رجلٍ كثيرًا ما وصفوه له بأنه من أهل الله وخاصته وأنه وليٌّ تُفكُّ عنده الكربُ وتُستجلبُ بزيارته النعمُ والأرزاقُ ويُدفعُ بجسده الماكثِ في الضريحِ النِّقمُ عن أهل الأرض مما يُثيرُ غبطةَ كثيرٍ من أهلِ السماء!! كان على موعدٍ قريبٍ للقاءِ أحدِ الأقطاب الأربعةِ التي تتصرفُ في الكونِ، فها هو الغوثُ سيد الجماعةِ في زمانه وهو الواحدُ الذي هو موضعُ نظر اللهِ في كلِّ زمانٍ كما كانوا يحكون له ها هو لا يفصله عنه إلا مسيرة



دقائقٍ، كان قلبه يرتجفُ كمن سيخوض اختبارَه الأخير مع الإيمان، فقد كانَ مُصرًّا على بلوغِ الحقيقةِ، أطفأ سيجارته وعدّلَ من هِندامه وتمضمض ودهن ثيابه ورأسه من زيتِ المسكِ الأبيض وأخذ صاحبه ونزلَ في طريقه إلى مقامِ السيدِ البدوي.

وفي الطريقِ قال سمير هل تغضبُ إن قلت لك إنني لا أعرفُ حقيقةَ زيارتنا لهذا المسجدِ و لِمَ جئنا إلى هنا؟ ردَّ عليه بصوتٍ هادئٍ وقال: وأنا أيضًا لا أعرف ولكن وجدتهم يسوقوننى إليه كأن في مسجده وضريحه الحقيقةُ الكبرى! أنا يا سمير أحبُ أن أتعاملَ مع الكبارِ وها هو كبيرهم الذي علّمهم السحرَ لا يفصلُنا عنه إلا هذا الطريق، وكما يقولون دع الطارقَ يكشفُ عن نفسه، أنا أشعرُ أنني بحاجةٍ إلى رؤيته مُكرم بين الناسِ ليطمئنَ قلبي لِما أريدُ فعله، أنا أنوي أن أنتزعَ مكانًا لي مثل مكانه هذا ولكن ينقصني أن أطمئن أن الكونَ لا إله له يغضبُ حين أقيمُ ضريحي، يا سمير لا تتعجلُ ودع البدوي يكشفُ لنا عن جنةٍ أو نارٍ أو يُثنينا عن الأمرِ كلّه، سنكون في بيتٍ من بيوتِ أولياءِ الله ولنرى هل حقًا هناك إله؟ وهل حقًا هؤلاء أولياؤه.

حين وصلَ نادر وصديقه إلى المسجدِ لم يكن موعد صلاةٍ فدخل إلى المسجدِ ورَاح يسألُ عن موضعِ الضريحِ فدلَّه الناسُ أنْ انتحِ يمينك، فوَجد بابًا وَلجَ منه هو وصديقه ليجدَ نفسَه في مواجهةِ الضريحِ، وجدَ شاهدًا حديديًا مطليًا بلونِ الذهبِ قد صُمِّمَ على الطرازِ الإسلامي في العمارةِ له أربعة أركان وأمامه صندوق كبير علم فيما بعد أنه صندوقٌ مخصصٌ للنذورِ، وفي إحدى زوايا الغرفةِ حجرٌ منحوتٌ بداخله آثار أقدام ومُحاط بزجاجٍ يسمحُ للزوارِ برؤيةِ الحجرِ المنحوتِ دون مسّه،



وانتصب في أحد الأركان رجلٌ من الشحاتين كثيفُ شعرِ الرأسِ واللحيةِ قد تعمَّم بعمامةٍ خضراءٍ، ويرتدي في رقبته كثيرًا من السّبح التي يبلغُ طولها منتصف ساقه وقد أسندَ ظهرَه إلى الضريح، وكان هناك ثلاثةُ رجالٍ وامرأتان وطفلٌ صغيرٌ يطوفون بحركةٍ منتظمةٍ حول الضريحِ في عكسِ عقاربِ الساعةِ، مال سمير على أذن نادر وقال له ماذا يفعل هؤلاء؟! فقال له: أظنَه الحج الأصغر يا صديقي ثم أشارَ له أن يلتزمَ الصمتَ، اقترب نادر من الضريحِ وأخذ ينظرُ من خلفِ الحديدِ والزجاجِ في محاولةِ أن يرى ما بداخلِ الضريح وبدأ يدور حوله وصديقه في محاولةِ استكشافه، حتى أشارَ لهم رجلٌ يبدو أنه من خُدَّامِ المسجدِ ينبههم أن عليهم أن يدوروا في الاتجاهِ المُعاكسِ أي عكس عقاربِ الساعة!

كانت تنبعثُ من الملابسِ الرثةِ للرجلِ المُعممِ بالعمامةِ الخضراءِ رائحةً نفاذةً تُشبه رائحةَ الجيفِ الميتةِ في آخرِ مراحلِ تحللُها ونتانتها، فابتعد عنه نادر بسرعةٍ ووقف وصديقه في الزاويةِ الأخرى المُقابلةِ بجوارِ امرأةٍ كانت تقفُ ممسكةً بالحديدِ المُذهبِ ناظرةً إلى داخلِ الضريحِ عبرَ الزجاجِ وتقولُ «يا سيدي طال بي الانتظارُ واستبدَّ اليأسُ بي وأنا أنذرُ في صندوقك منذُ خمسِ سنواتٍ ولا ترضى عني فتهبني ولو طفلًا واحدًا!»

أمسك نادر ضحكةً وهو يقول لصديقه: مسكينةٌ لا تعلمُ أن الرجلَ لم يحصل على شيءٍ، عليها أن تُعاتبَ المسئولَ عن صندوقِ النذورِ، فهمس له وقال: ادعُ لهم بالبركةِ يا شيخ فقريبًا تكونُ مكانه، ظلَّ يتجولان داخلَ غرفةِ الضريحِ كسائحين في



بلادٍ غريبةٍ يتلفتان لكلِّ الناسِ ولا يلتفتُ لهما أحد، كان جميعُ الزوارِ مشغولين بأعمالٍ روحانيةٍ بين دعاءٍ وطوافٍ وتمسُّحٍ بالضريحِ لنيل البركة حتى دخلَ رجلٌ في نهايةِ العقدِ الخامسِ من عمره، نحيلُ الجسدِ جميلُ القسماتِ ينضحُ في ناصيته النورُ كأن الشمسَ قد حُبِسَت في وجهه، يقطرُ الماءُ من لحيته البيضاء كأنه اللؤلؤ ويضعُ تحت إبطه حذائه ثُمّ قال بصوتٍ مُرتفعٍ: اتقوا الله واتقوا يومًا ترجعون إليه فيه وتقفون بين يديه ويسألكم عمّا كنتم تفعلون اتقوا الله فهذه الأماكن لا تنفعُ بل تضرُّ فانتفض له نفسُ الرجلِ- الذي أشارَ لنادرٍ باتجاه الطوافِ- وتوجَّه ناحيته غاضبًا وهو يقول: هيا امشِ من هُنا ألم أنهك عن الدخولِ إلى المسجدِ هيا اذهب قبل أن أُنزلَ بك الأذى، وكذلك كان الجميعُ ينظرُ إليه بغضبٍ والشرر يتطايرُ من أعينيهم إلا نادر وصديقه كانت نظراتهم فزعة متفحصةً مندهشةً من الأمر كلِّه، فنظرَ إليهم العجوزُ في ضعفٍ وقال: يَا قَومِ لَقَد أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ثُمَّ انصرف، أخذ نادر ينظرُ لصديقه في صمتً لعدةِ دقائقٍ قبلَ أن يُمسكَ بيده ويسحبه خلفه في محاولةٍ للحاقِ بذلك العجوز حتى استطاعَ اللحاق به عند بابِ الخروجِ، استوقفه نادر قائلًا يا شيخ أنا أريدُك في أمرٍ مهم فقط انتظرني حتى أُحضرَ حذائي ثُمَّ اتجه بوجهه ناحيةَ صديقه مؤذنًا له بالذهابِ لإحضارِ أحذيتهم من المكانِ المخصصِ، وخرجَ الثلاثةُ إلى ساحةِ المسجدِ الفسيحةِ ونادر ممسكًا بذراعِ الرجلِ كطفلٍ يُمسكُ بأمه خشيةَ الضيعة!

بدأ نادر حديثه مع الشيخِ فقال: يا شيخ لماذا تَعامل معك الناسُ في المسجدِ



هكذا رغم أنني أرى على وجهك من النورِ والطيبةِ ما يجعلني أظنك وليًا صالحًا، قال: هم معذورون هكذا تربوا وهكذا رأوا مَن قبلهم يفعلُ، هؤلاء قومٌ لا عقل لهم بل هم كالخشبِ المسندةِ يحسبون كلَّ صيحةٍ عليهم، قال: أظنُ أنك حضرت إلى هذا المسجدِ كثيرًا فخادمه يبدو أنه يعرفُك حقَ المعرفةِ؟ قال: نعم كلما كنت قريبًا من هنا أدخل وأمرُّ عليهم وأحاولُ أن أذكّرهم بالله فإن يهدِ اللهُ بيّ رجلًا واحدًا خيرًا لى من حُمرِ النعم، قال نادر أريدُ أن اجلسَ معك جلسةً طويلةً يا شيخ لو تأذن لي في ذلك؟ قال: على الرَّحبِ والسعةِ، ولكن أخبرني أولًا ماذا كنت تفعلُ في هذا المكانِ داخلَ غرفةِ الضريحِ؟ قال: أنا يا شيخ أحملُ في قلبي همومَ الدنيا وكأنها تجمعت كلَّها داخلَ قلبي لتفتكَ به أنا في رحلةٍ رهيبةٍ مُنذُ أعوامٍ، أحاربُ نفسي وأحارب من حولي حتى بتُّ تائهًا في صحراءِ العمرِ لا أدري ما الوجهة التي ينبغي عليَّ أن أتخذَّها وأمضي فيها إلى آخرها، ومؤخرًا نصحني بعض أهلِ الطريقةِ بزيارةِ هذا الضريح وقالوا: إنه ما من كَربٍ إلا وينفَّك على بابه، فجئتُ هذا الضريح وأنا مكروبٌ أبحثُ عن روحانياتٍ أعلمُ جيدًا أنّها زائفةٌ، وشفاعةٌ أعلمُ أنه لا يملكها، كان الشيخُ يستمعُ إليه بعنايةٍ حتى أنهى حديثه فقال له: سبحان الله على قدرِ التيهِ الذي أراه في عيونك على قدرِ اليقينِ الذي أراه أيضًا فيها إنك تعلمُ أنك على غيرِ الطريقِ السليمِ، يا بني، رجل توفاه الله من زمنٍ ما عساه يفعلُ لك أو لغيرك؟! جلسوا على الرصيف في نهايةِ الساحةِ المُقابلةِ للمسجدِ وهم يُكملون الحديثَ الذي بدءوه.



يا شيخ، دعني أوجه إليك سؤالًا مباشرًا ولا تنهرني وأجبني بما يريحُ قلبي ولكن أخبرني أولًا ما اسمك؟ فأنا اسمى نادر وهذا صديقي ومساعدي سمير، قال: وأنا أخوكم نور، قال: يا شيخ نور هل الله موجود؟ وعلى غيرِ ما توقع نظرَ إليه الشيخُ وابتسم ووضع يده على رأسه مُمسكًا بإحدى خصلاته وقال: قل لي من أين أتى هذا الشعرُ الجميلُ يا نادر، قال: لا أدري ربَّما نبتَ وحده ثُمّ نظرَ إلى الشيخِ مُختبرًا إياه فقد يجيبُ أحدهم بأن هذا كلامٌ عاطفيٌ لا يُقنعُ رأسَ أُشبعَ بالعلمِ مُنذُ نعومةِ أظافره، قال الشيخُ: أولا: عليك أن تطرحَ من رأسك فلانًا وعلانًا دعني أُكلم نادر فقط أو نادر وسمير إن كان صديقك هذا مُتشككًا مثلك، الملحدُ يا نادر هو إنسان اختار أن يعيشَ بلا عقلٍ فلن تجدُ مُلحدًا إلا وستجده مُغفلًا قد عطَّل كلَّ حواسه وأعلن الثورةَ على ما يعتقده فعلًا ويعتقده ضميره، تريدُ أن تلمس ذات الله بيدك لتتأكد من وجوده؟! قل لي: هل داخل جسدك هذا روح؟ قال: نعم، هل أمسكت بها؟ قال: لا، قال: فلِمَ تعتقد بوجودها وتجيبنى بهذه الأريحية؟! هل استطعت أن ترى أو تمس بيدك أي نوعٍ من أنواعِ المشاعرِ؟! الحب.. الكبرياء.. الحقد؟ ورغم ذلك تعتقدُ وجودها اعتقادًا جازمًا بل وتستطيع أن تميزَّ بينها، هل أنت من هؤلاء الذين يؤمنون بالصدفةِ؟ وأن الكون هذا كله بدقته وروعته قد جاء صدفةً؟ قل لي: هل استيقظت يومًا من النومِ ولم تجد ملابسك في دولابك فاستسلمت وقلت لربما نقلتها الطبيعة إلى مكانٍ أخر صدفةً؟ هل كنت تمضي في طريقك وحدك ذات مساءٍ فوجدت مِنشارًا يأتي من بعيد إلى جذع شجرةٍ كبيرٍ



فيقطعه ويهذبه ويجعله صالحًا لكي يتم استخدامه... وكذلك مساميرًا ومطرقةً يأتيان من بعيدٍ إلى حيثُ الخشبةِ فبدءا يجهزانها حتى غدت زورقًا جميلًا وقد حدث كل ذلك في وقتٍ سريعٍ ودون أن يتدخلَ أحدٌ ليقومَ بهذا العملِ ثُمَّ انفجرت الأرضُ لينحسرَ عنها شاطئٌ يسبحُ فيه هذا الزورق؟! هل حدث معك شيئًا كهذا؟! هل لو حدَّثك إنسانٌ أنّه رأى سفينةً كهذه محملةً بالبضائعِ تكونت مصادفةً بغيرِ صانعٍ، وسارت في البحرِ بغير قائدٍ، أكنت تصدقه؟ وهل وجدت فردًا زاد في أسرتك أو عائلتك صدفةً فارتاح عقلك لهذه المصادفةِ التي كثرت سواد العائلة؟! نعم الصدفة.. هل أنت ممن يؤمنون بالصدفةِ ونظريةِ التطور؟ نظر إليه نادر متفائلًا ولم يجب إلا بنظراتٍ تحثُّ الشيخَ على إكمال حديثه، فأكمل الشيخُ نعم، أنا معك أن نظريةَ التطورِ هذه نظريةٌ عظيمةٌ فقط لو استطاعت أن تُخبرنا لماذا لم تتطور هذه القردة في حديقةِ الحيواناتِ حتى الآن؟ ولماذا وقف تطور الإنسان عند هذا الحد مُنذُ آلاف السنين؟ بل ولماذا توقف الكونُ كلُّه عند حركاتٍ تدل بقليل تأمل أنّها تسيرُ وفقَ قواعدٍ ثابتةٍ قد وُضِعت مُسبقًا فلا الشمس ينبغي لها أن تدركَ القمرَ ولا صار في اليوم ليلان ولا ظهرَ في الأماكن المُعتمة قمرٌ أخر مضيء، بل إن عجلةَ التطورِ المزعومةِ قد وقفت عاجزةً عن أن تهدمَ ما اتخذه الإنسان قواعد علميةً من آلاف السنين، وهاك علم الرياضيات الذي يكفي أن يقف وحده لا في وجهِ نظريةِ التطورِ فقط بل في وجهِ كلِّ مُلحدٍ تخلَّى عن عقله ثُمّ ادَّعى التعقلَ، أجبني يا نادر مَن خلقَ علمَ الرياضيات ثم أحوجَ علومَ الكونِ كلَّه لهذا العلمِ؟! وهل المصادفة تصنعُ قانونًا



محكمًا؟! وإذا كانت الطبيعةُ هي التي خلقت هذا الكون، فمن أين جاءت بمكوِّناتِه؟

كلما انتابك شكٌ في أن اللهَ موجودٌ انظر إلى أي شيءٍ حولك.. السرير الذي تنامُ فوقه أو الكرسي الذي بجوارك أو حتى لوحةٍ معلقةٍ في غرفتك وحاول أن تستسيغ أنها وجِدت بغيرِ مُوجِدٍ فستجد عقلك يأخذُك ويفرُّ لحقيقةِ وجودِ الله، وتجدُ البراهينَ تُمطرُ على رأسك من سقفِ غرفتك، تدري يا نادر؟ مَن يُنكرُ وجودَ اللهِ هو كمن ينظرُ إلى قرصِ الشمسِ المُلتهبِ وهو يضعُ كلتا يديه على وجهه محاولًا أن يحمي عينيه من شُعاعها الساطعِ وهو يتساءل أين هي؟ أين هي؟!!

أمعن نادرُ النظرَ إلى الشيخِ وهو يقول لماذا لم أقابلك إلا الآن يا شيخ نور؟ لماذا تركتني كل هذا الوقتِ أتخبطُ بين هؤلاء؟ لماذا تركتني حتى صرتَ وليًا من أولياءِ الله؟ قال الشيخ: وليًا! سبحان الله! وهل كل ما يلمعُ ذهبًا؟! قاطعه نادر قائلًا: أين تسكنُ يا شيخ نور؟ قال: أنا من محافظةِ بورسعيد، سأله ولماذا جئت إلى طنطا؟! أزورُ ابنتي الوحيدةَ فهي متزوجةٌ هنا، أخذَ نادر يُفكرُ كيف يُمكنُ أن يحتفظَ بهذا الشيخِ ويُلازمه لفترةٍ طويلةٍ فقال: ما رأيك أن تنزلَ إلى القاهرة في استضافتي؟ ضحكَ الشيخُ وقال: بل تأتي أنت معي إلى بورسعيد في ضيافتي، قال: ولكنني لستُ وحدي وأيضًا لدي أعمالي ويبدو لي أنك رجلٌ على المعاشِ وغير مرتبطٍ بشيءٍ، فالتزم الشيخُ ملامحَ الجدِ مرةً أخرى وقال: هل تظنُ أنني أجلسُ بغيرِ عملٍ يُنفقُ عليَّ؟ أنا لدى محلٌ صغيرٌ لبيعِ العطارةِ، وأنت ماذا تعملُ؟ هل أنت موظفٌ؟ أجابَ مُسرعًا: لا، ثُمَّ تمَهَّلَ وقال: لا لست موظفًا أنا طبيبٌ ثُمَّ نظرَ إلى سمير



وضحك، قال الشيخ: في أي فرعٍ من فروعِ الطبِ هل أنت طبيبُ أطفالٍ؟ قال: لا، أنا طبيبُ من لا طبيب له، ضحك الشيخ وقال: طبيبٌ يداوي والطبيبُ عليلٌ؟ صدقت يا شيخ نور الطبيب عليل، أنا طبيبٌ روحاني أُعالجُ الناسَ من السحرِ والمسِّ آتي بالغائبِ من البلادِ البعيدةِ وأجلبُ الرزقَ كذلك وأفكُ المربوطَ وأزوجَ العانسَ وأُخبرُ الناسَ بما ينتظرهم في المستقبلِ وبما أحدثوا في الماضي القريب والبعيد، نظر إليه الشيخ بتعجبٍ وقال: أنت إذن الله العليم الخبير!!

ضحك نادر وقال مختبرًا الشيخَ حاشا لله ولكني مُجردُ وليٍّ مَنَّ اللهُ عليَّ بنعمته ففتحَ لي من أبوابِ العلمِ الروحاني ما لم يفتحه على غيري، فقال الشيخُ مُستنكرًا: ولكنك يا بني ما تركت لله شيئًا يُدبره! قل لي يا نادر: هل تُحيي الموتى؟ يا شيخ أنا... قاطعه وأكملَ، انتظر حتى أتبينَ ماهية مُحدثي، هل تسمع الموتى وتجلبُ أخبارهم؟ يا نادر أنتَ تكذبُ، لماذا تتهمُني هكذا حتى من قبلِ أن تختبرني؟ أي اختبارٍ يا مسكين، اختبار فيما أزعُمُ فأنا دارسٌ للعلمِ الروحاني بل وقمت بعملِ أكثر من خُلوةٍ واتبعتُ كثيرًا من مشايخِ الطُّرقِ حتى ترقيت وأصبحت وليًا أُعالجُ الناسَ من كلِّ روحٍ شريرةٍ تلبسَّتهم، قال الشيخ: ولكني أرى أنك أولى بالعلاجِ من هؤلاء فأنا أرى أن ما تلبسَّك أكبرَ مما تلبسَّهم، قال تزعمُ أنني ملبوسٌ ألا تخشى أن أضُرَّك فأنا معي خدمٌ من الجنِ؟ بل أجزمُ أنك ملبوسٌ بجهلٍ أطبقَ على قلبك قبلَ رأسك، أولًا كن صريحًا مع نفسك حتى تستطيعَ أن تكونَ صادقًا معي، ثُمَّ أمسك الشيخُ بنادرٍ من كتفه ووجهه إليه ونظرَ في عينه وقال: يا نادر أنت تكذبُ وتدري



أنك تكذبُ، أبعدَ نادر نظرَه عن الشيخ، فهزَّه هِزةً شديدةً وأعادَ النظرَ في عينه يا نادر أنت تكذبُ، دمعت عينُ نادر وقال: نعم... نعم يا من أضناني بحثًا حتى عثرت عليه مُصادفةً أنا أكذبُ وما فعلت شيئًا يُذكرُ في حياتي إلا الكذب وما لبستُ هذه الملابسَ الغاليةَ إلا بالكذبِ، ثُمَّ أمسك برأسِ الشيخ فقبلها وقال: ما أجمل أن ينظرَ الإنسان إلى نفسه في مرآةٍ صادقةٍ كوجهك هذا! ولكن أخبرني لماذا أراك تهتمُ هكذا لأمري وحالي؟! قال تذكَّر لإن يهدِ اللهُ بك رجلًا خيرٌ لك من حُمر النعم.

عادَ نادر وسمير إلى القاهرة بعد أن اتفقا مع الشيخ على أن يتقابلوا في مدينته بورسعيد في نهايةِ الشهرِ، كان أولُ ما طرقَ رأسَ نادرٍ هو ثلاثة أشخاصٍ قد شكلوا - بما نفثوه من سُمٍ في عقله - ملامحَ شخصيته إنهم طاهرٌ وإيهاب والشيخ الأكبر، كان يأمل أن يرتبَ لهم زيارةً مع هذا الملاكِ الذي قابله داخلَ جهنم السيد البدوي، كان يشعرُ بمسئوليةٍ كبيرةٍ مُلقاةٍ على عاتقه، مسئوليةُ إفسادِ هذه الآلاتِ وإعطابها وتقييد حركتها في المجتمعِ، سرحَ بخياله لحياته الأولى أيام دراسته وكأنه ينظرُ إلى نفسه من جديدٍ ويتساءلُ ماذا لو كنتُ اتممتُ تعليمي الجامعي؟ ماذا لو لم أُقابلُ طاهرَ وإيهاب؟ كان يسألُ نفسَه من أين تُصبُ عليه اللعناتِ هل من دخائلِ نفسه الشريرةِ؟ أم من توجيهاتِ الجيلِ الذي يأبى أن يُسلمَ الرايةَ بأمانةٍ للأجيالِ الناشئةِ؟ هل كنت بهذا الشرِّ أم أنَّهم صنعوه أو اكتشفوه وغذوه؟ تذَّكر الخطابَ الذي تركه له طاهر - والذي أعطته له أمه حين عودته من السفرِ - يُخبره فيه أنه حضرَ إليه ولم يجده وأنه يريدُ أن يُعلّمَه بأنه سوف يذهبُ إلى خلوةٍ عاجلةٍ في كهف الجارةِ بقلبِ



الصحراءِ الغربيةِ يمكُثُ فيها عشرةَ أيامٍ ثُمَّ ينطلقُ بعدَ خروجه مُسافرًا إلى إحدى الدولِ العربيةِ لمرافقةِ ثريٍّ عربي يُرافقه فترةً طويلةً كمستشارٍ لكافةِ أعماله، ألقى نادر الرسالةَ جانبًا وأخذ يضحك.

زار نادر منزلَ طاهر عدةِ مراتٍ لم يكن عاد فيها طاهر لبيته حتى التقى به بعد ما أنهى خلوته وقُبيل سفره بيومٍ واحدٍ، فالتزمه بحرارةٍ صادقةٍ وقال له: ما هذه القرارات العاجلة يا شيخ طاهر وما الأمر؟ قال: هي فرصةُ عملٍ ممتازةٍ، هذا رجل أعمال كبير في الخارجِ ويحتاجُ إلى مشورتي في كثيرٍ من قراراته الحساسةِ، وأنا في هذه الخلوةِ استطعت أن أُزوِّد الخدمة إلى الضِّعفِ حتى أكونَ على أتمَّ استعدادٍ لهذا الأمر، قال نادر: أنا أريدُ أن نذهبَ إلى أي مكانٍ أُريدُ أن أتحدثَ معك في أمرٍ مهمٍ، قال: تكلم ما بك يا نادر؟ ألحَّ عليه نادر في الخروجِ حتى وافق وتوجَّه إلى مسجدٍ قريبٍ.

وبعد أن صلَّيا تحية المسجِد استندَ طاهر برأسه إلى عمودٍ وقال: هيا أخبرني ما الأمر؟! قال له: قل لي رأيك في بمنتهى الصراحةِ، قل لي ما تعرفه وتعتقده عني؟ ابتسم طاهر وقال: ما بك يا نادر؟! فقاطعه وقال: أخبرني ما رأيك بي؟ هل أنا شيخ حقًا وولي روحاني؟ قال: أنا لن أجيبك ولكن يجيبك المرضى الذين شُفوا على يديك بل يُخبرُك مشايخُ الطريقةِ الذين يُحيلون عليك كثيرًا من أمورِ أعمالهم ويأخذون مشورَتَك بعينِ الجدِ ويُخبرك أيضًا احتفاء الشيخ الكبير بمقابلتك.. قل لي: ما بك يا نادر؟ قال: ولكنني أسألك عن رأيك الشخصي دون التأثرِ بآراءِ أحدٍ، قال: وهل نسيت أنني أول من أدخلك من هذا البابِ؟ هل نسيت أنني مَن قدَّمك في هذا



الشأنِ يا نادر؟ وأنني أنا مَن طرقَ لك البابَ حتى فُتِحَ فوَلجت منه حتى تربعت على رأسه؟ أوه، ما لي أراك غامضًا؟ قل لي: ما بك وما ترمي إليه بكلامك هذا؟ أُريدُ أن أطمئنَّ بأنك تثقُ أنني وليٌّ حقًا، وأن الخدمةَ التي معي تُمكنُني من عملٍ ما لا يقدرُ عليه كثيرٌ من الناسِ؟ ضحك طاهرٌ وقال: حسنًا أنت غاضبٌ إذن، إنني سأسافر وحدي وأتركك... ولكن يا نادر الأمر كله لم يكن مُرتبًا له مُسبقًا فما حدث كان..... قاطعه نادر لا يا شيخ أنا لستُ غاضبًا من هذا بل إنني لست غاضبًا أصلًا... أرجوك أجبني... أو اترك الخدمةَ التي معك تُجيبُ نيابةً عنك، فغضبَّ طاهر وقال له: ما لك يا نادر؟ ما لي أشعرُ أنَّك غريبٌ إلى حدٍ كبيرٍ؟ ما بك؟!... هل تنتابُك هذه الحالة - التي تنتاب كثيرًا من المُعالجين - من الشك في قدراتهم؟ اسمع يا نادر أنا رجلٌ روحاني لي في هذا الأمرِ باعٌ كبير، ومُنذُ لقائي الأول بك توسَّمت فيك الولايةَ بكلِّ أركانِها وكنتُ أعلمُ أنَّك ستصلُ إلى ما وصلت إليه، بل أنني أطمح لك في أكثرِ من ذلك أنا أراك تجلسُ على رأسِ الطريقةِ؛ تعطي العهودَ وتكتبُ الأورادَ لمن هم حولك بل إنني أراك تجلسُ مكانَ الشيخ الكبير، إيَّاك أن تتزعزعَ الثقة من نفسك فكما علمتك أن أصل الولاية هي الثقة بالله ثُمّ الثقة بنفسك أما إن ظللت في هذا التنازعِ سيُغلقُ عليك الباب وسوف تُسحبُ منك الخدمةَ إلى غير رجعةٍ وبعد أن كنت وليًا لله ستكون وليًا للشيطان... أخبرني يا نادر: هل لا زلت تذهب إلى ذلك الرجلِ المُلحد؟ أخذَّ نادر شهيقًا يحاول أن يحبسَ به العباراتِ في فمه ولكنها انطلقت كالرصاصات الهادرة في وجه طاهر فقال: يا شيخ طاهر



لأبُد ألا تُسافر وألا تُغادر مصر بل عليك أن تذهبَ إلى بيتك فتنام نومًا عميقًا ثُمّ تقومُ فتستعدُ للسفرِ معي إلى بورسعيد، عبثَّ طاهر بوجهه مُرددًا بورسعيد؟! نعم يا شيخ طاهر بورسعيد... أنتَ تحتاجُ أن تُقابله وتجلسَ معه مثلي تمأما فيمسحُ على قلبك وصدرك بكلماته الدافئةِ فيُعيدُ إليك كثيرًا من عُمرك الذي أهدرته في السنواتِ السابقةِ، قال مَن هذا الذي أجلس معه؟ وما اسم طريقته؟ ثُمّ أردف مُتحسِّرًا... يبدو أن شيخك قد قلَّ كثيرًا في عينك يا نادر.

قال سأُجلسك مع ملكٍ من الملائكةِ، رجل لا تستطيعُ أن تنظرَ لوجهه من كثرةِ نوره، سترى اللُطفَ في كلماته والطيبةَ في عيونه بل ستشعرُ به يُداعبُ شرايين قلبك بمبضعه كأحسنِ جراح عرفه البشر، اسمعني يا طاهر أنا وأنتَ بل والشيخ الكبير وكل رجالِ الطريقةِ على خطرٍ عظيمٍ، فكُلنا يُشبه إيهاب ذلك المُلحد من جانبٍ ما، كلنا يكذبُ بل إننا احترفنا الكذبَ لدرجةٍ جعلتنا لا نستطيعُ أن نُميزَ بين ما هو كذبٌ في حياتنا وبين ما هو حقيقةٌ وصدقٌ، أنا لم أكن شيخًا يومًا ولم أكن روحانيًا، لم يخرج لي أي جنٌ في الخلوةِ التي وجهتني إليها، ولم أرَك هُناك وما ابتعته من بخورٍ لرجالِ الطريقِ كان محضَ كذبٍ افتريته بيدى أنا خدعتهم تمامًا مثلما خدعتك وخدعت المرضى وخدعت نفسي... أنت الآن ومن فترةٍ طويلةٍ تؤكد لي علمك اليقيني بولايتي وصلاحي ولكنني لم أصم في رمضانِ هذا إلا أسبوعًا واحدًا مُتفرقًا وأيضا لا أُصلي من الصلواتِ الخمسِ إلا ما يُصادفُ أن أكون بين الناسِ أو في الليلِ عندما يضيقُ صدري حين أتذكَّرُ حالي فأذهب للصلاةِ لا كأيِّ عابدٍ طائعٍ



بل كأيِّ باحثٍ مُتحيرٍ ينتظرُ أن يظهرَ إليه الإله فوق سجادته!

أنا على حساب كثيرٍ من المشايخِ كافرٌ كفرًا أكبر، أما على طريقة رجالنا فأنا وليٌ صالحٌ، ماذا ستفعل يا طاهر إن سافرت مع الرجلِ فورَّطهُ في صفقةٍ خسرَ فيها كلَّ أمواله؟ جحظت عين طاهر وانفتح فمه على أثر ما سمعه من نادر وظل صامتًا حتى مدَّ نادر يده نحوه وقال: هذه يدي أمدَّها إليك لا كما مددت إليَّ يدك من قبل فجعلتني أنغمسُ في بحورِ الوهم المُتلاطمة بل أنا أمدها لك بدافعِ العطفِ والشفقة عليك وعلى كلِّ نادر قد تُقابله، قم معي نذهب إلى بيتك لترتاحَ ثُم نُجهزُ أنفسنا لزيارةِ هذا الشيخ المُكرم الذي عرف الصدق طريق قلبه فاستطاع أن يلمسَ قلبي، قم يا طاهر ولا تُكابر فقد نموت الآن، ضربَ طاهر كفًا بكفٍ وهو يقول: سبحان الله!... سبحان الله!.. فكما اختارك بغيرِ سببٍ ألقى بك خارج عنايته بغيرِ سببٍ، هل وصل بك الأمر لتفتري على نفسك بمثلِ ما قلته هذا؟!! نعم أنتَ تستطيعُ أن تخدعني يا نادر ولكن كيف تخدع الخدمة التي معي؟ كيف تخدع الشيخ الكبير؟ لا أعرف لِمَ تفترِ على نفسك بمثل هذه الأكاذيب!! صرخ نادر فيه وأسكته وقال: كفى... كفى يا طاهر أنا وأنتَ لسنا بشيءٍ... أنا وأنت نعلمُ إننا دجالين.. فلم نُدرك السحرةَ ولم نظل آدميين عاديين، كفى كذبًا عليَّ وعلى نفسك، كم كنت أرى الدهشةَ في وجهك ووجه الشيخ النّصاب الكبير هذا وأنتم ترون ما أصنع من مُعجزاتٍ، لم تكن مُعجزات يا شيخ طاهر لم تكن مُعجزات، والمرضى لم يكونوا مرضى بالجانِّ بل كانوا مُصابين بِما هو أعظم من ذلك كانوا مرضى نفسيين تركوا



أنفسهم للوهم والخوف يفتك بهم، والمريضة الوحيدة التي قابلتها بها مس حقيقي لم أستطع أن أفعل شيئًا حيالَ مرضها بل وقفت عاجزًا منبهرًا تمامًا مثلكم وهربت بصحبتكم بعد أن تذرعت بالأعذار، يا طاهر سأظل أنا وجه الحقيقة الناصح الصارخ في وجهك... لا لسنا إلا مجرد دجالين نبيعُ الوهمَ للناس ونحصلُ على أموالهم نظيره، أنا الآن مؤمن حقًا بوجودِ الله... نعم، كلمات الرجل كانت بسيطة ولكنّها كانت صادقةً تحمل الصدقَ برائحته التي نسيناها من زمنٍ بعيدٍ، قم معي فأنا أريدُ لك الخيرَ ولكن بحقٍ، قال طاهر أنا لا أصدقك ولا أعلم لماذا تفعل ما تفعل الآن؟! قال: اجعل خَدَمَتك تخبرك أم أن الأمر استعصى عليهم أيضًا؟ يا طاهر الآن نجلس أنا وأنت فقط لا يسمع حديثنا إلا الله وحده فلِمَ الخجل وأنا بدأت بالأمر وقلت لك أنني كاذب دجال، قاطعه ولكنني لست كاذبًا ولا دجالًا، قال نادر بحدةٍ: أنتَ مُصرٌّ إذن على ما أنت عليه من الغشِ والوهمِ؟ قال: أنا مُصرٌّ على أن أكونَ جُنديًا اختاره الله لتدبيرِ أمور عباده، حسنًا إذن سنفترقُ، قالها نادر بألمٍ وحزنٍ، قال: نعم فلا يجتمع أولياءُ الله وغيرهم ولنلتقِ بعدَ عامٍ أو عامين لنرى أين وصلتَ وأين وصلتُ أنا، نهضَ نادر من مكانه وانصرف من غيرِ أن يلتفتَ وراءه.

توجَّه إلى بيت سمير وأخبره أن طاهر قد نوى السفرَ وأخبره بالحديثِ الذي دار بينهما فكان رد سمير أن قال: عنده حق تمامًا يا نادر أيُّ عبثٍ هذا الذي تقول؟ هل اشتقت لأيامِ الفقر؟.. أظنُّ أنك لم تفكر جيدًا في عواقبِ كلامك هذا، تدري ما معنى أن تخرجَ للناسِ فتخبرهم أننا كُنا نكذبُ عليهم ونسرق أموالهم؟ لن نستطيعَ



العيشَ هُنا مرةً أُخرى، قال نادر: ولماذا لابد أن نعيشَ هُنا فلنرحل، أرض الله واسعة، وما المقابل يا نادر أمام كل هذا؟ المقابلُ هو أن نعيشَ مطمئنين.. أن نعلمَ لماذا جئنا وإلى أين سوف نذهب.. لكي نستطيعَ النومَ بعيدًا عن هذه الكوابيس التي تُلاحقنا كلما أسندنا ظهرنا للراحةِ، نهض سمير واقفًا وأعطاه ظهره وقال: ولكنني لست معك في هذا، نظر إليه نادر صامتًا ثُمَّ قام لينصرفَ وهو يقول: سوف أسافرُ إلى بورسعيد الخميس المُقبل فإن شئت تعالَ معي وإن شئت كن هنا... ارخِ أعصابك ثُمّ اختر أين تريد البقاء؟... ثُمَّ انصرف.....

كان لقاءُ نادر والشيخ نور لقاءً قليلًا ما يتكرر ومن يستطيعُ أن يستوعبَ رؤيةَ الشياطين وهي تُصافح الملائكة؟!

ولكن شيطان نادر كان قد فارقه مُنذُ اللحظاتِ الأولى من لقاءِ الشيخ نور في ضريحِ البدوي، فقد سافر إليه بقلبِ طفلٍ صغيرٍ يرتجفُ، يتفاءل بالمستقبلِ ويُهيلُ الترابَ على كلِّ الماضي بكلِّ ما أُوتي من قوةٍ، ولكن عندما التقى الشيخ نور في بورسعيد ـ وكانا يسيران فوق المعدِّيَّة ـ وبينما هو يختلسُ نظرات من صفحةِ الماء الرائقةِ أمامه وجد نفسه يحكي ماضيه حتى من غيرِ أن يطلبَ منه؛ حكى له عن إيهاب وطاهر مرورًا بإسراء وحمدي حتى قاطعه الشيخ ضاحكًا: موقفٌ تُحسدُ عليه يا نادر وكيف استطعت أن تخرجَ من هذا المأزق؟ قال: الأب بسيجارته المحشوة، تحججت بالغضب لِما فعله، قال الشيخ نور: الله اختارك يا نادر فأرسلني في طريقك فأنا لا حول لي ولا قوة، وربَّما لو جئت إليك قاصدًا ما لمسَ كلامي قلبكَ ولا عقلك



ولكنّ الله أراد هدايتك، لابد أن تسأل نفسك ثُمَّ تستنتج، اسأل نفسك لماذا أنتَ بالذاتِ وليس طاهرًا أو سميرًا أو حتى الشيخ الكبير؟ ثم تستنتج أن اللهَ رحيمٌ فبرغم كل ما فعلته إلا أنه أمهلك، تلك النظرات المُندهشة التي رأيتها في عيني وأنتَ تُخبرني بتفاصيل حياتك لم تكن لفداحةِ أفعالك - وهي كذلك - ولكن كنتُ مندهشًا من حلمِ الله عليك من إمهالك وقبولك بعد كلِّ هذا، الله اختارك يا نادر لأنك بحثت عنه بصدقٍ فلم تجعلك الأموالُ تخلُد للدِّعةِ والراحةِ بل كانت تُلهب عقلك للبحثِ عنه، قال نادر: ولكنني أقع الآن في حرج ما شعرتُ به من قبل قط... أشعرُ بخوفٍ ينتابُني كلما هممت بالصلاةِ أشعرُ بحرجٍ في المقابلةِ أشعرُ بالاحتياجِ إلى الاختفاء... أرى اللهَ اليومَ أقرب لي أراه غاضبًا لا يرضى، نظر إليه بشفقة وقال: ولكن اللهَ يرضى من عبده أن يأكلَ الأَكلةَ، فيَحمده عليها، أو يشرب الشَّربةَ، فيحمده عليها، وهل ضر ماضيك هذا الله أو نقص من مُلكه شيئًا؟ تأمّل ثُم أجابَ: لا، ولكن.. قاطعه وقال: عليك أن تنسى كلمةَ لكن يا نادر، عرفت فالزم فقد لا يكون أمامك مُتسعٌ من الوقتِ والعمر لتفعل فما عليك الآن إلا أن تبادرَ وتفعل، قال: وما هو أول شيءٍ يتوجبُ عليَّ فعله؟! قال: اتقِ الله فيما بقي من عمرك يُغْفَرُ لك ما قد مضى ثُم قال: يا نادر أخرج كلَّ ما في جيبك من مالٍ وضعه هُنا على هذا السورِ، بادر نادر لإخراج كل المالِ الذي معه ووضعه حيثُ أشار الشيخ، جذبه الشيخ من يده وقال له: هيا بنا نمضي ولا تلتفتُ.

تغيَّر حالُ نادر كثيرًا فصار يأكلُ بشهيةٍ وينامُ بعمقٍ ويتنفسُ بارتياح.. خُطواته



هادئة ويداه ثابتتان وعضلاته مسترخية وعيناه توحيان بالثقة والطُمأنينة، جلس مع الشيخ في مساءِ يوم الاثنين يتسامران بعد أن أنهيا إفطارهما- حيثُ الليالي القمرية - فحكى له الشيخ قصةَ الثلاثة قاطع الطريق والبلطجي والشاب المُستهتر، فقال له: يُحكى أن في وقتٍ يَبعدُ عن زماننا هذا أكثر من عشرين عامًا كان هُناك ثلاثةُ شبابٍ واحدٌ قاطع طريق يُفزعُ المارةَ فُيخرج عليهم بالسلاح ويسرق ما معهم من مالٍ أو أي شيءٍ يجده ذا قيمةٍ، وأخر بلطجي يستعينُ به الناسُ كلما أرادوا أن يتشاكلوا سواء كان على حقٍ أو باطلٍ والأخير شاب مُستهتر لا يُلقي للدنيا بالًا يحتسي كلَّ أنواعِ المخدرات والكيوف ويهيمُ مع النساءِ على وجهه في كلِّ وادٍ، شاءَ القدرُ أن يجتمع الثلاثة في منطقةٍ سكنيةٍ واحدةٍ بل ومدرسة ثانوية واحدة، كان لقاؤهم دائمًا على الشرِ... فلم يجتمعوا أبدا لخيرٍ وفجأة ودون أي مُقدماتٍ تُذكرُ، انتبه واحدٌ منهم لنفسه فسخطَ عليها وكرهها وصارَ يُفكِّرُ في أن يُغيرها ليلَ نهارَ، وكانت آفته المانعةُ من التغييرِ هي التسويف فكان كُلَّما همَّ بإصلاح نفسه يقولُ: غدًا أفعلُ حتى جاء يومٌ وسمع آيةً بسيطةً تقول: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤] لا أدري ولا هو حتى يدري ما الذي صرَع قلبه وأسقطه مغشيًا عليه بين يدي الآية! صارت تُطاردُه في أُذنه ليلَ نهار حتى استسلم فطردَ التسويفَ وبادر للتوبةِ فأول ما فعل قطع علاقته بجميعِ أصدقائه القُدامى ولم يكن يُغادرُ بيته إلا للصلاةِ في المسجدِ وربَّما جلسَ بعد الصلاةِ لسماعِ درس أو لانتظار صلاةٍ مُقبلةٍ، ظل على هذا عامًا أو عامين حتى دخلَ عليه شهرُ



رمضان فنزل إلى المسجد كعادته ليؤدي صلاةَ الفجرِ ولكن في الطريق لاح له أن يُغيِّرَ مسجده فيُصلي في مسجدٍ أخر أبعد منه ابتغاءَ الأجر فلمَّا دخل المسجد وأنهى صلاةَ الجماعةِ جلس كعادته ينتظرُ درسًا خفيفًا كما اعتاد الناسُ في هذه الليالي المُباركة، كان يجلسُ حينها في الصف الأولِ وبعد أن أنهى الإمامُ الصلاةَ التفت نحو الناسِ فصُعقَ صاحبنا هذا لمَّا وجد أن الإمام هو هو صديقه قاطع الطريق!! ولكن بعد أن تحسن شكله كثيرًا عن ذي قبل وصار النورُ في وجهه وتحسنت لُغته فصار يتكلمُ العربيةَ الفُصحى! وبعد جِلسةٍ واحدة بينهما اتفقا على أن يبحثا عن الصديقِ الثالثِ المفقودَ فيحاولون أن يجذبوه لطريقِ الطاعةِ وبقليلِ بحث وصلوا إليه ولكن وجدوه على غير ما عرفوه، وجدوه شخصًا هزيلًا خائرَ القوى أعمى البصرِ!! أخبرهم بعد سؤاله أنه قام في يومٍ كعادته ليذهبَ إلى العملِ ولكن وجدَّ نفسه قد فقدّ بصره بلا مُقدمات وبلا أسبابٍ بل كان يحاول أن يُقنعهم أن ما به مس شيطاني، وبعد كلمات بسيطة منهم انصاع ولان في أيديهم فأصبح لا تفوته صلاة في المسجد واتفقا على أن يختم القرأن معهم حفظًا، ولكن بعدما أتم الجزءَ الأول في فترةٍ وجيزةٍ وتحديدًا في يومِ التاسعِ والعشرين من رمضانِ شاء الله أن يتوقفَ قلبه وتنتهي مُعاناته إلى هذا الحدِ ومات.... كان نادر يستمع بإنصات وتأمل فقال: ومن أين عرفت هذه القصةَ يا شيخ؟ قال له: أنا ذلك الشاب المستهتر ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ٩٤] أتمنى أن تكونَ فهمت لماذا أهتم بحالك؟.. لا يوجد شخص يا نادر لا يوجد فيه أمل.... ولكنها المبادرة.



جميلةٌ ورائعةٌ وجذابةٌ هي حياةُ الطاعةِ إذا قُدِّرَ لك أن تتبعَ قائدًا حقيقيًا يدلُّك على بدايةَ الطريقِ ومعوقاته ليتركك بعد ذلك تنطلقُ غير مخشيٍّ عليك من ذئاب الطريق ولا لصوصه أو دجالينه، وربما صِدق نادر هو ما أوقعه في طريقِ الشيخ نور الذي استطاع أن يخرجه من عباءته القديمة إلى حلة جديدة يشرق فيها قلبه بنور الطاعة، ما أجمل أن يجمع لك شتات قلبك!

أمسك الشيخ نور بالورقة التي قدمها له نادر وجلس يتأملها طويلًا ويبتسمُ ثُمَّ قال: أولًا: عليك أن تفهمَ أن اللهَ ملك يحكمُ فلا مُعقبَ لحكمه ولا رادَّ لأمره، حقه على العبادِ أن يُطاعَ فلا يُعصى ولا بد أن تفهمَ أن الأحكامَ الشرعية لا تُعللُ فلا يصحُ أن نقولَ لماذا الصوم؟ ولماذا الصلاة؟ ولماذا هذا العدد؟ بل إن الواجب على المُسلمِ أن يقولَ سمعنا وأطعنا ثُم له أن يتأملَ بعد ذلك ويستخرج من الحكمِ ما يُريحُ باله، أما أين عدل الله حين خلقَ الضعيفَ والقوي ولماذا خلقَ المنافقَ والمجرمَ والكافرَ والظالمَ؟ قل لي كيف استطعت أن تعرفَ الخيرَ أليس بوجودِ الشرِ؟ وهل لو لم يكن في الكونِ إلا النور هل كان يُمكنُ أن تعرفَ الظلمةَ؟ فالشيءُ يُعرفُ بضده ولكي تعرفُ معاني الجمالِ لابد أن تعرفَ معاني القُبحَ ومن غيرِ الضدين فلن يكن هناك معنى لأي شيءٍ، فلو لم يكن هُناك شر لم يكن هُناك معنى لخلقِ الأرضِ ولا وجودنا فيها فعلى أي شيء سوف تحمدُ اللهَ؟! وعلى أي شيءٍ سوف تلجأ إليه لينصرك ويحميك؟ وعلى أي شيءٍ تستغفره وتطلب رحمته؟! فبدون الشرِّ تتعطلُ الحكمةُ الإلهية في الخلقِ، بل تعال للقوة هل ولد قوي ولم يمر بضعف في طفولته فكان يحتاجُ



لمن يُطعمه كما تحتاجُ صغارُ الفراخِ؟! وإذا تبوَّل فعلها على نفسه كأي عاجز وكان يُمكن للضعيف الذي في ذهنك هذا أن يقتله أو يتحكمُ فيه في صغره، فالضعف والقوة نسبيان ككلِ شيءٍ هذا ضعيف مقارنة بهذا ولكنه قوي مقارنة بغيره هذا غير أن هناك مواطن معنوية للقوة والضعف لا يُمكن قياسها، والدنيا دارُ ممرٍ وليست دار مُستقر، فالقوي هو قوي فترة من حياته ما تلبثُ تنقضي فيكون كهلًا تتلاعبُ به الصبيانُ الصغار والضعيف لابد أن يأتي له يومٌ ويموت فيكون في الحياة الأبدية، والله خلق الكونَ ودبَّر أمره وقضى في الخلقِ بعلمه وهو حكيم، ففي الآخرة سيقف كلُّ إنسانٍ لُيُسأل عمَّا فعل وظلم ولن تزل قدم عبدٍ حتى يقتص منه أو يقتص له، فالُمسلم ينظرُ نظرةً شُمولية تجعله يطمئن أن ما من مظلمة في كون الله إلا وسيردَّها الله لُمستحقها، فكلُ شيءٍ عنده مكتوبٌ وفي علمه موجود فكيف نخشى أو نعارض ونحن نؤمنُ بملكٍ يُهيمنُ على الكونِ كله، أما الكافر والمنافق فهم مَن اختاروا ذلك قل لي: هل منعَ الله أحدًا منهم من أن يعود لجادةِ الحق والصواب؟ بل على العكسِ فقد أمطرهم الله بالوعودِ بالعفو والمغفرةِ إن رجعوا قبلَ الموتِ وطمأنهم إلى حسنِ مآلهم ولكنهم لم يستجيبوا، فلم يرضَ الله للناسِ الشرَ والكفرَ والنفاقَ بل حذَّرهم منه ونهاهم عنه وكال لهم التهديدَ إن اقترفوه وأسبغ لهم الوعودَ إن سلكوا طريقَ الخيرِ فأي شيءٍ بعد ذلك ينتظرون؟ ثم أن اللهَ عليمٌ يعلمُ كلَّ ما كان وما سيكونُ فالله لم يُحاسب أحدًا بمجردِ علمه فيه بل تركَ له الاختيارَ ولم يُعاقبه قبلَ أن يُمتحنَ ولفترةٍ كافيةٍ، انظر إن كان لك ابن لا يُذاكرُ أبدًا فقلت له يا ولدي إنك لن تنجحَ



هذه السنة وهذا بمقتضى علمك بحاله وقد رسب بالفعل هل تكون أنتَ الذي جعلته يرسب في الامتحان؟ ولله المثلُ الأعلى فهو العليم الخبير.

خرجا إلى البلكونة ومعهما كوبا الينسون فأكمل الشيخُ نور:

ولماذا يُقتلُ المسلمون في كلِ أنحاءِ العالمِ ولا يتدخل إلهُهُم وينقذَّهم من هذه المذَّلة؟ ولماذا تفوَّق أهل الكُفرِ في كلِّ مجالاتِ العلومِ ولا يزال العالم الإسلامي يُفكِّرُ بأيِّ قدمٍ عليه أن يدخلَ إلى الحمام؟

أين حدث هذا في الماضى أم في الحاضر؟ نعم.. نعم أعلم أنك ستقولُ في الحاضرِ إذن يتوجبُ عليك أن تُخبرني لماذا لم يحدث هذا معهم في الماضى عندما ملك خُلفاءُ المسلمين نصفَ الأرضِ بخيراتها وفتحوا كلّ ما طالته أيديهم من البلادِ؟ حسنًا لن تجد إلا أننا كمسلمين تغيَّرنا فغيَّر اللهُ علينا، الله خلقَ للكونِ قوانينَ لا تُحابي أحدًا، فإذا دخلَ رجلٌ مسلمٌ وأخر كافر إلى النَّار سيُحرقُ الاثنين ولن تكون النَّار بردًا وسلامًا على المسلمِ ففي النهايةِ هو ليس إبراهيم الخليل فلا حاجة لوجودِ معجزةٍ، كذلك إن اللهَ لا يضيع أجرَ مَن أحسنَ عملًا والعلم يا نادر هو عمل حسن، فكل من عمله أخذ أجرته في الدنيا فإذا اجتهد غيرُ المُسلمِ في العلمِ فتحَ اللهُ له - كما وعد المجتهدين - آفاق الاستفادة من هذا العلم، فمن ينتظر أن ينزلَ اللهُ بالكافرين جميعهم صاعقةً من السماءِ تقضي عليهم عن آخرهم نقولُ له: ولماذا سمحَ لهم اللهُ أن يولدوا أصلًا؟! يا نادر هذا سؤال الاتكاليين، والإسلام ليس دينًا يصلحُ للتواكلِ بل هو دين علم وعمل، كان للمسلمين الريادةُ في العلوم فكانت لهم الدنيا أما اليوم فلا ريادة لهم في



شيءٍ لا يحسنون إلا النقد وبنية غير صادقة في كثيرٍ من الأوقات.

أما وما معنى أن يخلقَ اللهُ أطفالًا لا ذنب لهم بعاهاتٍ مُستديمةٍ وإعاقاتٍ لا شفاء منها؟ لابد أولًا أن نتفقَ أن اللهَ حكيمٌ وما دام حكيمًا فكل ما يفعله هو الحق والصواب عندها نستريحُ، وإجابة سؤلك تحتاجُ إلى سؤالٍ، كان رسولُ الله ﷺ أحبَ الناسِ إلى الله رفعَ قدرَه وذِكرَه ورغم ذلك ابتلاه بموت أولاده جميعًا في حياته إلا واحدة وكذلك حُصِرَ في شعبِ أبي طالبِ وأُوذي في عِرضه بل سبه السفهاءُ وقالوا عنه ساحرًا ومجنونًا ومدعيًا للنبوةِ وحاربوه وأخرجوه وأصحابه من بلادهم وهي أحبها إليه ﷺ بل نقولها بملءِ الفم أنَّه كان أكثرَ الناس ابتلاءً، فهل هذا يجعلنا نظنُ أن الله كان يبغضه أو يُعاقبه؟ قال نادر: لا

قال: إذن كان هناك حكمة تقتضي وجود كل هذه الابتلاءات، ولا يُشترط أن تنكشفَ لنا كلَّ حِكمِ الله في كلِّ شيءٍ، إنَّ أصحابَ العاهاتِ وإن سُلبوا بعضَ نِعمِ الله -تعالى- التي لا تُحصى فقد أسقطَ الله -تعالى- عنهم ما قابلها من التكاليفِ، وذلك يُعد تعويضًا عمّا أُخذ منهم، علاوةً على التعويضِ في الدارِ الآخرة، ولو قسنا عددَ هؤلاء بالنسبةِ إلى سائرِ الناسِ لتبيّن لنا أنّهم أقلُ من عُشرِ معشار الناس، وبهم تحصُلُ العبرةَ للبشرِ فيشكروا الله على إتمام نعمته عليهم، فتذهبُ عنهم الغفلةً عن عظيمِ فضله وجزيلِ إحسانه إليهم، وعلي الجانب الأخر يكون أجرُ هؤلاء المعاقين هو الجنة، ثُمَّ قل لي يا نادر: حين خلقك اللهُ فقيرًا هل كان لك ذنبُ؟ قال: لا، قال: حسنًا... هل تظن أن مَن يُولدُ أعمى كمن يفقدُ بصرَه بعد أن ذاق نعمةَ الإبصار؟



قال: بالطبعِ لا... قال هؤلاء حرموا من نعم لم يذوقوها، وعلى الحقيقةِ هم لا يتألمون بالمقدارِالذي تظنُ، فهل أنتَ تتألمُ كل لحظةٍ لأنك لا تملك زوجةً جميلةً.. وأطفالَ نُجباءَ.. ولا يوجد في بلدك زهرة النابنط النادرة، أظنك لا تتألم كثيرًا من أن الله قد حرمك من نعمةِ الاسترخاء في جزرِ المالديف ولا لأنه أخذ منك نعمةَ الجلوسِ على سطحِ القمرِ وأعطاها لغيرك، على أي حالٍ هي نعم لم تتذوقها ولا تعرف متعتها وإن كنت أحيانًا تشتهيها، يقولون: إن أقصى ما اقتناه فرعون مصر هو عربة كرُّو يجرها حصان وها أنتَ تركب سيارةً خاصةً هذه نعمة، ويقولون أيضًا: إن إمبراطور فارس كان يُضيئ قصره بالشموعِ وقناديلِ الزيتِ أما نحن فانظر - أشار نحو مصباحٍ مضيئ - وكذلك مراوح ريش النعامِ التي كان يمروح بها العبيد على وجهِ الخليفةِ في الصيفِ عندك مكانها التكييفات والمراوح!! قل لي: هل بعد أن حيز لك مُلكَ فرعونِ وإمبرطور فارس وعبيد السلطان تشعر بما كانوا يشعروا به وهم يتذوقون هذه النعم؟ ضحك نادر وقال: لا... قال: نعم، فلا تحزن للأطفال المشوهين وذوي الإعاقة لأنَّ الله يرعاهم ويدخر لهم من الخير ما لو رأيته أنتَ لربَّما تمنيت لو خُلقت ضريرًا، ولكن عليك فقط أن تتقي الله فيهم وتجعلهم سبيلك إلى الجنةِ... انظر يا نادر كيف حوَّل الله ضعفهم قوةً حينما يجعلك تُلازمهم وتُعيِّن نفسك مسئولًا عنهم وعن أحلامهم!! انظر كيف أجرى لهم في قلبك الرحمةَ كما لا يُجريها لغيرهم في ذاتِ هذا القلب... يا نادر لا تقلق عليهم فالله خلقهم بحكمةٍ وهو يتولى أمرهم، أما سؤالك هذا فيجعلني أُشفقُ جدًا عليك وكيف يكون اللهُ



رحيمًا وقد سُلبت من المرأةِ كلُّ حقوقها بجعلها مجرد أداة لمتعةِ الرجلِ؟! مَن قالَ إن المرأةَ مجردُ أداةٍ لمُتعةِ الرجلِ فهو لم يعرف الإسلام ولم يعرف المرأة بل لم يعرف أيضًا الرجل، من يقول هذا هو شخص لا يعرف أي شيءٍ عمَّا حوله، النساءُ شقائقُ الرجالِ لهن مثلُ الذي عليهن، كلُّ ضعفٍ فيهن أسقط أمامه تكليفًا، تكفَّلُ اللهُ بالإحسان لمن يُحسنُ إليهن، جعلهم زينةَ الحياةِ ومكافأة الجنانَ، اللهُ خلقَ المرأةَ وجعل فيها سره الأكبر الذي يقفُ الإنسان عاجزًا عن وصفه وفهم كلَّ أبعاده، هي سببُ الحياةِ لابنها فتكون المرأةُ سببَ حياةِ كل رجلٍ أمًّا وزوجةً وابنةً، بل لا يكون الرجلُ رجلًا إذا عاملها على أنّها مجرَّدُ أداةِ إمتاعٍ، فالإنفاق عليها واجبٌ يُؤجرُ عليه الرجلُ ولكن الحقيقةَ أن من جعلها أداة امتاع هم أشباه الرجالِ وللأسف كثيرٌ من النساء طاوعت هؤلاء الأشباه فجعلت نفسها مجردَ أداة مُتعةٍ جنسيةٍ- هكذا تقصدُ في سؤالك- لابد أن تعي جيدًا أن اللهَ خلقَ الحياةَ حياديةً تجاه كلِّ البشرِ ولكل منهم موقعه فيها ثُم تخلَّى من تخلَّى فبادر غيرُه وأخذ مكانَه لا بتواطؤٍ مع الحياةِ ولكن بتخلٍ من صاحبِ الحقِ، فكما قلت لمَّا ركن المسلمون وضيَّعوا العلمَ بادرَ إليه أهلُ الكُفرِ ولمّا ترك المسلمون بابَ الطب التقفهُ غيرهم وهكذا كل مَن يتخلى عن مكانه يأتي غيره فيشغله، وكثيرٌ من النساء تخلت عن دورها لنساء أُخريات كالزوجةِ التي تخلت للعشيقة والأم التي تخلت للمربيةِ، والمرأة أيضًا مظلومة فهي تسيرُ اليومَ بلا قائدٍ أو دليلٍ، تخبط عشوائي، ومطلوب منها تجربة كلِ شيءٍ بنفسها، فكثير من النساء لا تجد من يختصرُ لها العمرَ ويُقدِّم لها الخبرات المعتقة على طبقٍ من ذهبٍ كما



هو مطلوب من المُجتمعِ المُسلمِ، ولكن انظر إلى المُجتمعِ غير المسلمِ ستجد أن المرأةَ نفسها هناك تعتقدُ أنها ما هي إلا أداة خُلقت للمُتعةِ ثُمَ يُلقى بها في أقرب سلة!

ثُم بملامح غلبَ عليها الشفقة والحزن قال: ولماذا أسوأ الشعوبِ أخلاقًا هي الشعوب المسلمة؟ هذا لأن الإسلام دينُ الأخلاق، فالنبي ﷺ قال: إنه ما جاء إلا ليُتمم مكارمَ الأخلاق، فلمّا ابتعدنا عن الإسلام ابتعدنا بالتبعيةِ عن الأخلاق، فأيُّ شيءٍ سيجبرك على الصدقِ يا نادر وقول الحقِ حتى على نفسك إلا الدين؟ وأهم ما ينقصُ مجتمعاتنا هو الصدق... الصدقُ يجلبُ الرحمةَ والرحمة تجلبُ التسامحَ وهكذا دواليك، الشعوبُ المُسلمةُ ليست حجةً على الإسلام وليست سفيرةً له إلا إذا التزمت به وتقيدت بتعاليمه، فهل وجدت يومًا أية تحثُّ على الكذبِ والسرقةِ وأكلِ أموالِ الناسِ بالباطلِ؟! هل وجدت أيةً تحثُّ الناسَ على الظُلمِ والجورِ وشهادةِ الزورِ؟! إذن لسنّا سفرائه حتى نتقيد به.

ضحك نادر وقال: ذكَّرني هذا الموقف بأولِ مقابلةِ لي مع طاهر كان يقولُ لي: إنني سأكون وليًّا لله أظنه كان يقصدُ أن أكونَ سفيرًا... أخشى أن أقولَ لكَ أريدُ أن أكون سفيرًا فتظنُ أنني لازلت على عهدي الأول، قال الشيخ: لا... بل قُلها ورددها كثيرًا وعمِّقها في نفسك وتقيد بها، تقيَّد فى كلِّ أفعالك بخلقِ المسلم، قال: ولكنّك كنت بشوشًا جدًا معي رغم معصيتى! قال: تعرف ما هو دورك الأول تجاه أي عاصٍ مُنحرفٍ؟ قال: ما هو؟ قال: أن تعذره، أعذره؟!! نعم تعذره، ولكن ما كان عذري أنا يا شيخ حين كنت أعصي الله؟ كان عذرك جهلك، ولَّما صدَقت صدقك الله -تعالى-.



كان إقبال نادر على العبادة كإقبال الرجلِ شديدِ الجوعِ على الطعامِ أو كإقبال التائه في الصحراء - عدة أيام - على الماء، كان كلمَا شرب عطش فلا يرتوى، وجدَ في كلامِ الشيخِ نور إجابة لكثيرٍ مما أرهق عقله من قبل ثم تولَّى هو - بالتأملِ- إجابة الباقي من الأسئلة وبعد عدةِ شهورٍ زاد وزنه قليلًا وكان يزور أهله كل فترةٍ ويطمئنهم عليه وعلى أحواله، لم يعترف لأحد ممن يعرفه عن سابق جرائمه كمَا نصحه الشيخ نور بالاكتفاء بأنه إذا سُئل عن شيءٍ يُجيبُ بالحقِ فلا يفضح نفسه، وأيضًا لا يتمادى فيما كان عليه من قبل، وكلما ذهبَ يسأل عن سمير أخبروه أنه مسافرٌ مرةً إلى أسوان ومرةً إلى المنيا وهكذا، أما طاهر فقد غادرَ القاهرةَ مع ذلك الثري مُنذُ أن تركه نادر وانصرف، وبعد طولِ عناءٍ انشرح صدره وهدأت نفسه، وشعرَ بطمأنينة في قلبه مكَّنته من النومِ العميقِ ساعة الظهيرة فقد كان يترك ثُلثي الليلِ للتأملِ ومُناجاةِ ربه، وانحصر يومه بين العملِ الجديدِ الذي التحق به كعاملٍ في إحدى المحلاتِ لبيعِ الأسماك ببورسعيد، وبين المسجدِ الذي لم يكن يُفارقه، ورغم أنه كثير ما أجَّل لقاءه بإيهاب وتزرَّعَ لنفسِه بالحججِ كُلمّا نزلَ إلى القاهرة حتى لا يُقابله إلا أنّه هذه المرةِ وجدّ من نفسه إقبالًا على الذهابِ له وهو يتذّكرُ كلماتِ الشيخِ الأولى له «لأن يهدِ الله بك رجلًا خيرًا لك من حُمر النعمِ».

كيف حالك يا نادر أراك سمِنتَ قليلًا؟ ضحك نادر وقال: نعم، إنها آثارُ العافيةِ يا صديقي، أخبرني كيف حالك؟ قال: بخيرٍ لا ينقصُني سوى أن أُغيِّر هذه الخادمةَ المُصابةَ بالصممِ والتي اقتربت أن تُشفي قدمي فأقوم لها فأشق رأسها



نصفين، ابتسم وقال: كن خلُوقًا لابد أنها لا تسمعك اصبر عليها، قال: سأصبر إما أن تشفى أو أُشفى أنا فأنفِّذ ما أنوي... ثم أخذَّ يصرخُ مُناديًا على الخادمةِ ولكن أحدًا لم يُجِب... ضحك نادر وقال: ماذا تُرِيدُ وسوف أحضره أنا؟ قال: مُستسلمًا ها هو البار أمامك اختر لنا ما شئت وتعالَ، توقف نادر وابتسم إليه ثُم جلس القُرفصاء بين يده واقترب منه وقال: سامحني يا صديقي لم أعد أصلحُ لمثلِ هذه المهام أنا جئت إليك اليوم لأفعل شيئين: أولًا: لأُعطيك هذه الأجندة تقرؤها بعد أن انصرف، الأمر الأخر: هو أن نتفقَ على موعدٍ تُسافرُ معي فيه إلى بورسعيد أو أن أحضر أنا إليك وبصحبتي ضيف عزيز على قلبي، نظر إليه إيهاب والدهشة على وجهه وقال: أنا لا أفهم شيئًا! قال: حسنًا ستفهم كلَّ شيءٍ بعد أن تقرأ ما دونته لك في هذه النوتة وأنا ما سهرت على كتابتها إلا لِما أعرفه عن رجاحةِ عقلك وطيب قلبك وإنصافك ولأني في النهاية أحبك... سأنصرف هل تريد أن أحضرَ لك شيئًا قبل أن أذهب؟ نظر إليه إيهاب ثُمّ وجَّه بصره ناحية البارِ ثُمّ عادَ إليه ببصره مرةً أُخرى ثُم قال: لا أشكرك يا نادر... فقال له: حسنًا سأذهب وأمرُّ عليك بعد أربعةِ أيامٍ اعتنِ بنفسك.

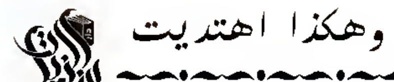
مكث نادر الأربعةَ أيامٍ مع أسرته وأظهر لهم من الحميميةِ والحرارةِ ما لم يألفوه منه حتى كانَ لا يُفارق أمه في كلِ حركاتها وسكناتها وكذلك أبيه وباقى أسرته وعلى عكسِ ما فعلوا من تجاهلِ ثرائه الذي ظهر عليك فجأة من قبل سألوه عن سرِ تواضع مستواه المادى فلم يعد يلبس كذى قبل، بل أخرج كلَّ ملابسه القديمة



الجديدة التي اشترها إلى دورِ الجمعيات الخيرية، ولم يعدُ يُدخن بشراهة بل امتنع عن التدخينِ تمامًا وأيضًا لم يجلب معه المكسرات من الكاجو والفُستق الذي اعتاد ألا تخلو منها غرفته، فقال لهم بشيءٍ من الاختصار أنه ما عاد يشتهى هذه الأشياءَ وأن مجردَ وجودهم في حياته بصحةٍ وعافيةٍ كافية عن كلِ هذه المُلهيات، كان يستولى على تفكيره لقاءه المُرتقب مع إيهاب بعد يومين فهل يا ترى يُثمرُ عن شيءٍ؟ هل يلين الحديدُ حقًا إذا سلّطنا على النار؟! أم يُعاند ويصيرُ أكثر قسوةً وصلابةً؟

جهزَّ نفسه وتوّجه إلى منزل الدكتور محمد كان شغوفًا بمعرفةِ أخباره ولكن ساءه أن يجدَّ المنزلَ مُغلقًا وعليه أثار تنبئ بتركه مُنذُ شهورٍ وبعد حديثٍ قصيرٍ مع غفيرِ العمارةِ علمَ منه عنوانَ أخت الدكتور فتوّجها إليها من غيرِ موعدٍ وهناك علمَ أن الدكتورَ محمد انتقل للإقامة الدائمةِ في مستشفى الأمراض العقليةِ بعدما ساءت حالته وتطورت بشكلٍ يمنعه من البقاءِ وحيدًا، كان الدكتور محمد دائمًا ما يرتبط في عقل نادر بالطيبةِ والصفاءِ كان يرى أنه الفطرة التي لم تُلوثُ رغمَ ما رأه منه في نوباته، ولكن هذه النظرات البرئية التي كانت تسكنُ عينه وهو يُقدمُ له طبقَ العسلِ والزيتونِ لم تكن تُفارقه كلمّا ذكرَ أمامه الخيرَ والفطرةَ، كانت صدمةً نفسيةً عسيرةً على نفسه حاول أن يحتملها بكلِ ما تعلّم من صبرٍ ورضا على البلاءِ فمشى راضيًا وكأنه فقد واحدًا من أهله، ولأن نفسه لم تكن تحتمل أن تحملَ صدمتين فقد أجل لقاءه بإيهاب إلى اليومِ التالى واكتفى بالذهاب إلى المسجدِ القريبِ من بيته في ذلك اليوم.





لم تستطيع ابتسامة نادر وهدوءه أن تمتصَ ثورةَ إيهاب الذي كان يصرخُ قائلًا: بل سأهتم... سأهتم لهؤلاء المشوهين والعجزةِ لهؤلاء الأطفال الأبرياءِ الذين لم يقترفوا أي شيءٍ لا خير ولا شر سأهتم لأمرهم فأنا واحدٌ منهم... سأهتم حتى يسمعَ هذا الإله صراخي عندما كنت أرجوه يومًا بعد الصلاةِ أو حتى تفزعوا جميعًا لحقيقةِ أن الكونَ ما جاء إلا مُصادفةً، قال نادر: أنا لا أجدُ مُبررًا لهذه الثورةِ... قدمت لك كلامًا لك أن تقبله أو ترده، وأنا أرى أن عليك أن تذهبَ معي إلى الشيخِ نور فإما أن تجد عنده إجابةً لكلِ ما تُريد أو ترجع به معنا إلى هُنا، بل دعني أختصر عليك الطريقَ سأحضره أنا إلى هُنا في الإسبوع المُقبلِ وأنا أعلم أنه سيتفهم موقفك تمامًا وُصراخك أيضًا وأعدُك ألا نُثقل عليك إلا بزيارةٍ خفيفةٍ مُدتها ساعة واحدة، نتناقش فيها وقد نصلُ لحلٍ مُرضٍ، قال إيهاب ضاحكًا بعصبيةٍ: هيهات أن يُرضيك أنتَ وشيخك شيءٌ إلا إسلامي، إلا أن أسجد وأُعفِّرَ وجهي في الترابِ شاكرًا إلهَ الصدفة لأنه قد خلقَ الكونَ، هيهات أن يقتنعَ مسلمٌ بالآخر هيهات أن يُقلعَ مسلمٌ عمّا في رأسه، فقاطعه نادر: تذّكر أن أول عهدك كان الإسلام، دعنا نحظى بفرصةٍ تغيرنا أو تغيرك، أشاح إيهاب بوجهه في الناحيةِ الأخرى وقال: اذهب فاحضر شيخك وقتما شئت فلن تفعلوا بي وبأعصابي أكثر مما فعله كلامك الذي دوّنته ولا أكثر ممَّا فعلت هذه الخادمة الصماء..... أااااااااااااااسماء

كثيرٌ ما أثارَ هذا الموقف الضحك في نفس نادر فنظرة إيهاب كانت تنمُّ عن رجلٍ مُحاصرٍ داخلَ نفسه ليأتي نادر بأطروحته فيُحاصرها من الخارج، كما رحَّب الشيخُ نور



جدًا بهذا اللقاءِ وأبدى استعداده له وقال لنادر: إننا لا نملك إلا الدعوة أما الهداية فهي ملكٌ للهِ وحده سنُسألُ عن التبليغِ ولن نُسألَ لماذا لم يُجيب الناس؟ أتمنى أن تكونَ تعاملت معه برحمةٍ ورأفةٍ، قال: نعم، كما تعلمت منك، قال: حسنًا فإن لم نزيده شيئًا فيجب علينا ألا نُنقص منه شيئًا، وإذا لم نستطع أن نقدم له خيرَ الآخرةِ فلا حاجةَ لنا من أن نسلبه خيرَ الدنيا، ولكن لابد أن أُخبرك أننا إن لم نستطع أن نصلَ معه إلى حلٍّ فيجب عليك مُفارقته إلى غيرِ رجعةٍ غيرةً لدينك، فلا تجلس وآيات الله يُستهزأ بها أو أنتَ في غنى من أن يملأ قلبك بالشبهاتِ فالله وحدة يعلمُ أي شُبهةٍ يُمكن أن تدخلَ إلى قلبك فلا تُبارحه حتى تقضي عليك، قال نادر: نعم، أنا لم أكن مرتاحًا على غيرِ العادة في بيته بل إن رؤيتي إلى البارِ وزجاجات الخمرِ المتراصةِ جعلتْني أشعر بالشوق إلى البكاءِ لا أدري كنت أشعر أنَّ عليَّ أن أبكي طويلًا... آآآه رُبَّما فعلتها الليلة.

كان يوم الخميس حين أخذ الشيخ نور بيده وأدخله إلى مسجدٍ في طريقهم لبيتِ إيهاب فُرِشَ بموكيتٍ نظيفٍ فاخرٍ، فقد حان موعدِ صلاةِ العشاءِ لم يكن بالمسجدِ سوى عشرةِ أشخاصٍ قد حضروا للصلاة فقام أحدهم وأقام الصلاة، ثُمّ قدموا الشيخ نور للإمامة فملامحه تُخبر أنَّه الأكبرُ سنًا ولم يكن بالمسجدِ إمام راتب، قام الشيخ وساوى الصفَ وجذَّب نادر بيده فأدخله بينهم من غيرِ أن يُكلمه، ثُمّ شرعَ في الصلاةِ فقرأ الفاتحةَ ثُمَّ قرأ ﴿ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴾ [النجم: ٥٧-٦٢] لم يتمالك نادر نفسه وانفجر باكيًا حتى أسمعَ كلَّ من في



المسجدِ فلمّا انتهت الصلاة قامَ مُسرعًا إلى خارجِ المسجدِ وانتحى جانبًا ينتظرُ الشيخَ حتى يخرجَ إليه، وفعلًا خرجَ الشيخ يبحثُ عن نادر الذي أقبل عليه فأمسك بيده وقبَّلها وقال: الحمد لله الذي جمعني بك بعد أن كدتُ أفقد حياتي وثقتي في صنفِ البشرِ، لم يُعلق الشيخُ وظلَّ صامتًا تبدو عليه ملامحَ الجدِّ كمن يجهزُ لدخولِ معركةٍ حربيةٍ، يقرأُ في الطريقِ كثيرًا من الأذكارِ بصوتٍ مُنخفضٍ... ظل هكذا حتى دخلَ إلى بيتِ إيهاب فحيَّاه ودخلَ فصُدم بالبارِ أول ما صُدم، جلسَ إيهاب كالُمحرَجِ وقال لنادر: أرجوك أن تذهبَ إلى الخادمةِ تُخبرها بأن تُعدّ لنا قهوةَ فلا تُحرجنا مع الشيخ، نظرَ إليه الشيخ نور ببشاشةٍ وقال له: هل يُمكن أن نجعلَ جِلستنا في هذه البلكونة؟ ابتسم إيهاب وقال: بلا شك أظن أن منظرَ الخمورِ ورائحتها يُعكِّرُ عليك لا بأس فلندخل إلى البلكونة، قال نور: لو تُحبذُ أن نظلَ هنا كما تحبُ ولكنني أرى أن البلكونةَ مُتنفسٌ أفضل لتنسابَ الأفكارُ بين أيدينا، نظر إليه إيهاب وقال: أظنك مستعدًا جيدًا لما نحن بصدده، قال نور: على أي حالٍ لسنا أعداء ولسنا بصددِ معركةٍ بسيفٍ وإن كانت معركةً فكريةً فهذا شأن صفوة الناسِ، مشى إيهاب بعربته المتحركة يسبقُ الشيخ ناحيةَ البلكونة وقال: ما رأيك يا شيخ فيمن يقول إن الكونَ كلَّه خُلقَ مُصادفةً؟ فقال الشيخ: هذا كمن يقول أنه ذهبَ إلى أحدِ المطابعِ التي تقوم بطبع الكتبِ فوَجد صندوقًا مليئًا بالأحرفِ العشوائيةِ غير المرتبةِ.... فأمسك بهذا الصندوقِ وقلبه بطريقةٍ غيرِ مقصودةٍ ووقع ما فيه على الأرضِ فتشكَّل كتاب قيم في علم النفسِ وفروعه وكان بعد ذلك ذا أهمية علمية عظيمة يَرجع إليه الناس كمرجعٍ



مهم... أظن هذا مستحيلًا عقلًا ومنطقًا، فالتفت إليه إيهاب مسرعًا وقال: أعد من فضلك ما قلته، فسكت نور برهةً ثُم قال: وأنا آتٍ إليك وجدت كثيرًا من المجلات العربية للأسف تحتفى بعالِمِ الكيمياءِ (ياكوبس فانت هوف) الهولندي لاكتشافه لقوانين الديناميكيات الكيميائية (الضغط اسموزي) في المحاليل من مائةِ عامٍ... جهلة، قال إيهاب: أي جهلٍ في هذا؟! قال نور: لأن هذا هو ما ينطبق عليه الصدفة فعلًا أنا في مكتبتي التي ورثتها وجدت كتابًا يتحدث فيه ذلك العالم نفسه أنه لم يكشف أي شيءٍ من هذا ولكنّه وجدَ هذه القوانين كاملةً مكتوبةً على جزعِ شجرةٍ كان غرسها في حديقةِ المنزل، قال إيهاب: أي هراءٍ هذا لابد أن هذا الكتابَ مدسوسٌ عليه، نظر إليه الشيخ نور ضاحكًا وقال يبدو أنك من أعداءِ نظريةِ الصُدفةِ... فتنبَّه إيهاب للمكيدة.

على غيرِ الاتفاق جلس الشيخ نور مع إيهاب في مُساجلاتٍ ونقاشاتٍ امتدت إلى ثلاثِ ساعاتٍ لم تُسفر عن شيءٍ ذى بالٍ حتى أخذ الحوارُ مثارَ الجدلِ وعندها استأذن الشيخ نور وانصرف أخذ معه نادر وتوجَّها إلى محطةِ القطارات ومنها إلى بورسعيد.

قيّد نادر اسمه في إحدى المعاهدِ المختصةِ بإعداد الدُعاة والتي تقبلُ شهادةَ الثانوية، تزامنَ ذلك مع رحلته في حفظِ القرآنِ الكريمِ فقد نوى أن ينضم لقوافلِ العائدين ولم يكتفِ بهذا بل أحب أن يكونَ داعيًا إلى الله بحقٍ وعلمٍ مُتخذًا من أهل الطريقةِ القديمةِ أعداء يكشفُ حيَلهم وأكاذيبهم في كلِ وقتٍ وفي كلِّ مكانٍ وكلما أتيحت له الفرصةَ أو لم تُتح، ولم تثنهِ مُقابلة إيهاب والشيخ نور عن عزمه في استمرارِ



محاولاته لإرشاد إيهاب إلى الطريقِ المُستقيمِ ونَوى أن يزوره مرةً أُخرى في أولِ مرةٍ ينزلُ فيها إلى القاهرةِ، ولكن كان ما يشغلُ باله ولا يجدُ له تفسير هو سمير أين ذهب؟ وأين اختفى؟ ولماذا كلما سأل عليه أخبروه أنه مسافر؟ هل هذه طريقة جديدة اتبعها سمير ليتهرب من لقائه؟!

قال نادر مُحدثًا الشيخ نور: مُنذُ أن عرفت طاهر ودجاله الكبير تعلمتُ أن كلَّ فرقةٍ أو طائفةٍ لها اسم فما اسم فرقتنا هذه؟ نظر الشيخ كالمنزعجِ وقال: لا يا نادر لسنا فرقة نحنُ عامة المسلمين، قال: نعم ولكن لابد من مُسمى نعرف به أهل الحق من أهل الباطلِ، قال له: ولكن الحقَّ يُعرفُ بالمنهجِ والدليلِ وليس بالرجالِ أو بالأسماءِ والمُسميات يا نادر ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ ﴾ [الحج: ٧٨] فنحن مسلمون وفقط، قال له: والصوفية والإخوان والسلفية هل كل هؤلاء على باطلٍ؟ وكيف أعرف مَن هو على مثلِ ما أنا عليه؟! قال: دع عنك الأسماء فلن تُفيدك شيئًا فالله لن يُدخلك الجنةَ لأنك تسميت في الدنيا سلفيًا ولكن انظر إلى ما يعتقدُ القومُ ثُمَّ احكم، كثيرٌ من هؤلاء يا نادر يحبون الله... يحبونه حقًا ولكن نسوا أن الغايةَ هي أن يحبك الله ولكى يُحبك الله فما من طريقٍ يوصلك إليه إلا طريق واحد... فقد سدَّ الله كلَّ بابٍ موصلٍ إليه إلا باب خاتم المرسلين محمد ﷺ: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [آل عمران: ٣١] فجعل طريقك وطريقتك لكي يحبك الله أن تتبعه ﷺ، فليس لنا إلا قائد واحد هو سيدنا رسول الله ﷺ، قال نادر: جميعهم يدَّعي أنه مُتبعٌ لرسولِ الله! قال: اعرض ما يقولون على



ميزان الكتابِ والسنةِ فإن قبله فنعم هو وإلا فردَّه واطرحه وألقِ به كائنًا مَن كان قائله، قال: قل لي يا شيخ هل أنت راضٍ عن المقابلة الأخيرة التي تمت مع إيهاب وهل تنوي ألا تُكرِّرَها مرةً أخرى؟ قال: يا نادر أنا نذرت ما بقى لي من حياة لدعوةِ الناسِ إلى الحقِ ولا يمكن أن أدخرَ جُهدًا في ذلك ولكن لابد أن نُميزَ الأرض التي سوف نبذرُ فيها وننتظرُ الثمرَ، قال: ولكنك قلت لي لا أحد ميؤوس منه وكل الناسِ يُمكن أن تهتدى! قال نعم هذا حق ولكن صديقك هذا يرى الحقَ ويعرفه جيدًا ولكن ثَّمة مانعٍ نفسي يحولُ بينه وبين أن يستسلمَ، ليس دورنا أن نهدى البشرَ، فالطريقُ إلى اللهِ طويل لا يهُمُّنا أن نصلَ إلى آخرها ولكن المهم أن نموتَ ونحنُ على الطريق... طريق الدعوةِ إلى الله، قال نادر: ولكنني أستأذنك في الذهابِ إليه في زيارتي القادمةِ للقاهرة، لك أن تفعلَ ما شئت فليس لي عليك سلطان أمنعك به فديننا ليس دين كهنوت ولكن لك عليَّ النصيحةِ وأنا أنصحك ألا تُعرض نفسك للشُبهاتِ وخصوصًا أن صديقك هذا ليس رجلًا مُتشككًا كما تظن بل هو رجلٌ مريضٌ نفسي يحتاج إلى متابعةٍ مع أطباء متخصصين في هذا، ولا تنسَ أنك لا تزال حديثَ عهدٍ بالعلمِ فأرى أن تعملَ على بناءِ نفسك أولًا فلا تتصدر قبلَ أن تتعلمَ، قال نادر: سأزوره مرةً أُخرى وأعدك أن تكون الأخيرة علي أي حالٍ، قال: لك هذا وتذّكر أنك تُقيم هُنا في بورسعيد لكي تبعدَ عن أرضك فهي أرضُ سوءٍ كما تعلمُ، عرفت فيها واشتهرت بغيرِ ما يُرضي الله فلا يُعقل أن تتركَ الجهادَ- الأرضَ- وتتواصل مع نفسِ البشرِ ونفسِ الصُحبةِ، قال: نعم أنا أفهم ذلك جيدا ولذلك أنا



أنوى أن أسافر غدًا فأمرُ على إيهاب وأبحث عن صديقي سمير وأعود في اليومِ التالي، فأنا أعرفُ إيهاب لا يتخذُ قرارًا وقتيًا ولكن يُمهلُ نفسه يومًا أو يومين وأنا مُشتاقٌ لأرى أثر جلستك معه، وفقك الله يا نادر لما يحب ويرضى.

لم يصطحب نادر هذه المرة أي حقائب معه فرحلته إلى القاهرةِ كانت قصيرة مُحددة المهامِ، بدأها بسمير فذهب إلى بيته ولكن والدته أخبرته أنه في زيارةِ عملٍ عاجلةٍ إلى محافظةِ المنيا مما أدهش نادر فسألها وأي شيءٍ يعملُ سمير في المنيا؟! فأخبرته أنه من يوم أن أعطاه العهدَ الروحاني بالعملِ وهو لا يمكثُ في البيتِ إلا قليلًا جدًا، قال لها: أي عهد روحاني؟!! أنا لم أعطه شيئًا، صمتت الأم تُفكرُ ثُم قالت: لا أردي هذا ما أخبرنا به من يوم سفرك وقال: إنك أعطيته العهدَ لينوبَ عنك في العلاجِ ولكن.. لِمَ أراك ثائرًا هكذا؟ نظر إليها والشرر يتطايرُ من عينه بعد أن فقدَ كلَّ حلمه السابق، حاول أن يتفوَّه بكلماتٍ ولكنه أمسكها ثُمَّ قال لها: أرجوكِ أن تُخبريه أنني أريد مقابلته في أقرب وقتٍ ونبهيه بألا يتأخَّر عليَّ، فأومأت برأسها أن نعم.

نزلَ من بيت سمير وهو يضرب أخماسا بأسداسٍ، فحاملُ الحقيبةِ هذا قد أخذَ مكانه ومرضاه واستغلَّ شهرتَه فحازها ميراثًا مُباركًا، لم يكن يشغله إلا الطيبون من الضحايا الذين انخدعوا فيه من قبل، وسوف ينخدعون في سمير وكأنَّ لابد لرايةِ الدجلِ من حاملٍ، حقًا فالشرُ لا يموت بموتِ أصحابه، كان يفكِّرُ كيف يُمكن أن يمنعه من السيرِ في هذا الطريقِ دونَ أن يفضحَ نفسَه؟! فأي حجةٍ سيقولها للناسِ حين يُهاجمه كما هاجم الحزنُ رأسَه؟ ذهب إلى إيهاب وهو لا يبرحُ يفكرُ في طريقةٍ تُرجعُ سمير



عن ابتزاز أموالِ الناسِ أو على الأقل يبرئ جانبه ولكن كان ينتظره في بيت إيهاب ما هو أفدح وأشد ضررًا على نفسه التي صارت بمثابةِ مغناطيس جذبٍ للصدماتٍ، فللمرة الأولى يوقفه حارسُ العقارِ مُناديًا عليه، وقف نادر مُستغربًا أي شيء سيقوله هذا الرجل الذي يراني أصعدُ إلى إيهاب مُنذُ سنين وهل فوجئ بي اليوم فأراد أن يتأكدَ من هويتي؟ أو ربَّما أصدر له أيهاب أوامرَ صريحة بمنعي من الصعود إلى شقته!

اقتربَ الحارسُ من نادر وقال له: شد حيلك البقاء لله في المهندس إيهاب، ضاقت عين نادر واتسعت ذُعرًا، ماذا تقولُ يا رجل؟ فأعاد عليه الحارس شد حيلك أنا أعلم أنه صديقك ولكن هكذا هي الدنيا وجدناه في صباح اليوم السابق مُنتحرًا على كرسيه بعد أن قطعَ شرايين يده اليسرى، فعندما حضرت الخادمة وجدت المُهندس إيهاب غارق في دمائه وهو يجلسُ على كرسيه كما تعوَّد فأبلغنا الشرطة والتي حضرت بدورها وعاينت الشقةَ ثُمَّ أخذت الجثةَ وبعض أوراقٍ ومضت، تجمد الدمع في عين نادر وسرَت في جسده قشعريرة لم يفهمها وهو يحاول أن يستوعبَ أنه لن يراه مرة أخرى ولن يرى تلك الشُعيرات الفضِيةَ التي كانت كثيرًا ما تُغافلُ الشعرَ الأسودَ وتطفو على سطحِه، وذهب إلى محطةِ القطارات متوجهًا إلى بورسعيد.

هُرِعَ إلى شيخه وظل يتساءل ما سر تسارع الأحداث هكذا؟ إيهاب مات يا شيخ نور... انتحر.. أجهز على ما بقي من عمره بيده... لم يستطع قلبه أن يتحملَ الضوءَ الباهر، نظر له الشيخ في شفقة وقال: يا نادر أنت لا تدري ما كان آخر عهده بالدنيا ولا آخر ما قال واعتقد، لمعت عين نادر وقال: تظنُ أنه أسلم قبل أن يموت؟



قال: ربما، قال: ولِمَ انتحر إذن؟ قال: كل هذا علمه عند الله، هو كافرٌ هكذا حتى ولو أسلم قبل موته؟ قال: لو أسلم قبلها فهو تحت مشيئة الله إن شاء عذَّبه وإن شاءَ عفا عنه، قال: هل يُمكن أن أقابله في الجنةِ؟ قال: ستقابلُ مَن هو خيرٌ منه هناك، ولكنني كُنت أشعر أنه مقهورٌ مثلي تمامًا، تذّكر ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، أجهش نادر بالبكاءِ وقال: ولكننى أحبه يا شيخ نور أحبه... كنت أودُّ لو أجعله بابًا أَلِجُ منه إلى الجنة، كنت أتمنى لو ظلَّ معي... لو دخلناها سويًا، ثُمَّ قلَّص دمعَه ونظرَ إلى شيخه وقال: انا لا أبكي على كافرٍ يا شيخ نور ولكنني أبكي لكلِ خيرٍ لمسته فيه وكلِ قهرٍ شعرت أنه يسكنه، هذا رجل لم يكن يُنكر الإله ولكنه كان غاضبًا منه لأنه يجهلُ حكمته فيما صنعَ به، يا شيخ هي نفسٌ أفلتت مني إلى النَّار، قال الشيخ: تعلمنا أنَّ لكلِ منتحرٍ وصيةً هل قرأت وصيته؟ نظر إليه كمن يفيقُ من حُلمٍ وقال: لا لم أصعد إلى شقته ولم أدخلها ولكن هل تظن أنني إن ذهبت إلى حارسِ العقارِ يُمكن أن أصلَ لشيءٍ؟ يُمكن أن يكونَ اطلَّع عليها؟ قال الشيخُ لا أظن فلن تتركَ الشرطةُ ورقةً مُهمةً كهذه لرجلٍ لا تربُطه بالمهندسِ أي علاقةٍ، ولكن على أي حالٍ أود أن أُذكرَّك أن الصبرَ على المصائبِ يكون عند الصدمةِ الأولى لذلك دعني أُعلمك شيئًا، لا تفتر عن ذكرِ الله واجعل ذكرين لا يغيبان عن لسانِك وعقلك أبدا ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] وكذلك ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] فالأولى ستنفعك كلما نزل بك بلاءٌ فتُحصِّل الأجر عند الصدمةِ الأولى والثانية ستنفعك عند رؤيةِ كلِ جميلٍ فتبعد عن نفسك شبهة الحسدِ، هيا قم هيئ نفسك



واستعد للصلاةِ فآذان العشاء بقى عليه قليلٌ، قال: هل أُخبرتك أن سمير أخذ مكاني، وصار دجالًا مُحترفًا أنا أشك أنه غيَّر الطريقِ إلى استخراج الآثار ولكن الأمر لا يسلم من قبولِ حالةٍ أو حالتين للعلاجِ يتكفلا بمصاريف سفره ولوازمه، ماذا أفعل يا شيخ وكل حياتي القديمة تنهارُ كما ترى؟ قال: امضِ في طريقك ولا تلتفت، أفلا أحاول منعه وزجره عن هذا؟ ثُم ضربَ طاولةً أمامه وقال: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ [هود: ٨٠]، قال الشيخُ: هدئ من روعك وما دمت إلى جوار الله فأنت في ركنٍ شديدٍ، اعتزلهم يا نادر واعتزل حياتك الماضية، قال: وماذا أفعل في الإثم ألن آثم على ما يفعله هذا الأحمق فأنا مَن فتح الباب ابتداءً؟ قال: عليك النصيحة وفقط، لا ترهق نفسك فتُميتَها كمدًا وهمًا، قال: يا شيخ ألا يوجد ماء أشربه أو آيات أقرؤها بعددٍ مُعينٍ فتذهب ذاكرتي فلا أعرف منهم أحدًا؟ ابتسم وقال: سبحان الله! بل هُناك آثار عقيدة خاطئة يتوجبُ عليك إزالة كلِ أثرٍ لها في نفسك، يا نادر أنتَ بدأت طريقك الجديد ولا تنسَ أنك كنت صديقًا للشيطانِ يومًا فهل ترى أن يترك زبونًا مثلك بسهولةٍ؟ قال: ما يفعلُ الشيطانُ بي الآن يا شيخ؟! قال: تذكر يا نادر أن الشيطانَ كان يوسوسُ لك حين كنت عاصيًا فلمَّا تطورت وأصبحت مُبتدعًا ركبك كما يركب الرجلُ الفرسَ، فالشيطان يحب أهلَ البدعِ ويفضلهم حتى على العصاة وكلما رأى منهم واحدًا ألقى عليه المهابةَ والوقارَ ونهاه عن صغائرِ الإثم ليصطاد به فانتبه، تأمل نادر كلمات شيخه وقام فتوضَّأ وذهبا إلى المسجد.



كان نادر يُحرزُ كلَ يومٍ خطوةً إلى الأمامِ في طريقِ تعلم العلمِ الشرعي وفي خلال سنةٍ واحدةٍ استطاع أن يتمَّ حفظَ القرآن الكريم نظرًا لتفرغه شبه التام لذلك الأمر فلم تكن ساعات عمله في بيع السمكِ تزيدُ في اليومِ عن خمسِ ساعاتٍ من الساعةِ التاسعةِ وحتى الثانيةِ بعد الظهيرةِ، أطلق عليه أهل الحي في بورسعيد اسم «العابد» لكثرةِ تواجده في المسجدِ فصار لا يُنادي عليه أحدٌ إلا « بنادر العابدِ ».

دخلَ عليه الشيخ نور في المسجدِ بعد صلاةِ العصرِ وألقى إليه عددًا من جريدةٍ وقال انظر يا نادر فهُنا خبرٌ أظن أنه يهمك، أمسك نادر بالجريدةِ ورفعها أمام نظره فوجد مسودًا في صدر الصفحةِ، عنوانٌ رئيسي «القبض على الدجالِ المصري بالسعودية: يزعمُ تحويلَ التُّرابِ إلى ذهب» ووجد صورةً ضوئيةً لطاهر فتصفح الخبرَ سريعًا ثُمّ أعاد قرأته عدة مراتٍ ثُمّ أنزل الجريدةَ عن وجهه ونظر إلى الشيخ وقال: هل رحَّلوه إلى مصر؟ قال: لا بد أن تتزوجَ يا نادر قريبًا، ابتسم مُندهشًا وقال: أتزوجُ؟ قال: نعم، تتزوج أنت لا ينقصك شيئًا، قال: الحمد لله على كلِّ نعمةٍ ولكن يا شيخ أنا لا يزال أمامي سنة حتى أُنهي تعليمي الدعوي فضلًا عن أننى لا أملك شقةً لأسكن فيها وهذه الغرفة الصغيرة لا تصلحُ لحياةٍ زوجيةٍ، قال: لا بل تصلحُ ولكنني لا أقصدُ أن تتزوجَ في هذه الشقةِ بل تنتقلُ إلى مكانٍ أوسع، وسوف أُساعدك بما تحتاجُ من مالٍ ولا تقلق فهو دين عليك تردُّه في أي وقتٍ أما وإن حانّ الأجل فأنا أُعفيك منه وأبرئ ذمتك أمام الله، ضحك كمن لا يُصدق وقال: ما لي والنساء يا شيخ نور وما السر بين هذا الخبرِ وبين زواجي، قال: لا شيء أنا أفكر في



الأمرِ من مدةٍ وأحب أن أطمئن على حياتك، وفي الزواجِ فوائدٌ عظيمةٌ ودع عن رأسك الهواجسَ التي قد تطرؤ عليه فسنبحثُ لك عن زوجةٍ تقيةٍ ترضى بالقليلِ على أن تحفظها داخل عينك وتُعاملها كما تعلمت من كتابِ ربك وسنةِ رسولك، قال: نادر ليس قبل أن أُنهي تعليمي، فأنا لازلت أحتاج إلى الكثيرِ حتى أكونَ مؤهلًا للعملِ في الدعوى، قال الشيخ: لا بأس بالزواجِ أثناء رحلتك لطلبِ العلمِ لا سيما مع كثرةِ المُغريات من حولك، وبالمناسبةِ أُريدُك أن تتجهزَ لإمامة الناس في الصلاةِ بدءً من صلاةِ الفجرِ المُقبلِ، وكذلك جهز خطبةً تُلقيها على مسامعِ الناسِ يوم الجُمعةِ القادمةِ، وتذَّكَّر أن عليك حفظَ الخُطبةِ كاملةً ومُراجعتها معي فعندنا في مصر يتحرَّج الخُطباءُ من صعودِ المنبرِ بورقةٍ ولا أدري ما الحرج في هذا ولكن ابدأ هكذا، قال نادر: ولكنني غير مُستعدٍ، قال: غير مستعد لماذا؟! أما الصلاة فقد حذقت أحكامها وفقهها كاملًا، وأما الخطبة فأمامك خمسة أيامٍ كتابة وحفظًا، واجعل خطبتَك تُشبه خطبة حبيبك المصطفى ﷺ فقد كانت خطبته تمتازُ بسهولةِ الألفاظِ، وجودةِ الأسلوبِ، وكانت تتفردُ بالعباراتِ القليلةِ، التي تجمعُ المعاني العظيمة بعيدة عن التكلفِ في الألفاظِ، أو الإطنابِ في العباراتِ، وبتتبع منهجه صلوات الله وسلامه عليه في خطبة تجد أنها كانت تتسمُ بالقصرِ دونَ الطولِ، بل كان ﷺ يقول: (إن طولَ صلاةِ الرجلِ وقِصَرَ خُطبَتِه مَئِنَّةٌ من فقهه، فأطيلُوا الصَّلاةَ، واقصُروا الخُطبَةَ) فقِصرُ الخطبةِ علامةٌ على فقهك فلا تقلقْ، فهدي النبي ﷺ هو الاعتدال في خطبته بين التطويلِ المُملِّ والتقصيرِ المُخلِّ، فقد كانت صلاةُ رسولِ الله ﷺ قصداً، وخطبته



قصداً، يقرأُ آيات من القُرآن ويذّكر الناس، وأرى أن تجعلَ خُطبتك عن التوبةِ فتخرج منك صادقةً تلمسُ قلوبَ الناسِ، قال نادر: يا شيخ نور إنى أُحبُّك في الله، قال: أَحبَّك اللهُ الذي أحببتني فيه، قال نادر: يا شيخ نور جزاك اللهُ عني كل خيرٍ، قال وخيرًا جزاك.

عاد نادر في هذا اليوم إلى الغُرفةِ التي استأجرها وأحضرَ ورقةً وقلمًا وأنزلَ كثيرًا من كُتبه وراح يبحث فيها عن مضمون خُطبته وحين دخل عليه الشيخ نور ليوقظه لصلاةِ المغربِ وجدَه مُستيقظًا وقد اعتلى الأريكة - كالمنبر في أولى بروفاته للخطبةِ - ويخطب في الهواءِ ويقول: «أيها الناس: كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَل لَهُ مِن تَوْبَةٍ فَقَالَ لا فَقَتَلَهُ فَأَكمَلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ: نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَّ فَاعْبُدِ اللهَّ مَعَهُمْ وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ. فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيق أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللهَّ. وَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهاُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِى أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ» ضحكَ الشيخُ وقال: ستفوتك صلاةَ المغربِ أيها الخطيب المُفوَّه، نزل نادر مُسرعًا وتوضأ.



وفي فجرِ اليومِ الموعود دخلَ نادر والشيخ نور إلى المسجدِ وعليه حِلة بيضاء وآثار الطيبِ تفوحُ منه من كلِ جانبٍ وبعد أن صليا ركعتين تحيةً المسجدِ قدَّمه الشيخ إلى القبلةِ ونظر له يُثبته وقال له: اقرأ بسورةِ النجم، سرت في جسده قشعريرةٌ وشعرَ بالضوءِ الأبيضِ يلّفُ جميعَ جسده وكأنه محمولًا في الهواءِ، أدار وجهه وقال: استقيموا يرحمكم اللهُ ثُم انطلق في قراءة سورة الفاتحة حتى أنهاها، ثُمّ بدأ في قراءة سورة النجم ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ [النجم: ١-٥] حتى وصَل إلى قوله -تعالى-: ﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ۝٥٧ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨ أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ ۝٦١ فَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ وَٱعۡبُدُواْ۩﴾ [النجم: ٥٧-٦٢] ثُمّ سجدَّ نادر وسجدَ الناسُ جميعًا من وراءه... أطال نادر سجدته حتى كانت أطولَ سجدة في عمره...



❊ ❊ ❊



إصدارات دار بنت الزيات للنشر والتوزيع

١- ختم خروج | شعر | شادي حسن
٢- دستور الحاجات | شعر | عبد الله صبري
٣- عود ريحان | شعر | حمادة تمام
٤- ديوان الغلابة | شعر | مجموعة من الكُتّاب المغتربين
٥- ديوان الغلابة ج٣| شعر | مجموعة من الكُتّاب المغتربين
٦- سألتُك بالذي أنّ | شعر | الباشا عبد الباسط
٧- تفاصيل روح | شعر | أحمد جمال إسماعيل
٨- مشاعر خارج النص | رواية | شاهندة الزيات
٩- ميفيستوبيليس | رواية | محمود شحاتة
١٠- قصص الإيمان بالستة أركان | قصص أطفال | فاطمة محمود
١١- مطر طالع لفوق |الأعمال الأدبية الفائزة بمسابقة دار بنت الزيات.
١٢- خواطر أحاسيس مرمرية | مروة محمد الجزار.
١٣- ديوان مادة خام | مجموعة من المواهب.
١٤- أنتيكا | إصدار جماعي لفريق أنتيكا الأدبي.
١٥- روائع عمر | يسري أبو القاسم.
١٦- شغل صهاينة | عمرو عيسى.



١٧- ضحكة خام كتاب تلوين

١٨- كأس قزح | رواية | إبراهيم أبو السعود.

١٩- الإسقاط النجمي | بحث علمي | محمود أشرف.

٢٠- كوتشينة | شعر | محمد حنفي.

٢١- راحل إلى القمر | شعر | أشرف شبانة.

٢٢- حقيقة فحلم | شعر | مجموعة من الشعراء.

٢٣- استدعاء شيطاني | رواية | أسماء أبو العطا.

٢٤- ليلوفوبيا | شعر | رؤوف محمد.

٢٥- وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ مَعَ شَرْحِ الجَزَرِيَّةِ وَتُحْفَةِ الْأَطْفَالِ | عمرو سواح.

٢٦- مادة خام | شعر | مجموعة من الشعراء.

٢٧- دلال | رواية | نجدي عبد الموجود.

٢٨- خلاصة القول في كبسولة | شعر | طلعت سالم.

٢٩- لقاء العاشقين | رواية | محمد صبحي.

٣٠- بين الأنا والذات | شعر | طارق خلف.

٣١- الكوكب المصري ونهاية العالم | مجموعة روايات | إسلام ديوان.

٣٢- انحناءة المساء | مجموعة قصصية | محمد الكرديني.

٣٣- مشاعر خارج النص | رواية | د. شاهندة الزيات.

٣٤- خلاصة القول | كبسولات أدبية | طلعت سالم.

٣٥- تأشيرة مرور | ديوان | محمد البنا.



٣٦- استكانة شعر | ديوان | مجموعة من المواهب الشابة.

٣٧- روح حرة | ديوان | سالمة فؤاد.

٣٨- إيجيبتوس | رواية | أميرة علام.

٣٩- بلغة الهمزات | خواطر | حمدي وفيق.

٤٠- منتهي الصلاحية | ديوان | يوسف عيسى.

٤١- عسر الفراق | خواطر | إسماعيل محمدي.

٤٢- مشاوير الليل والناس | ديوان | الطيب أبو شوشة قدري.

٤٣- أنت | رواية | عبير عبد الشكور.

٤٤- مدن الفراشات | خواطر | نهاد كرارة.

٤٥- أين روعة الحياة | تنمية بشرية | علاء النجار.

٤٦- قافية دافينشي | ديوان شعر | أحمد عبد الستار.

٤٧- استروجين | ديوان شعر | محمد عبد الكريم (الطاووس).

٤٨- ست الحزن والخيال | ديوان شعر | سارة جمال قاسم.

٤٩- لست إنسان | مجموعة قصصية للأطفال | سامية عبد الفتاح.

٥٠- كوزموس | قصة للناشئة | هشام عيد.

٥١- نُص باهت | ديوان شعر | ريهام الشاذلي.

٥٢- عساها وربما يمكن | ديوان شعر | أحمد صلاح فخري.

٥٣- عكس عكاس | ديوان شعر | آلاء الشرقاوي.



أين تجد إصدارتنا:

- **القاهرة:**

📖 المقر: الجيزة دائري - نزلة شارع القومية العربية - برج النور - الدور ٨

📖 مكتبة عمر بوك ستور: طلعت حرب أعلى مطعم فلفلة.

📖 مكتبة ليلي، وسط البلد.

- **الإسكندرية:**

📖 مكتبة المعرض الإسلامي: ١ ش كلية الطب - محطة الرمل.

📖 مكتبة المستقبل: ٣٢ ش صفية زغلول - محطة الرمل.

📖 مكتبة مايو: ميدان محطة الرمل.

- **الزقازيق:**

📖 مكتبة الشافعى: ٩ شارع نعيم متفرع من شارع المكاتب الفرع الرئيس.

📖 مكتبة الفيروز: شارع القومية. بجوار المصرية بلازا.



- **المنصورة:**

📖 المكتبه العصرية: المشاية بجوار فندق مارشال.

📖 بيت القصيد: بجوار القرية الأولمبية.

- **دمياط:**

📖 مكتبة ألفا بيتيكا: بجوار صيدلية الأمل.

- **طنطا:**

📖 مكتبة برة الصندوق: شارع سعيد بجوار صيدلية خليل.

- **المحلة:**

📖 مكتبة إدراك: شكري القوتلي – خلف البنك الأهلي الجديد.

- **الفيوم:**

📖 كريتيف بوك ستور.

- **الزقازيق:**

📖 مكتبة دار المعارف بمحطة مصر.



وتجدونها أيضاً:

في جميع مكتبات توزيع وتسويق ومنافذ

«أخبار اليوم»

في جميع محافظات جمهورية مصر العربية



لدار بنت الزيات

المشهرة قانونًا بسجل تجاريّ رقم / 49351

الجيزة دائري - نزلة شارع القومية العربية - برج النور - الدور ٨



Facebook Page: دار بنت الزيات للنشر والتوزيع

E_mail: bentelzayat1@gmail.com

Website: www.bentelzayat.tk

Tel.: 01066736765

01227996423

رواية

وهكذا اهتديت

"أعلمُ أني لا أعلم ما الطريقِ التي أحتاجُ لأن أسير فيها
ولكني سأعبثُ بكلِ الطرقِ
وهل خُلقت في الدنيا إلا لأحاولَ أن أكونَ أنا
أنا بكلِ ما فيَّ من تشتتٍ
أنا التي أعرفها ولا أعرفها"

عمرو يس

DESIGN BY MOHAMED DERBALA

